

إدراك

جَدْوَلٌ

الأدب والنوري

العدد الأول: كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ - السنة الثامنة



## دار الآداب تقديم

### وحدى جمع اللام

مجموعة شعر

للشاعرة العربية الكبيرة

فدوى طوقان

صدر حديثا

### العودة من السبع الحالم

مجموعة شعر

للشاعرة المبدعة

سلمى الخضراء الجيوسي

يصدر هذا الشهر

### وجدها

الطبعة الثانية

للشاعرة الكبيرة

فدوى طوقان

صدر حديثا

### الحب والنفس

مجموعة قصص

للقصاص العربي

الدكتور عبد السلام العجيلي

صدر حديثا

العدد الاول  
يناير ( كانون الثاني )

السنة الثامنة

8ème ANNEE

No. 1. Jan. 1960

# الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE

BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123

Tél. 32832

رئيس التحرير  
والمدبر المسؤول  
الدكتور سهيل إدريس

Rédacteur en chef et  
directeur

SOUHEIL IDRIS



## أدبنا الثوري

بقلم الدكتور سهيل إدريس

يعزوا اسباب تأخرهم الى اطماع الاستعمار ومؤامراته ،  
فلكي يكون الاستعمار قادرا على حيك هذه المؤامرات وتنفيذ  
تلك الاطماع ، فلا بد ان يجد الارض الخصبة لذلك، وهذا  
يعني في اخر المطاف ان نفوسنا هي من الضعف وفقدان  
الثقة والاستسلام والتواكل بحيث تبدو مهياة لتقبل بذور  
الاستعمار ، وان الوسيلة

الناجعة للتحرر من هذا  
الوضع هي العمل الدائب على  
تغيير نفسياتنا بخلق مفاهيم  
نشور بها على ذواتنا قبل كل  
شيء.

فالى اي حد شارك ادبنا  
وادباؤنا في خلق هذه  
المفاهيم ؟ اترى ادبنا قد  
اثر تأثيرا ايجابيا في خلق  
الوضع الثوري ، الذي  
يعيشه المجتمع العربي  
الراهن ، ام انه اقتصر على  
التأثر والتلقي والانفعال ، ثم  
اخذ يعكس ما تلقى ؟

لا سبيل الى الشك في ان الشعب العربي يعيش من تاريخه  
الحديث « حالة ثورية » لم يسبق له ان عاش مثلها عمقا  
ورخما . فهو يواجه في كل مرافق حياته تمخضات جذرية  
يدعو اليها الطراز الحياتي الجديد الذي يفرض نفسه وفقا  
لتطورات عظيمة يجد العرب انفسهم مدعوين لاجرائها في  
انبعاثهم الجديد .

ان مفاهيم ديناميكية  
لاهبة هي التي تقود الامة  
العربية في بحثها عن ذاتها  
وتحقيق امكاناتها .  
وجميع هذه المفاهيم  
تستمد نسفها من ثورية  
واعية تعصف بالاوضاع  
السياسية والاجتماعية  
والثقافية التي خلفتها  
عصور طويلة من  
الانحطاط والتجمد  
والتحجر . ولقد ادرك  
العرب انهم لن  
يفيدوا شيئا اذا  
اقتصروا في سعيهم لبعث  
نهضتهم المرجوة على ان

### الآداب

في سنتها الثامنة

عانت « الآداب » في عامها السابع من منع دخولها  
طوال السنة الى العراق العزيز - الذي نرجو ان تنفجر  
عنه الغمة قريبا - كما عانت من منعها ومصادرتها في  
اقطار اخرى . ولكن ذلك اكسبها مزيدا من ثقة قرائها  
في جميع اجزاء الوطن العربي . وهذه الثقة هي التعويض  
الحقيقي عن كل خسارة تلحق بالمجلة التي لن يكون طلب  
الربح المادي من اهدافها يوما .  
وما هي « الآداب » في عامها الثامن ، وهي تعجز بانها  
لا تعتمد على اية مساعدة ، من أية جهة ، باستثناء مساعدة  
قرائها ، ومشاركة اصدقائها من الادباء . فاليهم وحدهم  
شكرها ، ووعد منها صادق بان تتابع سيرها في خدمة  
الفكر العربي .

الحق اذا ذهبنا الى انها غير متوفرة في معظم البلدان العربية . وهذا يقتضي من السلطات الحاكمة ايمانا عميقا بقيمة الفكر ، واستعدادا للدفاع عنها وحمايتها من العابثين ، كما يقتضي من الشعب ان يدود عن حملتها اذا ما تعرضوا لاي اعتداء ، بسبب من الجهر بأرائهم . ( ✕ )

فاذا ما توفرت هذه الحرية للمفكرين وضمنت للادباء ، فلا شك في ان هذه الفترة الثورية من انتاجنا ستشهد المعهودها وتسجل نقطة تحول هامة في تاريخنا الادبي .

وفي هذه الحالة فحسب ، سيتاح للادب العربي الحديث ان يساير جميع المراحل الثائرة من تطور المجتمع العربي ، بل سيرهص بها ويدفعها ويعجل في ولادتها فيؤدي بذلك افضل رسالة يمكن لادب ما ان يؤديها .

### سهيل ادريس

( ✕ ) تعرضت منذ اسبوعين الى التهديد بالقتل من قبل بعض الرجعيين الذين يزعمون انهم يدافعون عن الاسلام ، على اثر خطاب القيته في مهرجان اقامه حزب الكتائب في بيروت ، ودعوت فيه الى الوحدة الوطنية على اساس الايمان بالقومية العربية ، والتفريق بين العروبة والاسلام ، ومهاجمة المغالين من المسلمين والمسيحيين في لبنان ، وعلمانية الدولة . وانتهاز هذه الفرصة لاشكر جميع المفكرين اللبنانيين الذين اتصلوا بي شخصيا او برقيا او هاتفيا ليدعموني في موقفتي ، مما يشجعتني على المضي في النضال من اجل القضية العربية والحرية الفكرية .

صدر في الاسواق

## التراب الحزين

مجموعة قصص

اتجاه انساني في ادب القصة

بقلم

الدكتور بديع حقي

الثن ٢٠٠ ق.ل او ما يعادلها.

طبعة انيقة

ان من العسير تمييز قدر التأثير والتأثير ، فكثيرا ما يمتزجان ويستبقان ، ولكن الملحوظ ان الادب قد فوجيء غير مرة ، باوضاع ثورية لم يدع اليها ، او ان دعوته اليها كانت من الضعف بحيث لاتخلفها بالضرورة . ووضح مثال على ذلك الثورة العربية الاخيرة في مصر ، فنحن لانعرف نتاجا ادبيا قيما ارهص بهذه الثورة او شارك في التوعية بها . وفي مثل هذه الحالة ، نجد احداث الحياة تسبق الادب الذي تقتصر مهمته عند ذلك على مهمة المراة العاكسة .

ونحسب ان دور الادب ، في هذه الفترة الحاسمة من تاريخنا الحديث ، لا يمكن ان يجتريء بالتلقي والتأثر ، بل هو في واقعه قد بدأ منذ ربح يسير يحمل رسالته التأثيرية ، ابتداء من هذه الاحداث التي فوجيء بها ، وكان متخلفا عنها . ونعتقد ان « الثورة » ستكون السمة الرئيسية لانتاجنا الادبي الحديث ، لان طبيعة الحياة العربية هي طبيعة التفجر الثوري الذي يرمي الى دفع الامة العربية دفعا جديدا يوثقها مركزها الحقيقي بين الامم . وبوسعنا ان نؤرخ لهذه الثورة منذ كارثة فلسطين التي كانت مصدرا رئيسيا لجميع الانتفاضات التي عصفت

بالوطن العربي ، في جميع مرافقة السياسية والاجتماعية والثقافية . ونحن هنا لا يجدنا شيئا ان ندعو الى الثورة الادبية ، او الى تكثيفها لاننا لا نؤمن « بالالزام » ، بل نؤمن « بالالتزام » الذي ينبع من تلقائية الاديب ، ولا بد للاديب من ان يكون ملتزما اذا عاش قضية عصره وقضايا مجتمعه .

على ان ذلك لا يفنيانا عن الاشارة الى ان اخطر قضية يواجهها الادب العربي الحديث ، في فترته الثورية هذه ، هي قضية « حرية الفكر » . فما دام الاديب مدعوا ، بطبيعة الفترة التي يعيشها ، الى ان يشارك في قلب مفاهيم بالية واحلال مفاهيم ثورية محلها ، فانه لن يتمكن من اداء رسالته اذا لم يضمن له قدر كاف من الحرية الفكرية التي لانجاول

كتاب الموسم

المفهوم الحديث لرجل الدولة

الدكتور حسن عصب

يتميز كتاب المفهوم الحديث

بأساليب جديدة

كتاب المفهوم الحديث

من حيث البحوث العلمية

توضوئية شديدة

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث

كتاب المفهوم الحديث





# نُزْرِيَّةُ القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ

بقلم الدكتور عبد الله عبد الباق

ان الطبيعة الانسانية واحدة غير متغيرة ، وان الانسان مخلوق لان يحيا في ظروف محددة ، هي تلك الظروف التي يدافع عنها ويطلب العودة اليها ، لاسباب لا مجال الى تحليلها ، بعضها شعوري وبعضها لا شعوري . وهكذا نجد ان الماضي الذي يدعو اليه الرجعي ، ما هو بالماضي الغائم ، وما هو مجرد الاستمرار في تقاليد معينة ، وانما هو قبل هذا وفوق هذا ماضٍ مشخص ما تزال بعض عناصره قائمة في الحاضر ، وما يزال بالتالي من الممكن في نظره ، لهذا السبب ، ان نعيده كاملا . وتعبير اخر اوضح ، يشترك المحافظ مع الثوري في ان كليهما يرى في الحاضر انحرافا عن المجرى الطبيعي للتاريخ . وغاية لمستلزمات الطبيعة الانسانية . سوى ان الرجعي يرى خلافا للثوري ان الطريق المؤدية الى اصول الطبيعة البشرية وجوهر الانسان طريق شاقة طويلة مليئة بالمخاطر ولهذا كان لا بد من اجل تغيير المجتمع من نموذج معين معروف ، سبق ان اثبت قيمته وشأنه في اجيال خالية ، علينا بالتالي ان نقتنيه من جديد بعد ان ننزع عنه ما فيه من اشياء تجاوزها الزمن وندخل عليه بعض التعديلات التي تتلاءم مع الظروف الجديدة للحياة .

وفي هذه الناحية يلتقي الرجعي مع الثوري ويختلف عنه في آن واحد . فالثوري بدوره يؤمن بما يمكن ان ندعوه « اسطورة الاصول » ونعني بذلك انه يهدف هو ايضا الى ان يعيد الانسان الى صفاته الاولى والى ان يخلص الماضي من الطفيليات التي نمت على هوامشه ففطته وكادت تطحنه بثقلها . سوى انه يفترق عن الرجعي في شيء اساسي هو انه لا يستمسك بحرفية ماضٍ معين ، وانما ينبش في الماضي اوضاعا تعبر تعبيرا صادقا عن الطبيعة الانسانية في كامل تحققها وعلى نحو ما يفهما ، ويود ان يقذف في المستقبل التحقيق الكامل لمثل هذه الاوضاع التي تاهت وضاعت . فالثوري يؤمن بالديمومة ايمانه بالضرورة ، وهو اذ يتجه بكامل قواه نحو المستقبل يحاول ان يجد تبريرا لهذا المستقبل في الماضي ، دون ان يقيد هذا المستقبل بخطوات الماضي كاهلة ودون ان يحصر نفسه في اطار ماضٍ محدد لا يتجاوزه . انه يبحث خلال تاريخ الانسان عن

الثورة كلمة عريضة ، دب اليها كما دب الى غيرها من الشعارات الذائعة ، غموض وقلق . وليس المجال ههنا مجال تحديد معانيها . ومثل هذا المطلب ليس بالمطلب اليسير ، اذا اخذنا الكلمة في مدلولها المطلق عارية عن أي زمان ومكان .

وحسبنا ان نسهم في توضيح معالم الفكرة الثورية بعد ان نضعها في اطار زمان معين ومكان معين ، اي في اطار الفكرة القومية العربية في مرحلتها الراهنة . ونقدم بين يدي هذا التوضيح المتصل بالفكرة الثورية في القومية العربية ، بعض الصوى نضعها على الطريق . اذ ههما يكن من امر المضمون الفكري والفلسفي لكلمة ثورة ، يظل من اللازم ان تستبين الفوارق بينها وبين فكر تقرن بها غالبا ، وتكاد تكون بمثابة التوائم لها . ونعني بهذه الفكر: المحافظة والاصلاح والتقدم . اما المحافظة فنسبها الى الثورة نسب تضاد ، وهي تذكر في معظم الاحيان كنقيض لها . والبون بينهما على وضوحه بعض الشيء ، يحتاج في الواقع الى مزيد من الجلاء في الازهان . فالفكرة المحافظة كثيرا ما تؤخذ على انها فكرة تعني استمرار ما هو قائم وبقاء الاوضاع على ما هي عليه . وكثيرا ما يخيّل الى الازهان انها لا تحمل بالتالي فكرة معينة ومذهبا ذا حدود واصول ، وانها لا تعدو ان تقرر قوله لينتزع بان هذا العالم هو احسن العوالم الممكنة ، وان ليس في الامكان ابداع مما كان .

والواقع ان الفكرة المحافظة ، ولاسيما في عصرنا ، وبعد تطور الافكار الثورية وانتشارها ، لم تعد على هذا النحو البدائي ، وحاولت ان تضمّن مفهومها مبادئ معينة ، بسل ثورية من نوع خاص ، نستطيع ان نسميها ثورية مقلوبة . ولم تعد هذه الفكرة المحافظة تعني ذلك الشكل الاول منها ، شكل التغني بماضٍ زائل والاستمسك العاطفي بعصور خالية لها عندها صفة القداسة . وهي في معظم اتجاهاتها الحديثة تعني شيئا اوسع من هذا واصلب عودا ، نجده عند ذلك الفريق الذي تطلق عليه احيانا تسمية اخرى ، هي تسمية « الرجعية » . فالرجعي لا يأسف على الماضي لما له في نفسه من سحر ، وانما يتعلق به لاسباب لا شأن لها بالشعر والخيال : يتعلق به تعلقه بمبدأ اساسي لديه ، هو

الصفحات التي تجلت فيها اصالته ، ويود ان يكمل هذه الصفحات مستلهما روحها لا شكلها .

تلك لمحة عابرة عن اواصر النسب بين الثورة والمحافظة . ويستبين الامر اوضح ان نحن نظرنا في الصلة بين الثورة والتقدم . فعلى حين نجد الرجعي والثوري يشتركان في الوقوف من الحاضر موقفا سلبيا ، وفي اعتباره شذوذا تاريخيا وانحرافا بالقياس الى مثل اعلى معين نجد التقدمي يقبل على العكس واقعه وعصره كما هو ، بكل ما فيه من خصائص ، لانه يرى فيه خطوة تقدمية بالقياس الى ما سبقه . ذلك انه يرى ان كل ما في التاريخ يخضع لقانون التقدم والتطور الذي لا يغلب ، والتطور التاريخي ، اذ يسيطر عليه هذا القانون ، عملية لاردة فيها تسوقنا في تيارها السائر شئنا ام ابينا ، ومن العبث ان نحاول معاندتها . ومقاومتها لا تعدو ان تكون ضربا من مقاومة نظام الفصول الطبيعية او تنابع الاجيال البشرية . وعلى حين نجد الرجعي يعتقد ان في وسعه ، بعد شيء من التعديل وبعد اجراء بعض التنازلات ، ان يعاود مجرى التاريخ وان يصعد اليه كرة اخرى ، ضمن حدود تاريخ معين على اقل تقدير ، نجد التقدمي يستسلم لمجرى التاريخ هذا استسلاما كاملا . انه يستلقي فيه ويحمل نفسه في تياره ، لا كسلا ولا عجزا او ايمانا بقدر محتوم ، بل ايمانا منه بأنه اكتشف القانون الاكبر الذي يسيطر على مصير الانسان فماله عنه من محيد ، قانون التقدم ، قانون تطور وفق خط مستقيم يستوي الى الابد . والحق ان فكرة الابدية واللاتناهي هي السلمة الاولى في قانون التقدم . ومن هنا كان جوهر التقدم انه لا يحمل في طياته مستقبلا معينا يمكن التنبؤ به ، وانه لا يعبا برغباتنا ومنازعاتنا ومثلنا العليا ، واننا نجهل الجهل كله ما عساه يخبيء لنا في مستقبل قريب او بعيد ، اكارثة كونية ام جنة عدن !

من هنا نرى انه اذا كان الرجعي هو رجل « الاشياء المحددة الثابتة » فالتقدمي ، على العكس تماما ، متحرر من اي « تثبت » على شيء ، ومن اي « وقفة » عند حدود عصر تاريخي معين . وعلى حين نرى الاول متعلقا بماض معين ، محدد في الزمان ، نرى الاخر ينظر الى اي ماض نظرتة الى شيء مضى وانقضى ولا سبيل الى اعادته . وعلى حين نجد الثوري متعلقا بمستقبل معين واضح المعالم بوجه عام ، نلغي التقدمي مؤمنا بلا ادرية مطلقة بالنسبة الى المستقبل .

على ان حدود المفهوم تستبين عن طريق قرننا بعد هذا بالمفهوم الاصلاحي خاصة . فالمفهوم الاصلاحي اقرب نسبا الى المفهوم الثوري من المفاهيم السابقة ، بل هو المنافس الذي يتلبس به دوما ويضيف حقيقته . وكثيرا ما نجد المفهوم الثوري يتردى في بعض الازهان الى مفهوم الإصلاح ، فيفقد معالمة الاصلية . ذلك ان فكرة الإصلاح تتفق مع فكرة الثورة في الدعوة الى مستقبل معين واضح الحدود ، فيه تقويم للاوضاع وعودة بالانسان الى الاصول .

غير انها تفترق معها افتراقا بائنا في الاسلوب الذي ترسمه للوصول الى هذا المستقبل . فهي ترى ان في مقدورنا ان نصل الى المستقبل المنشود ، ايا كانت معالمة ، عن طريق حركة تطويرية اصلاحية نجريها ضمن المجتمع القائم ، تؤدي الى تقوية بنيتة شيئا بعد شيء والسير نحو السلامة المرجوة . بينما ترى الفكرة الثورية ان مفاصد الحاضر هي من التداخل والتشابك بحيث لا تجدي فيها الاصلاحات الجزئية ، ولا بد لتغييرها والانقلاب عليها من ثورة شاملة ، ثورية جذرية تتناول الاشياء من قواعدها ، وتبدأ بالبداية .

وبتعبير اخر نستقيه من ميدان الصحة الجسدية ، ترى الفكرة الاصلاحية ان علاج الامراض الاجتماعية لا يحتاج الا الى ادوية عادية طويلة المدى ، بينما ترى الفكرة الثورية ان هذا العلاج في حاجة الى عملية جراحية ، الى استئصال لاصول الداء وجذوره ، الى التخلص من البؤرة السرطانية .

من خلال هذه الصوى المتفرقة تستبين لنا بعض الشيء اهم ملامح الفكرة الثورية . انها اولا فكرة تؤمن بنموذج انساني معين ، تحققت بعض جوانبه في الماضي ، ولا بد من جهد ثوري لتحقيقه كاملا في المستقبل . وهي ثانيا ترفض حرقية الماضي وعودته في شكله كاملا ، ولكنها تؤمن بروح معينة نجد تجليات لها في هذا الماضي ويمكن ان تأخذ في المستقبل شكل تجليات اخرى مبدعة . وهي ثالثا لا ترى ان تحقيق النموذج الانساني الذي تهدف اليه يمكن ان يتم عن طريق تطور التاريخ تطورا عفويا ، بل تؤمن بان لا بد من التدخل في مجرى التاريخ ، وان هذا التدخل هو جوهر الانسان ووجوده . سوى انها لا تكتفي من هذا التدخل بالاصلاح العابر الجزئي ، بل ترى ان بلوغ المثل الاعلى الانساني لا بد فيه من انقلاب كامل على الحاضر ، لا بد فيه من انقلاب تام في المفاهيم والقيم والوسائل .

ولا يعني الانقلاب الكامل على الحاضر والانفصال عنه ، تجاهله والجنوح الى عالم خيالي طوبياي ، وانما يعني على العكس استخدام هذا الحاضر استخداما جديدا من شأنه ان يعيد تشكيله ويكونه تكوينا مبتكرا سليما . وتعبير اخر ، لا ينظر الثوري الى الواقع القائم على انه هو الواقع الانساني الاصيل ، وان له بالتالي صفة الحق الشرعي في البقاء ، وانما ينظر اليه على انه هو الشيء المنحرف غير السوي ، وان قلبه يعني اعادة الامور الى نصابها ورد الاشياء الى طبائعها . وبكلمة اخرى ايضا ، لا يخاف الثوري من المفاصد القائمة في الحاضر خوفا يشل ارادته وتفكيره ويجعله يعتقد بانها هي الشيء الوحيد الممكن ، وانما ينظر الى المفاصد نظرتة الى « تشكيلات سطحية » دخيلة ، تزول بيسر اذا حركتها يد من داخل ، يد ثورية تحمل حرارة النظرة الصحيحة .

واذا اردنا تصويرا اخر للفكرة الثورية، قلنا ان هذه الفكرة



تؤمن بنوع من الحركة الخلاقة الشاملة التي اذا وجدت غيرت كل شيء ، ولا تؤمن بان بناء الاشياء والمجتمع يمكن ان يكون ذرة ذرة وقطرة قطرة . انها تعتبر حركة الحياة حركة مبدعة تعمل عن طريق تيار جيوي مبدع يصهر الاشياء صهرا جديدا . وترى ان التطور عن طريق رصف الاشياء نقطة نقطة ورملة رملة ، امر يحتاج مالا يتناهى من السنوات ، ويقصر عنه عمر التاريخ . ولا بد بالتالي في تغيير الامور من روح تطفئ على كل شيء ، نظرة تقلب ، موقف نفسي من شأنه ان يهب الاشياء القائمة غير شياتها ، وان يمنح مواد الواقع غير صفاتها .

ومن هنا ينشأ سوء التفاهم بين الثوري وغير الثوري ، اذ يتكلم كل منهما لغة غير لغة الآخر ، ويبدأ من بدايات مفترقة . فغير الثوري حين يتهم الثوري ، كما يقع غالبا ، بالخيالية ، لا يحاول ان يفهم منطق من داخل ، وانما يسلط عليه منطقا هو المنطق الذي يريد هذا الثوري ان ينقلب عليه . والخلاف بينهما بالتالي خلاف في الحدس الاصلي . فالحدس الاصلي عند غير الثوري حدس مستسلم خائف ، غير مدرك لصفحة الواقع كاملة ، ينظر الى الجزء على انه الكل ، ويعتبر النتائج اسبابا ، والفروع اصولا . اما حدس الثوري فحدس جامع شامل ، ينظر الى الامور كلها في سائر مفاصلها وحلقاتها ، وينبش خيطها الناظم وروحها الرائدة ، فيثق ويطمئن حين يدرك ان ما يخيف غيره ما هو الا قشرة سطحية زائلة ، ونتائج لا اسباب ، نتائج لموقف مغلوط من الاشياء ونظرة مقلوبة الى الامور . ويؤمن في نهاية الامر ان هذا البنيان الفاسد متداع من تلقاء نفسه ساعة نبدأ من الجذور وننطلق من موقف انساني خصب .



من خلال هذه الامور كلها يمكن ان نفهم الفكرة الثورية في القومية العربية . ان هذه الفكرة في قلب الواقع وصميمه ، ولكنها تأبى ان تعترف على الواقع المشوه ، لتنصبه في مقام الاصل ، وان تترك الاصل واضعة اياه في مستوى الخيال .

واول ما تقرره في هذا المجال ان واقع العرب الحقيقي لا يثوي في كيانهم الجزأ ، وانما يثوي في كيانهم الموحد . وهي اذ تقرر ذلك تستند الى واقع خلاق تؤيده النظرة الشاملة السوية، انها لا تقول بالوحدة قولها بفكرة خصيبة منتجة ذات مردود عملي قوي فحسب ، وانما تقول بالوحدة لانها ترى ، بالاستناد الى التاريخ والى واقع الشعور العربي ، ان التجزئة من نتائج الكيان المريض للامة العربية ، وان العودة الى الوحدة تعني تصحيح الاوضاع ورد الامور الى نصابها . وهي اذ تقرر ذلك تعيش في صلب الواقع ، الواقع الحي كما يظهر للحدس الشامل الكامل ، لا للنظرة القاصرة العشواء : فالواقع هو الذي يؤكد لها ان القيم الانسانية الحضارية للامة العربية كانت يوم وحدتهم . والواقع هو الذي يبين لها ان التجزئة كانت تتكاثر وتسير

جنباً الى جنب مع ضعف الكيان العربي ودخول العوامل المخربة فيه . والواقع هو الذي يحدثهم عن ان القسوى النفسية الحقيقية للامة العربية تنطلق من خلال الاحاسيس العربية المبثوثة في كل عرق ، وان عناصر الابداع العربي تنتظر كيانها الطبيعي الذي تتحقق فيه ، كيان الامة الموحدة والواقع هو الذي يوميء فوق هذا كله الى ما ينتظر من وحدة العرب من نتائج تتصل بزيادة طاقاتهم الروحية والاقتصادية والعسكرية ، زيادة ليست مبرر الوحدة دون شك ولكنها قرينة تدل على اصالة الوحدة واتصال فكرتها اتصالا حيا بجوهر وجود العرب على الارض .

على انه ان كانت فكرة الوحدة العربية هي رأس الافكار الثورية التي نجدها في القومية العربية ، فهذا يعني شيئا لا ثاني له وهو انها لا يمكن ان تتحقق الا عن طريق عقل ثوري وعمل ثوري . انها ، اذ تصدر عن حدس ثوري اصيل ينظر الى الاشياء نظرة فيها تخط للفساد وتجاوز للنظرات الجزئية وذهاب الى الاصول ، لا بد كيما تتحقق فعلا من ان يكون اسلوب عملها اليومي ونضالها الدائم مستوحى من مثل هذا الحدس حافظا له . والمنزلق كما قلنا هين خطير بين الفكرة الثورة والفكرة الاصلاحية . والفكرة الاصلاحية هي التي تنتحل عادة لنفسها صفة الثورية وهي التي تتزيى بزي الثورة فتزيفها وتبعدها عن اصولها وعن حرارتها . وفكرة الوحدة العربية كما قلنا ونقول فكرة اما ان تصدر عن ثورية اصيلة واما الا تكون البتة . بل ان انقلابها الى ضدها لا بد واقع ان هي ظلت ان الوحدة يمكن ان تتم عن طريق مهادنة التجزئة ، او عن طريق السير بعقلية التجزئة ضمن الوحدة .

ان العمل للفكرة العربية ، لكونه عملا ثوريا ، لا بد فيه من نضال يومي في سبيل هذه الفكرة ، ولا بد فيه من نظرة شاملة كاملة تغذي كل سلوك يومي وتطبع كل حركة . وليس اعداء الوحدة الحقيقيون اولئك الذين لا يأخذون بها فهؤلاء لن يقووا على مغالبة طبائع الاشياء - بل اعداؤها الحقيقيون هم اولئك الذين يأخذون بها دون ان تغذيم فكرتها الثورية الحقيقية ، والذين يتبنون شعاراتها ظاهرا ويعيشون في عقلية التجزئة باطنا . فمثل هؤلاء هم الذين يتيحون لاعداء القومية العربية ان ينقضوا عليها ويفضحوا ثغراتها ، وما يفضحون في الواقع ثغرات فيها ، وانما يفضحون اسلوبا خاطئا في فهمها او انفاذها .

ولا يتسع المجال للحديث عما ينسحب من هذه النظرة الى ثورية الفكرة العربية من نتائج لا حصر لها تتصل بالوسائل الثورية لبلوغها .

وحسبنا ان نذكر ان الفكرة العربية ، ما دامت نظرية الى الانسان عامة ونظرة الى الانسان العربي خاصة ، لم تعد مجرد امنية او مداعبة عواطف ، بل غدت شيئا ذا مضمون ايجابي بناء ، من شأنه ان يجعل من هذه الفكرة فكرة خصيبة ترفع مستوى العربي الحضاري والانساني وتجعله عاملا من عوامل المدنية في العالم . ولهذا كان المضمون الذي

بوتقة الوحدة ما كان عسيرا ان يصهر خارج بوتقتها . وهي بعد هذا ، بل قبل هذا ، حين تنطلق في طريق البناء الاجتماعي والتشيد ، تقوي يوما بعد يوم عوامل الوحدة ومقوماتها ، وتخلق عناصر قوتها واكتمالها .

وبمقدار ما يتحقق لهذه النواة الاولى للوحدة من الاكتمال تجذب اليها اجزاءها الاخرى ويصبح لقاءها معها لقاء طبيعيا . ان الفكرة الثورية اساس وجود الانسان وهي القوة المحركة الغالبة في كل مجتمع . وهي في البلاد العربية خاصة قوام وجود الطليعة الموجهة فيها . ولا بد ان تتلاقى الحركات الثورية التي تعيش في نفوس هذه الطليعة العربية انى وجدت . على ان مسؤولية الجمهورية العربية المتحدة مسؤولية كبرى في هذا اللقاء . فهي التي تمنح القوة لهذه الحركات الثورية عن طريق ما تشيعه من تحقيق خصيب للاهداف الثورية ضمن كيان مؤهل اكثر من غيره لتحقيق مثل هذه الاهداف .

★

وبعد من العسير ان نستنفذ في هذه الصفحات موضوعا هو موضوع وجود الامة العربية وقوام كيانها الراهن . وحسبنا ان نبشنا عابرين بعض معالمه ، تاركين للثورة العربية الكبرى التي نعيشها ان تسطر في الواقع الحي القسومات الكاملة للفكرة الثورية في القومية العربية .

عبدالله عبد الدائم

دمشق



تنادي به الجمهورية العربية المتحدة اليوم ، حين تجعل هدفها بناء مجتمع اشتراكي ديمقراطي تعاوني ، مضمونا اساسيا في اعطاء الفكرة العربية كامل معناها وتحميلها تمام ثورتها . انه هو القمين بان يوقظ ملايين الشعب العربي الراكدة التي حالت ظروفها الاقتصادية والاجتماعية السيئة بينها وبين ان تبذل وتبذل . انه هو الذي يقدم للانسانية وثبة حضارية حقة اذ يحرر هذه الملايين من قيود اوضاعها ، واذ ينطلق من فكرة اساسية وهي ان الخير والاعطاء للامة العربية وللانسانية يثويان في هذه الجموع الشعبية الفقيرة المحرومة التي تنتظر من يفك عنها الاغلال لتنتقل وتبذل .

ان ثورية القومية العربية تحمل معناها اولا واخرا في قدرتها على ان تحرر الانسان العربي وتطلق قوى الابداع لديه . انها تصور عن مسلمة اولى هي ان التحرير العميق الحق لهذا الانسان لا يمكن ان يكون الا ضمن كيان عربي موحد يتحمس له ويستخرج في سبيله كل مدى طاقاته وامكانياته ويجد ذاته في اطاره .

وهي هذا بلغة اخرى ان الوحدة هي الاطار السليم لتحقيق مضمونها ، وانها وهذا المضمون شيء واحد ، ولا سبيل الى فصل احدهما عن الاخر . وثورية فكرة الوحدة تأتيا من انها تخرج من ذلك الدور الفاسد المعطل . وقوام هذا الدور الفاسد او الحلقة المفرغة ان الوحدة لا تتحقق الا اذا تحرر ابناء الشعب العربي من قيود اوضاعهم الاجتماعية فأصبحوا سادة مصيرهم . انها تكسر هذا الدور حين تقرر ان التربة الطبيعية لتحرير الشعب العربي المحروم المهمل هي تربة الوحدة ، وان انتظار تحرر الشعب العربي ضمن اطار التجزئة مبينة لمنطق الواقع ، اذ يعني هذا الانتظار تعريض الشعب العربي ضمن التجزئة لعبودية اكبر وقيود داخلية وخارجية اخطر . ولهذا كانت ولادة الجمهورية العربية المتحدة على الشكل الذي جرت عليه عملية ثورية اساسية ، اذ صدرت عن ايمان بان الوحدة هي سبيل القضاء على الفساد والادوار التي تحول دون قيام الوحدة ، وان التوحيد بحد ذاته عمل مبدع خلاق من شأنه ان يولد طاقة جديدة تقوى على محاربة الفساد التي لا تقوى عليها التجزئة . وهكذا عززت الجمهورية العربية المتحدة بخطواتها الجبارة على ان تقضي على اخطار الوحدة ضمن الوحدة وفي قلب الوحدة ، ووجدت ان السبيل الثورية الوحيدة للتغلب على ما يحول دون الوحدة هو ان نحققها عن طريق عزم مبدع خلاق ونتابع ضمنها ، عن طريق مثل هذا العزم الخصب ، القضاء على ما يناقضها .

وقد جاءت المراحل التي تلت ولادة الجمهورية العربية المتحدة مؤكدة لهذه النظرة . فالجمهورية العربية المتحدة تلقى كل يوم الالم هذا المخاض الجديد ، وتعاني دوما من آثار التجزئة السابقة وبقايا العقلية الماضية ، ولكنها تغلب على هذا كله ضمن كيان الوحدة وتستمد من الوحدة نفسها قوة ثورية ما كانت لتيسر لها بدونها، وتقوى ان تصهر ضمن





# نورتنا الأدبية الأولى ..

## بقلم بنجائيل نعيمه

« الياف » . واجزم في الحال ان « الياف » ليس اكثر من اسم مستعار تستر وراءه رفيقي نسيب عريضه . فانا اعرف نفسه ، واعرف ان هذا اللون من الشعر قد اقتبسه نسيب من مطالعته الروسية . وها هو العدد كله يشهد بذلك . فقد حشاه صاحب « الفنون » بترجمات من الشعراء والكتاب الروس - وعلى الاخص المحدثين منهم امثال « غوركي » و « اندرييف » و « سولوغوب » و « مرجكوفسكي » وغيرهم مع البعض من كتاب القرب مثل « أوسكار وايلد » و « فيكتور هيفو » .

ومقال اخر يستوقفني في ذلك العدد . وعنوانه « بلبل الموت والحياة » وهو بقلم امين الريحاني :

« في القفص يغرد البلبل وفي الاودية تولول الرياح » ..

لا . لا . لست في حلم يا ميسا . فهذه النفحات التي هبت عليك من « فنون » رفيقك نسيب عريضه لم تنطلق من خيالك ومن رغبتك الملحاح في ان تجد العريية شبابها . انها لحقيقة راهنة . وانها البشارة لسك بالانبعاث الذي رحت تترجاه لبني قومك منذ ان اطلت على الادب الروسي والاداب العاليه وادركت قدسية الكلمة ، وقوة القلم اذا هو لم يدنس الكلمة بالكذب والرياء والتدجيل ، ولم يعبد الحرف دون الروح . بلى . هذا اول الفيت يا ميسا - قطرة ثم يهي . وهذه القطرة تتحداه يا ميسا . فهل لديك قطرات تصيفها اليها ؟ اذا كنت تريد ان يكون لك نصيب في الفيت الانني فهذه الساعة هي ساعتك . وهذا اليوم هو يومك .

ورحت ادبج مقالا مستقيفا بعنوان « فجر الامل بعد ليل الياس » فانثفت فيه كل ما في صدري من نعمة وحقد على الادب المخطط - ادب التمييق والتقليد والتدجيل - ادب المجاملات والمناسبات والبهلوانيات - ادب النقشور لا غناء فيها لاي عقل وقلب ، ولا صلة رحم بينها وبين حياة نحيها . في كل يوم . كنت اكتب وبودي لو يتحول القلم في يدي بركانا ، ولو تخرج الكلمات من بين شقيه حمما تجرف وتحرق كل بال ودميم ومخالف في آدابنا لعل ان تنهض لنا اقلام جديدة تقيم وزنا للصدق والجمال وباقي القيم الانسانية الرفيعة . واختتمت المقال بنقد لقصة جبران « الاجنحة المتكسرة » ، وكانت الصحف العربية في نيويورك قبل ذلك بشهور قد استقبلتها بالكثير من الاعجاب والتكبير . وبعثت بالمقال الى « الفنون » . فلم يلبث ان كتب الي نسيب يقول في جملة

في ربيع سنتي الثانية في الجامعة (X) والاولى في كلية الحقوق ، حمل الي البريد العدد الاول من مجلة عربية تصدر في نيويورك باسم « الفنون » ، وكان التاريخ الذي عليه « نيسان - ١٩١٣ » . اما منشئ المجلة فرفيقي في الناصرة نسيب عريضه بشراكة رجل اخر لا اعرفه .

ما هذا الذي اعتراني عندما فتحت العدد ؟ ان عيني تسابق يدي في تقليب صفحاته وتلتهم ما فيها التهاما . وقلبي يصفق فرحا بين ضلوعي . فالي الشيطان ايها « العقود » و « الصكوك » و « الجنج » و « الجنائيات » وكل ما يتصل بالحاكم والاحكام . انك سلسلة لا نهاية لها من المشكلات . والعمل عنك غريب . انك رغو وفقايق صابون . وههنا فتح جديد ودنيا جديدة . ههنا حروف تنبض حياة . والمجيب انها حروف عربية . وعهدي بالحروف العربية ان عناك الجمود والتقليد والتناق والتناق والفاقة الفكرية والروحية قد نسجت فوقها اكفانا ، وان غبار خمسة قرون قد تكس على تلك الاكفان . سبحان من يحيي العظام وهي رميم !

اول ما طالعني من بعد الفهرس في ذلك العدد الجميل المظهر والتنسيق رسم لجبران خليل جبران . وجه وسيم ، كتيب . شاربان يشبهان شاربني نيتشه . انف دقيق ، مستقيم . عينان واسعتان ، حالتان . حاجبان كثيفان ، مقوسان . جبين عال ، وشعر كثيف ، ويدان لطيفتان ، حساستان . انه رسم حافل بالمعاني والمواهب .

وانتقل من الرسم الى المقال الافتتاحي الذي يليه فاذا به من فلم جبران وعنوانه « ايها الليل » :

« يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين !

يا ليل الاشباح والارواح الاخيلة !

يا ليل الشوق والصبابة والتذكار ! » الخ

فيطربني منه منه قلم يعرف قيمة الحرف ، فلا يمتنها . ويعرف جمال اللون ، والرنة ، والمعنى في الكلمة فلا يفحش بها . ويعرف ان للقلب اوتاره ، وللغفر اوتاره . وهذه ما لم تكن موقعة احسن التوقيع ، ويبد فنان مخلص لفنه ، كان كل ما يصدر عنها نشازا في نهاز .

ثم انتقل من مقال جبران الى قصيدة بعنوان « امني » من قلم

(X) فصل من كتاب « سبعون » المرحلة الثانية - الذي يصدر قريبا عن دار صادر - دار بيروت .

ما يقول : (١)

« على انني اقول لك ان المجلة قد نفعني بانها كشفت لي آثار صديق غاب عن عيني منذ سنين . وقد تركته وعلى وجهه سيماء التفكير ، والاماني تشف من عيني العميقتين حتى تكاد تتجسم بدون خيال . ووجدته الان فرأيت لا يزال يداري امانيه ، وكأنني به يعد بناء عظيمًا للمستقبل ، او يهيء قنبلات جهنمية لهدم بعض ركنات الماضي من الاوهام والخرافات والشرائع .

« ان ما كتبته يا صديقي في مقالاتك عن الاجنحة المتكسرة لجميل وصحيح . قد اعجبني طريقتك جدا ورأيت من نسفك ما جعلني اشد الامل بان اراك في مصاف كتابنا الناشئين لهذا العصر الجديد الذي هو بدء حياة ذهبية لادابنا الشرقية المنحطة . ولذلك ارجو ان تواظب على الكتابة . واقترح عليك ان تطالع كل كتابنا من اليازجي الى الان وتكتب لنا فصلا عن كل منهم ليعلم القوم انهم لم يحصلوا الا على القشور من كل ما مروا عليه من ادب الملح والهجو وصف الكلام الفارغ الثقيل . وعسى ان تكون لنا مثل بيلينسكي عند الروسيين وسانت بييف عند الفرنسيين .»

ما ان تسلمت العدد الذي صدر فيه مقالتي حتى اخذتني حماسة كالتي يخيل الي انها اخذت داود النبي عندما طلب اليه منزلة جليات الجبار . فالخصم عملاق واي عملاق . وهو شديد ، عنيد . ولو انه كان من لحم ودم لكان الامر الى حد . ولكنه تقاليد بعيدة الجذور ، توارثتها أجيال كثيرة على مدى قرون طويلة . انه نمط معيشة ، ونهج في التفكير والتعبير ، انه سرطان في النفس وفي الدم . والمركة معه ستكون حامية الوطيس . وها هي قد ابتدأت . والتراجع عنها يعني التراجع عن احلام عذاب . وعن رسالة حياة . فلنخضها واقفين من قوة سلاحنا . وسلاحنا هو الايمان بقضية الكلمة ، وتزويها عن التبذل والتدجيل والتمرغ على اقدام الاصنام ، وتكريسها لخدمة الحق والعدل والنوق الرفيع .

ومن غير ان اهمل دروسي رحت انهب من اوقات المطالعة والنزهة والنوم ساعات للكتابة . فاحبر المقالات في « الشعر والشعراء » وغير ذلك من المواضيع ، واكتب القصة ، واتبادل الرسائل المطولة مع نسيب بشأن المركة وشان « الفنون » التي كانت حاملة اللواء في تلك المركة ، والبوق الذي يذيع اخبارها . وانغمس في الكتابة الى حد ان انسى كل حاجة سواها . فلا يهمني ان اشغل قلبي بأي حب غير حب القلم . ولا ان الهو بشيء الا بالتفكير والتجبر . فالحلم الذي ما انفك يلاحقني من زمان قد بدأ يتحقق ويتجسد . وها هو نسيب يكتب الي :

« كتابناك في الفنون وقعت على الجرح والالام . والقوم هنا معجبون بها ، وانا اشداهم اعجابا . فارجو لك يا عزيزي ان تشاير على الكتابة اكراما للادب . اكراما للنهضة الادبية التي نريد اثارها . سوف انتظر منك مقالة لكل عدد . وارجو ان لا تذخر وسعا في انتقاد عادات هذه الامة التاسعة » . وفي رسالة اخرى :

« اقول لك ان مقالاتك كلها التي صدرت في الفنون قد احدثت ضجيجا واستحسانا في العالم الادبي في المهجر . ولا شك انها ستحدث نفس الضجيج في العالم المتيق . لم ار اديبا الا وسالني عنك معجبا ، متسائلا : لماذا لم يظهر هذا الكاتب قبل الان ؟ واين كان مختبئا ؟ وقد قال لي رهط من أدباء بوسطن : اننا نتهاقت على عدد من الفنون تهافت الجياح على القصاع لنقرأ فيه قبل كل شيء مقالة نعيمه . وانا

(١) هذا المقال دمجت قسما منه فيما بعد بمقال « الحباحب » المدرج في « الغربال » .

بعيد تلاوتها حتى تتملك من ذاكرتنا فنستطيع روايتها غيبا » .

الا ان تلك الانطلاقة السريعة ، العنيفة ، لم تلبث ان لاقت صدمة قوية . فقد وردتني من نسيب رسالة مؤرخة في ١٥ ايار ١٩١٤ . واليك اهم ما جاء فيها :

« كاني بك وقد حسبتي ميتا مفقودا بعد ان قطعت عنك رسائلي كل تلك البرهة الطويلة . اجل . اني كاليث ايها الحبيب . ولا ينقصني الا من يرثيني بالقصائد المعتاد عليها القوم . لقد خسرت معركتي وسقطت آمالي حولي قتلى . وشاعت الظروف بل شاعت الجهالة السورية ان تقف « الفنون » عند حدها . وذلك لان المشتركين « الكرام » لم « يتكروا » بدفع بدلات الاشتراك في بحر السنة . بل لا يريدون ان يدفعوا قبل نهاية السنة ... والان وقد فرغ مالي وبخل علي المشتركون بما عليهم فليس لي الا ان اف . وقد وقفت . ولا ادري اتتحرك رجلاي فيما بعد ام تيبسان الى الابد ... ان قيمة زهيدة (كبيرة جدا عندي ) تبلغ ٢٠٠ ريال تنقذني .. وتنقذ « الفنون » .

« الفنون قد اذقتني من العذاب فنونا . قد بذلت في سبيلها كل شيء . ولما بدأت اشعر اني فزت غلبتي الماديات . نعم . قد فزت ايها الصديق بجعل الفنون محبوبة في كل اقطار العالم العربي . وتهافت عليها المشتركون مؤخرا من سوريا ومصر والبرازيل والارجنتين حتى امنت عليها مستقبلها ... اما انت ايها الحبيب فلا تقنط معي . بل شجعني دلي امانيك معي .. وكل ما ارجوه منك ان لاتساني . بل شجعني بكتابناك المحيية الى ان تحين اوقات الحياة ..

« قد كان المنفلوطي سألني ابداء رأي في نظرائه . فحولتها اليك . فاذا ساعدتك اوقاتك فاكذب واشف غليلي من هؤلاء « الكتبة » .

« لاتقطع حبال امالك . فقد امكن قبل شهر تموز من اعادة الفنون .. » فكتبت اليه اقول ان الصلة التي جددتها « الفنون » بيني وبينه بولادتها قد زادت وثقا بموتها . وان الامال التي بعثها فينا ستبقى تتجدد تجدد الفصول . فلا مجال للندب والقنوط . وبني ما يشبه اليقين بان المجلة ستعود الى الظهور .

بعد ثلاثة شهور من وقوع « الفاجعة » وصلتني نسخة من كتاب « دعمة وابتسامة » لجبران . وكان نسيب هو الذي قد تولى طبعه في مطبعة « الفنون » . وقد ارفق النسخة برسالة جاء فيها : « ... لم ازل معلقا عودي على صفصاف بابل أنوح على اورشليم ... ارسلت اليك اليوم بالبريد كتاب دعمة وابتسامة .. فارجو منك ان تكرر فلكم لكتابة فصل انتقادي عنه . فقد كلفني المؤلف ان ارسله اليك واكتب عليه « يرسم الانتقاد » . لا اعلم الى اين تستطيع ان ترسل مقالاتك وبأي الجرائد تخصصها . فاني اظن بها ان تنشر مع ما ينشرونه من الترهات والسفاسف . ولكن للضرورة احكام ... »

وقد « حكمت الضرورة » ان ينشر المقال في جريدة نصف اسبوعية كانت قد برزت حديثا الى الوجود في نيويورك باسم « السائح » وصاحبها عبد المسيح حداد - احد رفاقنا في الناصرة . وكان المقال بعنوان « اخماس واسداس » اُطريت فيه فن الكاتب وبراعته في تلوين الكلام ، وابتكار الاستعارات والتشبيه ، وبث الحياة حتى في الجماد . ونصت عليه توغله في الرومنطيقية والسنتيمنتالية . وعلى الاخص في تصوير الاشخاص ، بحيث يبدو كما لو كانوا دمي ، لا بشرا من لحم ودم .

لقد جاء احتجاج « الفنون » صدمة للحركة الطالعة - ولكن الى حين .

ميخائيل نعيمة





## الى قريسة!

ماذا .. إذن .. تتوقعين؟  
يا بضعة امرأة .. أجيبي ..  
ما الذي تتوقعين؟  
أظللُ اصطادُ الذبابَ .. هنا ..  
وأنتِ تدخنين ..  
أجترّ - كالحشاش - أحلامي  
وأنتِ تدخنين ..  
وأنا .. أمام سريرك الزاهي  
كقطّ مستكين  
ماتتْ محالبه  
وعزّتْهُ  
وهدّته السنين  
أنا لن أكون - تأكدي -  
القطّ الذي تتصورين ..  
قطّاً ..  
من الحشب المجوف ..  
لا يجرّكه الحنين ..  
يفغو على الكرسي  
إذا تجرّدين ..

ويردّ عينيه .. إذا انحصرتْ  
قبابُ الياسمين ..  
★  
تلكَ النهاية .. ليس تدهشي  
فمالكِ تدهشين ..  
هذا أنا ..  
هذا الذي عندي ..  
فماذا تأمرين؟  
أعصابي احترقت ..  
وأنتِ ..  
على سريركِ تقرأين ..  
أصومُ عن شفتيك ؟  
فوقَ رجولي ما تطللين ..  
ما حكمتي ..  
ما طيبتي ..  
هذا طعامُ الميتّين ..  
★  
متصوف !  
من قال ؟ إني آخرُ المتصوفين ..

أنا لستُ يا قديستي  
الربّ الذي تتخيّلين ..  
رجلٌ أنا .. كالأخرين ..  
بطهارتي ..  
بندالتي ..  
رجلٌ أنا .. كالأخرين  
فيه مزايا الانبياء ..  
وفيه كفر الكافرين  
ووداعةُ الاطفال فيه ..  
وقسوةُ المتوحشين  
★  
رجلٌ أنا ..  
كالأخرين ..  
رجلٌ يحبّ - إذا أحبّ -  
بكلّ عنف الأربعين ..  
لو كنتِ يوماً تفهمين ..  
ما الأربعين ..  
وما الذي يعنيه حبُّ الأربعين ..  
يا بضعة امرأة ..  
لو انك تفهمين ...  
نزار قباني

# ثورة الادب وأدب الثورة

بقلم الدكتور  
محمد مندور

لتيارات الفكر الثوري مجراها ، والا ارتطم هذا الفكر بالصخور وتحطم على واقعها البليد . ومما لاشك فيه ايضا ان الاديب الثائر الذي يريد ان يقود الحياة لا ان يقنع بان يكون لها صدى فحسب ، مثله كمثل قائد الجيش الذي لا يحسن به ان يسبق جيشه بمسافات طويلة تقطع الصلة بينهما والا كان مصيره الحتمي الى الهلاك ، واذا كان من واجبه كقائد ان يتقدم الصفوف فان من مقتضيات الحكمة والحصافة ان يظل مع ذلك على مقربة من جيشه الذي يستمد منه قوته . واضرب لذلك مثلا بأديب يتحدث عن بؤس لا وجود له اولم تأخذ حلقاته بخناق الشعب بحيث لا يكاد الشعب يتبين من حديث الاديب الثائر سبب بلواه ومصدر محنته ويعي كل ذلك حتى يهب للتخلص من ذلك البؤس . ومن المؤكد ان الثورات الكبرى كالثورة الفرنسية والثورة الروسية ثم الثورة العربية الاخيرة كانت تضاريس الحياة تنهى لها الجرى الذي سار فيه المفكرون والادباء والفنانون كرواد وقادة لكي يجذبوا وراءهم جماهير الشعب ، ولولا المظالم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سبقت تلك الثورات لما انتجت ثورة الادب والفكر شيئا ولا قامت على اثرها ثورات عاتية .

وثورة الادب لاتخذ طابعا واحدا بل تتنوع مظاهرها ومناهجها بتنوع فنون الادب المختلفة فالادب الموضوعية كأدب القصة وأدب المسرحية تسلك في ثورتها مسلك الواقعية النقدية لاوضاع الحياة الفاسدة باعتبار ان نقد الواقع الفاسد هو الذي ييث الوعي بهذا الفساد فيضع خميرة الثورة في النفوس . وباستطاعتنا ان نلاحظ ان الواقعية النقدية في الادب قد سبقت دائما الثورات الكبرى ومهدت لها في كافة الادب التي أشرنا اليها . واما الشعر فهو في الغالب الاعم الذي يعلن الثورة صراحة ويدعو لها المواطنين معتمدا على الوعي الثوري الذي ييث الادب الموضوعي ، ادب الواقعية النقدية . واذا كنت استطيع ان اضرب مثلا لادب النقد الواقعي بثلاثية اديب فرنسا الثائر « بومارشيه » وهي مسرحيات : « حلاق اشبيليه » و « زواج فيغارو » و « الام الائمة » التي انتقد فيها الكاتب انتقادا ساخرا مرا سيطرة النبلاء ، واهداهم لكرامة الشعب الى حد الدخول بزوجاته في اول ليلة من ليالي العرس فانني استطيع ان اکتفي في

اقتراح الصديق سهيل ادريس ان اكتب عن هذا الموضوع لعدد الادب الممتاز ، وقد بدا لي الموضوع عند الوهلة الاولى من الالغاز او مما يسمونه في علم الحساب بالتوافيق والتبادل ولكنني لم اكد افكر فيه حتى اخذ يثير في نفسي عدة قضايا فكرية وفنية خطيرة .

فالموضوع كما هو واضح ينقسم الى شطرين اولهما : ثورة الادب ومتى تكون تلك الثورة وكيف تكون في ضوء الادب العالمية وضوء ادبنا العربي وبخاصة ادبنا الحديث . وثانيهما : ادب الثورة وماهيته ووظيفته واتجاهاته وأوقات ظهوره في ضوء نفس الادب التي ذكرتها .

## ثورة الادب

واول قضية تثيرها ثورة الادب هي : هل ينبغي للادب ان يكون قائدا للحياة والمجتمع وثورتها ؟ ام يحسن به ان يقتصر على ان يكون صدى لهما ، وهذه قضية تتصارع حولها مذاهب الفكر والفن . فهناك مذهب يزعم ان الاوضاع المادية للحياة هي التي تتحكم في كل شيء وهي التي تدفع الى الثورات عندما تقتنع الشعوب بفساد تلك الاوضاع وتحس بالحاجة الى تغييرها على النحو الذي يضمن لها قدرا اكبر من السعادة والرخاء ، وذلك بينما ترى مذهباً او مذاهب اخرى تزعم ان الفكر والفن هما اللذان يحدثان الثورات وان ثورة الادب هي التي تمهد لثورات الشعوب وتضرم نارها وان البؤس نفسه لا يحرك الشعوب وانما يحركها الوعي به ، والادب هو الذي ينفث هذا الوعي ثم يستثيره ، وان الاوضاع المادية قد تظل متحجرة فسي فسادها حتى يثور الادب فيكشف عن ادراجها ويث روح الثورة ضدها .

وباستطاعتي ان اعترف في صدق ان هذه القضية قد كانت ولا تزال من مشاغل حياتي الفكرية الكبرى التي عرضتها على الكثير مما قرأت في الادب والفنون والفلسفات ومذاهب السياسة والاجتماع ، واعتقد انني قد وصلت فيها الى حل يرضيه ضميري العلمي والفني .

فمما لاشك فيه انه لا بد ان تمهد تضاريس الحياة



الاجتماعية فيخاطب الشاعر الواقع الاجتماعي التأسر  
زميله الرومانسي الحالم قائلا :

في سماء الخيال ضم جناحيك - تقع بيننا - فتصبح منا  
دع جمال الخيال وادخل كهوفا للعلايين وارو للكون عنا  
انما الفن دمة ولهب - ليس هذا الخيال والنيه فنا

### ادب الثورة

واما بعد ان تستعمل الثورة وتحقق اهدافها فلا بد ان  
يغير الادب من اتجاهه ووظيفته ولا بد ايضا من ان يتغير  
توزيع فنونه فلا تعود في الغالب للشعر القيادة وانما ينهض  
الادب الموضوعي من قصص ومسرحيات بمهمة تعميق المفاهيم  
الثورية واهدافها وتناجها الخيره في نفوس المواطنين حتى  
تستحيل عواطفهم الثورية الى مبادئ فكرية يؤمنون بها  
وعلى اساسها تستقر اوضاع المجتمع دون هزات عاطفية  
جديدة ومن المؤكد ان الثورات لا يمكن ان تستقر الى نصر  
نهائي قبل ان يعمق الادباء والمفكرون مفاهيمها في نفوس  
الشعب وينزلوها منها منزلة العقيدة والايمان . والقصص  
والمسرحيات ربما كانت اقدر على ذلك من الشعر لانها  
تلجأ الى الحكاية والمثل الجسمين لتعميق تلك المفاهيم .  
ومن المؤكد ان هذه الحقيقة قد كانت من العوامل الاساسية  
التي اخذت تدفع شعرنا المعاصر بعد ثورتنا الاخيرة نحو  
القصة والدراما القصيرة تتخذ منهما موضوعا للقصاصد  
حتى يساهم الشعر ايضا في المهمة الكبرى التي يساهم بها  
الادب المسرحي والادب القصصي . واذا كان وجدان  
الشاعر الفردي او الجماعي لابد ان يتخلل قصائده القصصية  
او الدرامية الا ان ذلك لا يمكن ان يفقد مثل هذا الشعر  
طابعه الموضوعي او ان يغير من مهمته في تعميق مفاهيم  
الثورة عن طريق الحكاية والمثل الجسمين وان كنت لاحظ  
ان ادبا الموضوعي لا يزال يلتمس موضوعاته من عهد ما قبل  
الثورة ولم يستطع حتى اليوم ان ينتقل بكل قوته ومداه الى  
عهد ما بعد الثورة ليصبح حقا ادب ثورة لان هذا التحول  
الكامل يحتاج فيما يبدو الى زمن اطول والى بلورة اعمق  
لمفاهيم ثورتنا الاخيرة ومبادئها .

واما عندما تتعرض الثورة لهزة من الهزات يفعل بها  
الادباء والفنانون فهنا نرى ادب الثورة ينبثق كالوهج المضيء  
المحرق . ولعلنا نذكر جميعا ذلك الفيض الزاخر من  
القصص والمسرحيات والقصائد والاناشيد والاغاني التي  
اندلعت اثناء العدوان الثلاثي على الاقليم المصري مثل نشيد  
« الله اكبر » واغنية « دع سمائي فسمائي محرقة » ...  
الخ ولم يقف هذا الفيض عند ادباء الاقليم المصري وحده  
بل امتد الى ادباء الامة العربية كلها فخلف لنا هذا العدوان  
ثروة ضخمة من الادب الثوري الخالد .

التدليل على ثوره الشعر المباشرة ووظيفته في استثارة  
النفوس استثارة عنيفة بهذه المقطوعة التي قالها احد  
شعرائنا الشبان قبل ثورتنا الاخيرة وتعتبر من اقوى  
ما قيل في شعرنا العربي المعاصر :

أيها المغمض المذبذبال بالليل تطلع لنور فجر جديد  
انا أشقى وانت تشقى وهذا ما حفظناه من تراث الجدود  
غير اني اليك ابلل روحي كي ينال الحياة بعدي وليدي

✱

يارفيقي ونحن جرحان مران يسيلان من دم وصديد  
يارفيقي ونحن روحان حران يضجان في حديد القيود  
يارفيقي انا وانت وعمي وابن عمي جماعة من عبيد  
انا ابكي وانت تبكي ولكن لن يفل الحديد غير الحديد

✱

انا صوت مضيق لن يقويه انفجاري به ولا ترديدي  
فانطلق وانفجر معي يتعالى ذلك الصوت صارخا بالوعيد

✱

يارفيقي في العرى والجوع والكد كفانا عهود عري وجوع  
قد شربنا في كأسنا عرق الجبهة والدم ذائبا في الدموع  
ذهب العمر كالخريف بوادينا وماتت زهورنا في الصقيع  
نحن من يخلق الربيع ويرنو عاريا باكيا لحسن الربيع

✱

يارفيقي ونحن ننحت في الصخر قصورا ونزوي في قبور  
افمن تخلق السمادة كفاه يعانني في كهفه المهجور  
افمن يخلق البطولة والابطال يرضى بعالم مغمور  
ياجيوش العبيد ارفعك الظلم فقومي الى الكفاح وثوري  
امل مساج في الصدور فاحياها وضجت به حنايا الصدور  
أيها المغمض المذبذبال بالليل تطلع لنور فجر جديد  
انا ابكي وانت تبكي ولكن لن يفل الحديد غير الحديد

ومما لاشك فيه ان الشعر هو الفن الادبي الوحيد الذي  
يستطيع ان ينبض بمثل هذه النغمات الثورية الحارة  
كاللهب كما ان الشعراء ربما كانوا اكثر حساسية واسرع  
انفعالا واغوى ارهاصا بتيارات الحياة ومداه الثوري من  
غيرهم ، ثم ان الشعر قد كان ولا يزال فنا التقليدي الاول  
الذي تبدأ الثورات الادبية به بل قد نراه يثور على الادب  
نفسه ويطلبه بالتحول الثوري من اتجاه الى اخر فنراه  
مثلا يدعو بالتحول عن الذاتية الرومانسية الى الواقعية



# أديبنا الثوري والموقف الحضاري

بقلم حلمي حفصاء الجبوري

## ١ - الأديب الثوري والتراث العربي

الأديب الذي لا تراث له أديب ضائع ، فالأدب والفن يتسلسلان في الأمم حاملين خصائصهما الأصلية المتميزة والتي تسند أي نتاج تجيء به أجيال من الخلفين . في تسلسلهما عبر العصور يتطعمان بالروافد الجديدة ، بنكهات آداب وفنون النقيها ، وبطابع العبقريات الأدبية المتلاحقة التي تتولى الأدب عصرا بعد عصر . ولكن الخصائص الأصلية التي تميز أدب أمة وفنها وروحيتها تلازم كل نتاج جديد مبدع . أما الدعوة إلى التشبث بأصالتنا ، فهي من حيث جوهرها ومعناها المباشر ، دعوة صحيحة - غير أنها ما زالت دعوة مبهمة تحمل معها مزالق كثيرة حتى لأصحابها ، إذ أن علينا أولا أن نقرر ما هي خصائص هذه الأصالة وما هي معالمها البارزة ليكون لدعوتنا قيمة وفائدة - ولكي نستطيع أن نقرر هذا فإنه من البديهي أن نكون ملمين ، الماما دقيقا ، بالتحول الذي جرى في شخصيتنا وحياتنا ، حتى نتمكن من التفرير فيما إذا كان أي أدب عربي معاصر معبرا عن الشخصية العربية الجديدة وعن الحياة العربية المستحدثة ، أم دخيلا عليها . وأنه ليس صعبا أن نجد من بين أولئك الذين ينبرون لنقد أدبنا وحياتنا من يحاول أن يوظف معالم الشخصية العربية المعاصرة ضمن أطر يملؤها عليه اتجاه عقائدي وعاطفي ، فيقرر لها سلفا معالمها وأوصافها دون تمحيص وتعمق ويحكم على الأدب وعلى أصالته بناء على هذه التاثيرات القسرية .

وهناك ناحية ثانية ، اعتبرها أنا ، من وجهة نظر فنية ، شديدة القيمة: هي أن الإبداع يحمل أصالته معه . فليس هناك إبداع مصطنع ، أو مزيف أو دخيل . فالدعوة إذا إلى التشبث بالأصالة إنما هي دعوة موجهة إلى غير المبدعين - غير أنها على كل حال ضرورية ، إذ أنها تستطيع ، إذا عرفت كيف تفصح عن نفسها بوضوح وحكمة ، أن تهدي أولئك الذين حملوا بذرة الإبداع ولكن لم يعرفوا كيف يشقون لها منفذا سريعا خلال اشكالات الضياع الثقافي والفني التي يقعون فيها . انهم معرضون للوقوع في هذه الاشكالات بحكم جدتهم في ميدان الثقافة الحديثة (١)، ولهفتهم ، وحيرتهم، وضعف التراث المباشر الذي يربطهم بتراثهم القديم . وعندنا امثلة رائدة على شعراء أو كتاب عرب معاصرين صرفوا في التيه سنوات من حياتهم الأدبية ، إلى أن وجدوا أنفسهم وانطلقوا

(١) لعل من أهم ميزات الثقافة Culture هي أنها تحتاج ، لكي تكون متمكنة في الأجيال والأفراد ، إلى عراقة موروثية من جيل إلى جيل ، إلى ما يمكن تسميته « بالاختصار الثقافي » .

## إلى آفاق الإبداع .

ان يقظتنا على حاضر ضحل في مطلع هذا القرن ، قد أوجد عندنا الشعور بالصغار . أمام روائع تراثنا القديم . لقد كان التراث وما زال يعني عند الكثيرين قيمة مقدسة ، لا من حيث روعتها وقيمتها الفنية فقط ، بل من حيث كونها المثل الذي لا يضاهي للإبداع الفني - حتى أننا نجد عددا كبيرا من الشعراء والمهتمين بالأدب يعتبرون بناء القصيدة القديم الشكل الوحيد الممكن للقصيدة العربية . وقد فاتهم امران : الأول هو أن القيمة الإبداعية لأي عمل أدبي في أي عصر لا تزيد على غيرها في أي عصر آخر - فدروات الإبداع متكافئة في تاريخ الفن - وكذلك روائع الماضي لن تفوق روائع هذا العصر ، أو روائع المستقبل - وكذلك لن تفوق روائع الحاضر والمستقبل روائع الماضي قيمة وجَمالا . أن أدبنا اليوم وأدبنا المستقبل سيكون أكثر تعقيدا بالنسبة لتعقيد حياتنا وتجمع التجارب الإنسانية والفنية عبر التاريخ ، وسوف يختلف أسلوبا ، ما في ذلك من شك ، فكل عصر طابعه . أما من حيث القيمة الفنية ، فإن العصور الحضارية جميعها قد أنتجت أدبا رفيعة لا أرى أن مفاضلتها ممكنة .

أما الأمر الثاني: فقد فات هذه الفئة التي تعطي الأفضلية للماضي أن الإبداع يجب أن يكون معبرا عن روح العصر متفاعلا بها - وأن كل عصر يبدع أسلوبه الخاص . ولعل هذه الجماعة من الأدباء لا تنكر على النثر أن يعكس روح العصر في أسلوبه - فإذا جئنا إلى الشعر قامت الدنيا وقعدت أزاء أي تغيير في الشكل - وفي هذا تناقض وتجاهل لحقيقة تطور الشعر في الأمم .

وهنا لا بد من التنبيه إلى هذا الشطط البالغ في نظرة الأغلبية عندنا إلى اللغة والشعر العربي . أن لكل من اللغة والشعر عند الأمة ميزاتها الوطنية الخاصة - ولكن هناك قواعد تطويرية عامة يسيران عليها - فكما أن البشر يختلفون في ميزاتهم الفردية والشعبية ويتفقون في الخصائص العامة - فإن اللغة والأدب اللذين ينبعان من الإنسان ويعتمدان عليه في تطورهما يتفقان مع لغات العالم في سنة التطور . وأن من المضحك أن نستمر في الإصرار على أن اللغة العربية تنفرد بعدم الخضوع لسنة التطور العامة للغات وأن الشعر العربي يتفرد بميزة البقاء السرمدي على شكله القديم والمحافظة في نفس الوقت على استمرار الإبداع .

وفي المقابلة التي يجريها عدد من الكتاب بين أدبنا المعاصر وأدبنا الموروث نجد أن بعضهم يصل إلى حد الاستنكار إذ يلمس التغيير الكبير الذي طرأ على الأدب العربي في العشرين سنة الأخيرة . ولم يفت عددا

منهم ان يحسب بعض هذه التفريات بدعا لا تحمل شيئا من اصالة الماضي وقوته و« كماله »، غير ان هناك حقيقتين معروفتين لا بد من تسليط الانواء عليهما من زوايا جديدة اذا اردنا ان نقف على قوة الصراع الذي واجهه ادباء هذا الجيل وعلى قيمة المآثر التي حققوها .

١ - الابتداء من نقطة الصفر : فالحقيقة الاولى هي ان ادبنا القديم يفتقر الى فروع اساسية كالفنصة ( بمعناها المعاصر ) وكالمسرح والادب الشعري (١) ، والادب مضطر الى الاستعانة المباشرة بالادب الغربي الذي وصل الى نصجه واصبح له تكتيكه وفنونه وقوانينه ومفاهيمه . غير ان الادب العربي مهما درس التكتيك الغربي ووعاه فسيبقى عنده، على الغالب ، ناحية ضعف لا مجال لقهرها : وهي ان الانسان مهما عذب من تراث حضارة اخرى ومهما تمثل هذه الحضارة ، فان عطائه الادبي يجب ان يستمد جذوره المباشرة من تراثه هو ومن حضارته ، فاذا لم يكن عندنا قصص فني ممتاز في الماضي فان محاولة تلافي هذا النقص ستكون شاقة جدا على الاديب الذي يتبدى من نقطة الصفر . ان الابداع الادبي ، يتم على احسنه ، عن طريق تمثلا لما ابداع عن حياتنا بلفتنا ، اي للروائع التي تحدثت مباشرة من تراثنا ، غير ان هذا لا يمنع ان يتأثر الاديب تأثرا مباشرا ايضا بما ابداع في آداب لغات اخرى - ولكنه ، على الغالب ، يظل مفتقرا الى طابع الاصالة الكاملة اذا كان تراثه خاليا من الفرع الادبي الذي يكتب فيه واضطر الى الاستعانة فقط باداب لغات اخرى .

هذه قاعدة اجمالية وان كنا نردف فنقول بان العبقري طالما حملت للعالم مفاجآت تخترق السنن والقواعد وتتحداهما .

٢ - عهد ركود طويل : اما الحقيقة الثانية فتتعلق بتطور ادبنا . ففي دراستنا لتاريخه تواجهنا حالة فريدة وهي ان ادبنا توقف عن التطور وتجمد مدة تجاوزت اربعة قرون طويلة . كان الادب العربي مزدهرا من الجاهلية حتى ما بعد انكسار شوكة العرب بزمان - ولعل عددا من ارقى مؤلفاتنا لم يوضع الا بعد ان بدأت الامبراطورية العربية تتمزق ، والا بعد ان اصبحت الحياة العربية على شيء كثير من عدم الاستقرار والقلق - وذلك لان تآثر الثقافة والادب بالحضارة يحتاج الى اجيال كثيرة من الاختمار ويستمر بعد زوال عنفوان هذه الحضارة بمدة . ولو زالت حضارة اوربا المادية والعلمية دفعة واحدة اليوم مثلا فاني لا اشك في ان العطاء الادبي والفني سيستمر بعد زوال اسباب الحضارة المادية . بعد ان مضت على العرب اجيال من الاستعباد عقب انحلال الخلافة العربية نهائيا ، واستطاع الاتراك ان يسيطروا على البلاد العربية سيطرة سياسية وفكرية تامة ، وقع العرب فيما يشبه النحول وبدأت الشخصية العربية تنحل وتركد . وان ركود الشخصية وجمودها لاخطر شيء على الادب والفن ان في حياة الافراد الموهوبين وجمودها لاخطر شيء على الادب والفن ان في حياة الافراد الموهوبين انفسهم او في حياة الامم . ومضت القرون والنتاج الادبي الهزيل غارق في تفاهاته وغشائاته ، فلما تسلمناه نحن في هذا العصر رفضنا ، بصورة حاسمة ، كل هذا الادب التافه الذي انتجته الشخصية العربية الجامدة في عصور الانحطاط ، ودفناه بايدينا ، وتناولنا ادبنا القديم سالما كما كان في عصور ابداعه ورحنا نبني عليه . غير ان الهوة الطويلة

(١) لم يخل ادبنا من بعض التجارب الملحمية خلوا كاملا - فهناك مثلا ارجوزة ابن المعتز الطويلة في مآثر العباسيين وهناك في الادب العامي قصة بني هلال الملحمية الخ . . . . .

الفاصلة بيننا وبينه والتي قطعت حبل استمراره في العطاء ، وقفت تمثل لنا مشكلا شائكا ينطوي على الكثير من التحدي . فهل كان ممكنا ان يأخذ الادب طرف الحبل المقطوع ويسلم نفسه ببساطة الى عملية تطور طبيعي متجاهلا عهد الجليد الطويل بين الادبين ؟ هل كان ممكنا ان تستأنف الشخصية العربية عملها الادبي وكان شيئا لم يحدث خلال هذه القرون الطويلة ويغيرها وكان الحياة الجديدة لم تتفتح على مشكلات ومواقف لم تألفها الحياة القديمة ولم تعرفها ؟

وفي بداية النهضة اضطر ادبنا ، في محاولاته اللاهفة لاستعادة الاصالة القديمة في اللغة والتعبير ، ان يفسط شخصيته المبلبله باطار الشخصية القديمة وان يتناول التعبير القديم جاهزا ويتقمص المواقف ووجهات النظر التي كان يعبر عنها الادب القديم لانه لم يكن قد وجد نفسه بعد . كان الادب العربي يتزعزع في هذا القرن مع السنين وهو يبحث عن امرين - العودة الى الاصالة القديمة ، وهذا كان منه بحثا واعيا افاد الكثيرين ولكنه اوقع الكثيرين في التقليد والاتباعية واوجد عندنا بالنهاية جيلا من الرجعيين ، ثم التعبير عن الاصالة الفردية ، عن الشخصية المعاصرة ، هذا كان منه الى عشر سنين ونيف خلت ، بحثا لا واعيا اوقع البعض في بلبلات الضياع بين الادب الغربي والعربي واوجد في جيلنا جماعات من المقلدين والزائفين .

ولم تستطع فروع الادب جميعها ان تتطور وتتقدم بنفس السرعة ، فقد سبق النثر الشعر بمراحل ، واستطاع خلال فترة وجيزة ان يلحق، من الناحية التعبيرية والاسلوب ، ببساطة النثر العالمي ومرونته في هذا العصر - وان كان لاقى من الناحية اللغوية ، اي من ناحية المفردات مصاعب عديدة لم يتغلب عليها جميعها حتى اليوم . اما الشعر فقد كان تطوره اقصى على اصحابه ، فانهم حملوا عدوى القوانين التي فرضها النقد القديم على الشعراء ، كما وان الشعر لم يكن مدعوا كما كان النثر لتلبية حاجات التعبير اليومية عن كل مرافق الحياة .

غير ان تفاعل الشخصية الانسانية مع الفن اثبت موجوديته يوم راح الشعر المعاصر يعكس التيارات الادبية واحدا بعد الآخر وفي اقل من اربعين سنة تقلب الشعر العربي في اطوار كثيرة استغرقت قرونا عند سوانا ، وتنقل من الكلاسيكية الجديدة المثلثة في شوقي ومعاصريه الى شبه الرومانطيقية المثلثة في ناجي والشابي وطه ومئات من الشعراء الذين نظموا في العقد الرابع والخامس من هذا القرن ، الى الرمزية التي برزت الى الابدان في العقد الماضي ممثلة في سعيد عقل وبشر فارس الى الواقعية المثلثة في الشعراء الشباب من العراقيين وسواهم . ورافق ذلك دعوات لتحرير الشكل الشعري وتجارب في الشعر الحر والموسيقى الشعرية بدأت في اوائل العقد الرابع وفشل أغلبها الى ان نجحت حركة الشعر الحر في العراق في اواخر العقد الماضي .

ورافق تحرر الشكل الشعري تحرره في المضمون وقامت دعوات صارخة لتخليص التعبير الشعري من اتباعيته وبدأت الشخصية الشعرية العربية تلج عن وعي منها أن تعب عن حياتها المعاصرة وأن تعب بمسا يتلاد مع عصرها من وسائل .

هذه طفرات سريعة خاطفة ، ولعل سرعتها تفسر لنا شيئا من هذا الرهق ومن هذا الاعياء الذي يبدو على بعض نماذج شعرنا المعاصر ، فكانه يسابق الزمن ليدرك مكانه وليتعرف على روح عصره وليحاول ان يمثلها وان يترجمها من جديد الى العالم . غير اني مؤمنة بان الشخصية الشعرية العربية قد بدأت تجد نفسها . انها لا ينقصها الموهبة ولا المعرفة

النظرية بمقاييس الادب الرفيع حتى تصل الى درجات الابداع ، وانما ينقصها تعمقها لنفسها ، وتمرسها على الحياة الفنية ، وفهمها لطبيعة وظيفتها « الشاعرة » ، وقبل كل شيء تطورها العقلي والروحي والاخلاقي الذي يؤهلها للمساهمة في ابداع الجمال والمشاركة ، لا في اغناء التراث العربي وحده ، بل الارث العالمي ايضا .

✱

هذا نحن من تراثنا . ان احترام التراث لا يكون بابقاء الادب على امثولة هذا التراث بل بتركه يعيش معنا ومع ادبنا ويلون تفوقنا ، ويعلمنا ، ويزيد في غنانا ، ويقوي من تعبيرتنا التي يجب ان تحتفظ بمصيريتها في الوقت ذاته اذا اردنا ان ننتج ادبا رفيعا . يجب ان يتغلغل التراث وينوب في العمل الفني المعاصر . ان هذا يتم حين نستطيع ان نستشيق الاصاله العربية وروح التراث في القطعة الفنية دون ان نعثر على مواد خام لهذا التراث فيها .

واحترام التراث يكون ايضا باحيائه ، بالعمل على تدقيق مخطوطاته الفيرة العدد المكثسة باسطامبول والاسكوريال والمغرب وغيرها ، وعلى احياء شعراء وادباء قدامى ابدعوا في فنههم ولكنهم ، لسبب او لآخر ، لم يستطيعوا ان يفرضوا انفسهم على الذين ارخوا التراث او على الذين احيوا منه ما كان ابرز واشهر ، الشهرة مزلق هين للانسان . واحترامنا للتراث يكون بفهمه وباعادة تفسيره ، وبنقده فنيا وبالتجديد اعتبارا لنا له وبتغيير بعض ترتيباتها .

## دار الثقافة - بيروت

تقديم بالاشتراك مع

مؤسسة فرنكلين - للطباعة والنشر

# لبنان في التاريخ

تأليف الدكتور فلييب عتي

ترجمة الدكتور أنيس فرجيه مراد الدكتور نقولا زياره

يحتوي هذا الكتاب على تاريخ لبنان المطوّل منذ العصور القديمة حتّى عصرنا هذا

٧٥٠ صفحة من القطع الكبير مزينة بأجمل الرسوم والصور والخرائط . ورقه أبيض سميك طباعة أنيقة . بمئة ١٠ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

يطلب من الناشر دار الثقافة ص.ب. ٥٤٣ - بيروت ومن المكتبات الكبرى في عموم البلاد المحررة

ويكون احترامنا لشخصيتنا واخلاصنا للفن وهذا اول اخلاص يدبسن به الفنان الاصيل بالوقفة التي نتخذها من مواطن الضعف في تراثنا ، بتخلصنا من العاطفية الزائدة التي تجعل من تعلقنا بقديمتنا شبه مرض ادبي يضعف من ثقتنا بانفسنا ، برفضنا ان تحكمننا نفس القوانين التي فيدهته ومنعته من الانطلاق ، بتكمننا من ان نميز ونفاضل ونقرر أيسن تقع عبقرية كمعقربة الجاحظ العظيمة مثلا بين عشرات المصنفين والكتاب الذين حفل بهم عصره والعصور التي تلته .

## ٢ - الاديب الثوري والحضارة العالمية

لست معنية هنا بما يرافق الحضارات من تقدم علمي واقتصادي وصناعي فهذه وحدها لم تكون يوما ما حضارة ، وهذه وحدها يمكن الوصول اليها في فترة وجيزة من الزمن اذا توفرت الامكانيات المادية والارادة ، كما حصل في روسيا مثلا ، كما وان التقدم في هذه المجالات لم يكن خيرا على الانسانية فان لم يكن من نتائجه سوى الاستعمار والقبيلة الذرية لكفى . وانما ركيزة الحضارة الاولى هي خيال الانسان المبدع وما اعطاه من فن وفكر واخلاق ووعي انساني ودفق روحي . وهذا ما يجعلني ارى الحضارات جميعها عبارة عن طفرات تنتقل بين الامم ، فالامم تتناقل حمل الحضارة امة بعد امة مضيئة اليها من روحيتها شيئا خاصا . ولو راجعنا التاريخ العالمي لوجدنا الحضارة في امة ما تقوم ( وبسرعة فائقة احيانا كما حصل للعرب ) وتزدهر بكل خصائصها المتميزة واسلوبها المتلون بروحيتها ثم تخدم وتضمحل لتحمل مشعلها امة اخرى . فليس في حمل الحضارة اي احتكار ، ومن المخجل ان يعتقد احد بهذا . وهذا ما يجعلني انظر الى كل حضارات العالم على انها تخصني بالمشاركة الانسانية ، وعلى اني وريثتها بقدر ما استطيع ان اتمثلها واهضمها . وروحية الهند مثلا التي حملتها الى العالم نفسية غاندي العظيمة ، لا تخص الهنود وحدهم بل تخصنا نحن ايضا ، اذا عرفنا كيف نفهمها وننأثر بها .

ومهما حاولنا ان نبرز الفروق بين حضارة الاخرين وحضارتنا فان الحياة الحديثة ستقرب ما بين هذه الفروق وتزيل عددا منها . ان الحياة الحديثة ستقرب بينها أولا لكثرة اختلاط البشر وسهولة اتصال الشعوب بعضها ببعض ، وثانيا للنزعة الحديثة نحو المشاركة العالمية في الفكر والثقافة والسياسة والعلم ، وثالثا لان الفكر المعاصر يركز على قيمة الانسان ويتخلى عن الدين او يتجاهله ولقد كانت الاديان دائما عنصرا من اهم العناصر التي ميزت الحضارات واقامت الفروق بينها .

وهما كان رأينا في مستقبل حضاري منسجم في العالم كله يقرب بين الحضارات جميعها ، فانا لا نستطيع ان نتجاهل هذا الاتجاه في سير تيار الحضارة العالمية ، وعلينا ، اذا كنا اذكياء ، ان نفكر على هذا الصعيد . ان التقريب بين الحضارات لن يحرم الامة الواحدة من ميزاتها الاصلية اذا كانت ذات قيمة انسانية غير ان الامم في المستقبل قد لا تتفرد بحضارة مستقلة بل بتيار خاص ضمن الحضارة

- التتمة على الصفحة ٩٩ -



## ادبنا الثوري والموقف الحضاري

- تنمة المنشور على الصفحة ١٤ -

العالمية الشاملة .

اما اليوم فان استفاقنا الثورية على حضارتنا وعلى حضارة العالم بعد ركود طويل تحمل في صلبها معانسي وامكانات باهرة قد نتمكن من انتهازها وقد لا نتمكن . ان قولي هذا لا يحمل ضعفا في الايمان او ميلا الى التشاؤم ولكنه يعكس من الناحية الموضوعية العلمية حقيقة الامكانات التي قد نلتقيها خلال السنوات القادمة . فهل سنستطيع مثلا ان نقد انفسنا من الروح التجارية المربعة التي تميز الحضارة الغربية ، من السلبية وفقدان الشخصية في العمل والحياة اليومية وضروب الترفيه ومن الميل الى التشابه المسلكي الذي يحطم الفردية ، ومن الحياة الالية المرتبطة بمنبه الساعة في المنزل والمحطة وقاعة العمل ، اي من كل هذه المظاهر السلبية للحضارات التي تتجه نحو حياة جماعية منضبطة ؟ ام ان حضارتنا المتجددة ستعني بالانسان الفرد وستضمن لنا « الاستقلال الشخصي » في حياتنا وستفتح المجال للطرافة والتفرد والتميز امام الافراد ؟ وان استفاقنا هذه فوق هذا قد تحمل الكوامن التي تمهد للفنان والخلق عندنا ان يخلق فنا ذا روحية متدفقة واثقة اكثر من كتاب اوربا وفنانيها الذين يعيشون في عصر تساؤلهم الميتافيزيقية المريرة . فمعاناة حريين مدمرتين ، وهيروشيما وافران الغاز والاطفال المصلوبين على وجه اوربا وحرب الابداء في الجزائر ، كل هذه الفظائع التي اختص بها القرن العشرون ، قد برهنت على فشل الحضارة الغربية في منح الانسان الغربي الوهة الارض واستقرار الضمير وليس حزن السويديين وخيبة الاميركيين النفسية وحركة الشباب الغاضب في بريطانيا الا ردود الفعل المحتومة لفشل هذه الحضارة الباهرة التي لم تستطع ، رغم تعبيريها عن اجل معاني الانسانية ، ان تحمي الانسان من تدمير نفسه عندما ضاعفت له قدرته على انزال الضرر والخراب . غير ان الكاتب والفنان والمثقف العربي ، لا يمكنه التهرب كليا من تساؤلات الغربيين وحيرتهم ازاء فشل حضارتهم في منحهم الاستقرار والدفع الروحي . فكما اسلفنا لم يعد سكان الارض قادرين على الحياة في معسكرات منفصلة لا تترادف فيها التيارات الفكرية والعاطفية ، ولم يعد بمقدورنا أن نعمل ونبني بمعزل عن مخاوف اوربا وارتجافاتها - واما الخوف من حرب ذرية فانه لا يقض مضاجع الغرب اكثر مما يقض مضاجعنا .

لكن هذا لا يعني اننا سنشارك الغربيين ياسهم وضجرهم وشكوكهم . ان افكارهم ستعرض نفسها علينا ومن المفروض ان تثير تحدينا وتشعرنا بقوتنا الدافعة، غير ان هذا سيكون رهنا باحوائنا النفسية والاجتماعية ومدى تغفل الثورة في حياتنا العملية . ذلك ان مجتمعنا ما زال يشكو من نواحي الضعف الخلقى والفوضى في المفاهيم ومن الكثير من

البلادات والتفاهات التي كانت عنصرا من عناصر ثورتنا على حياتنا . بل اننا نرى هذا المجتمع لا زال يعني اكثر ما يعني بالانماط العادية من الناس وبمن له ظهر يسنده ومال يدفعه واصدقاء اقوياء يسندونه . ان مجتمعا يؤثر الوسطية ويغل الحرية الفكرية ليس افضل مجتمع للانتاج الادبي المتفائل والفرح الذي يعبر عن بنائية ثورية مستبشرة . ان حقيقة صراع الفئة المثقفة اليوم يقع في الفارق الشاسع بين المفاهيم التي اعتنقتها وبين الواقع الذي تعيشه بمرارة في اغلب بلدان الوطن العربي الكبير .

ولهذا فاننا لن نستغرب اذا رأينا ان عددا من ادبائنا لا يعكسون فعالية حضارتنا المتجددة وحيويتها واستبشارها وتفاؤلها - ولعل الجيل القادم سيكون اكثر تفاعلا مع حضارة اسست ونهضت وآتت اكلها الاول . ان اخلاص الاديب هو لفنه فقط ونحن لا نريد لادبائنا الا ان يعكسوا قناعتهم الوجدانية فيما يكتبون ، وسوف ندافع عن حقهم في هذا ، وسوف ندافع عن حقهم في اتخاذ الموقف الذي يلائمهم ويجد ارتياحا في نفوسهم ما دام يعكس تفاعلهم الحقيقي مع حياتهم .

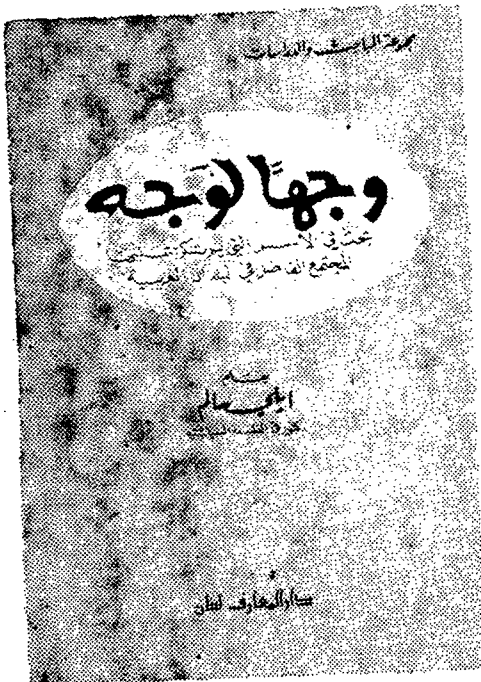
### كارالمخارف بلبنان

بنية المسيلي ساحة رياض الصلح ص.ب. ٢٦٧٦

نقدم كتابه الجديد في الأدب العربي الحديث، وبالجملة بمرارة علمية نادرة أهم المشكلات التي يواجهها الفرد العربي اليوم

بنية المسيلي  
مربي في تخطيط  
لغة عربية الكبريت

## وجه لوجه



تأليف  
الدكتور ايلي سالم



الطبعة  
١٩٥٠  
أوما يباردا

يطلب من جميع المكتبات الشهيرة

هناك فئتان من حملة الاقلام تجنحان نحو المغالة العصبية في نظرتهما الى الحضارة الغربية. فال فئة الاولى تشعر بان التخلف مزية من مزاياها وبان التفوق مزية من مزاياهم. وقد قابل هذا الشعور بالضعف امام الغربيين شعور الفئة الاخرى باننا اكثر موهبة واعمق اصالة واروع تفكيراً. ولعل هؤلاء لا يقلون خطراً على حضارتنا المتجددة من اولئك - فان ضعف الثقة بالنفس يوازي الغرور قبحا وان الاستخذاء امام الآخرين يوازي التعالي الفارغ فجاجة وتهافتا والاديب الانساني والمفكر الحر هو الذي يستطيع ان يشمل فسي نظريته مزايا الانسانية جمعاء والذي يستطيع ان يتمثل الحضارة الانسانية التي هي خلاصة تفاعل الحضارات جميعها بما فيها حضارتنا نحن .

اننا لا نستطيع ان نطلق لقب الثورة على اي من الفريقين. الفريق الاول متخاذل مستهين امام الحضارة الغربية ، ينكر لثرائنا الغني ، والفريق الثاني متعال على حقيقة الحضارة الغربية ، وهي حقيقة كائنة لها جذور بعيدة ولها تاريخ طويل لم يتزعزع الا على كفاح الانسان الغربي مع نظم الحياة وعلى تفاعله الدائم مع تيارات الفكر التي كان يفتقها باستمرار فلاسفة اوربا ومفكروها وعباقرتها .

ان الاديب المؤمن بعرويته يكون اديبا ثائرا بحق يوم يفهم حقيقة مشكلاتنا وحقيقة اوضاعنا الحضارية والثقافية والفكرية والفنية الى جانب الاوضاع الاخرى . الايمان بالعروبة لا يقع في انكار الغير وفضلهم وتقدمهم . فالعروبة ليست شيئا منفصلا عن الانسانية وراثتها العظيم ومدنيتها وخيراتها ، ولو كان هذا ايمان ثورتنا لكننا جنحنا نحو الانفلاقية الخطرة - ولكن ثورتنا لا تؤمن بهذا ، بل انها تؤمن بان العروبة التي هي دمفتنا وثقافتنا ، هي التفتح والتسامي عن العنت والاستعباد الفكري - العروبة هي الانطلاق والمحبة ، انها نحن ، المتشوقون الى غد مبني على اسس مركزية راسخة من تراثنا الكبير ومن تراث الانسانية وحضارتها .

ان الثائر الحقيقي لا يفهم الثورة على الشكل الساذج الذي يدعو اليه بعض الكتاب ، اولئك الذين لا يرون في حياتنا وفي تراثنا الا العظمة والروعة ، ففي حياتنا وفي تراثنا الكثير مما يجب ان يرفضه الثائر الحقيقي والقومي المخلص ، ولولا هذا الكثير لما فرنا ، لما تركت جيوشنا الثكنات لتهاجم الاستبداد والرجعية والانانية والتفاهة والسديمية ، اما المتعصبون من الكتاب فهم دخلاء على ثورة جيلنا ، غرباء عن حقيقة كفاحنا ، بعيدون عن مشكلاتنا الجارحة وتساؤلاتنا المرتعشة وتجاربنا المريعة وبحثننا اللاهف عن حقيقتنا .

نعم بعيدون وخطرون . اننا لا نريد ان نبني « السدود بدل الجسور » بيننا وبين العالم . بذلك سوف نخنق ونتعفن ، وبذلك سوف نبقي على هامش الحضارة والتاريخ . ان علينا ان ندخل شراكة العقل الخلاق المبدع في العالم كله .

ولهذا فان كل مفكر قومي ثائر من المؤمنين باصالة هذا الشعب العربي وبعدد امكاناته لمدعو بان يشارك في بناء الجسور المتينة بيننا نحن عرب اليوم وبين تراثنا الكبير ، وبيننا نحن عرب اليوم وبين حضارة العالم ، وان يصير على ان نجتمع التراث العربي الى الثقافة العالمية ، ان نمزج بين عطائنا والعطاء العالمي ، ان يرجع الادب الى جذوره وان يتطلع الى ما حققته الانسانية جمعاء في الوقت ذاته .

### ٢ - ناقوس الخطر

واذا جاز لنا ان نتكهن فانه يخيل الي انه ما دامت الجذور الفاسدة لم تستاصل وما دام الفكر مقيدا فان ادبنا الثوري اما ان يستكين واما ان يمعن في ثورة سلبية لن يعود علينا بالخير ، حتى ان الادباء الشباب قد ينقلبون على انفسهم ، وتراثهم ، وعلى رواسب الدين والتقاليد والعادات منددين بالماضي ومستبئين بمآثر الحاضر . وهنا يجرم الخطر الاكبر من التعصب ومن استمرار حالة الوسطية في حياتنا الثائرة الروح ، حياتنا المفتقرة الى التوازن المعاني بين المعرفة والامال من جهة وبين الواقع المؤقت من جهة اخرى . اننا لا نريد شبابا كافرا بمعطيات الماضي ، متجاهلا كنوزه واندفاعاته وعطاياه ، ولا شبابا كافرا بمعطيات الحاضر متجاهلا انتصاراته وامكاناته الكثيرة ، ولكي لا يتورط جيلنا في هذا الكفر فان علينا ، نحن حملة الاقلام ، ان نصر على ثورتنا ان تكتسح جذور الرجعية والسديمية والتعصب والبلادة والتفاهة والظلم وان تحاذر من التعرض لحرية الفكر والقلم ، لانها حرية مقدسة ، والتعرض لها يخنق القدرة على الخلق والابداع .

نحن لا يمكننا ان نضحى بالثقافة العربية وبالفرد الموهوب في سبيل اي هدف بعيد او قريب . ان النكسة النفسية التي تصيب المثقف عندنا تصيب الامة العربية في جوهرها الاول . اننا لا يمكننا ان نستغني عن مثقفينا وموهوبينا لانهم هم ملح ارضنا وخميرة عطاء اليوم والغد ، وهم استمرار تراثنا واستفاقة حضارتنا ، وان عليهم تقسح مسؤولية احياء التراث العربي وارجاعنا الى جذورنا الثقافية ، وعليهم تقسح مسؤولية وصلنا بالثقافة العالمية وتنبه نظر العالم الى امكاناتنا وفعاليتنا . انهم الجسر بين تراثنا والتراث العالمي . اننا اذا خنقنا امكاناتهم خنقنا تقدمنا ، وبدون جهودهم المنطلقة لا يمكن لثقافتنا ان تنتعش ولحياتنا ان تتجدد . وانه للغو ان نقول بفضل اسبقية التحرر المادي على التحرر الفكري والتقدم الثقافي والروحي ، فالاثنان يسيران جنبا الى جنب ، ولا يمكن للشخصية الحضارية ان تنطلق عن طريق واحد فقط .

فاذا ارادت ثورتنا ان تحقق لنا حضارتنا الموعودة ، فان عليها ان تحرر الكلمة من كل قيد يعوقها عن الانطلاق ، كي يستطيع الاديب الموهوب ان يعبر عن رايه دون تردد ، فالانطلاق الفكري وحده الذي يفجر طاقات الابداع والابتكار في خيال الانسان .

سلمى الخضراء الجيوسي

# الشعر الثوري في الأدب المعاصر

بقلم  
ملك عبد العزيز

قد احس الارض قضباننا وفي القفبان ذله  
انه يفنى ليحيا فسوق ارض مستقله

.....

هذه الثورة لن تخدم - ان لم تظفر  
لن ينام الشعب عن قيد - اذا لم يكسر  
لعنة الشعب على الاصنام والمستعمر  
وفي نهاية قصيدة اخرى بعنوان « هجرة » نراه يقول :

بل تعالوا نحطم « الصنم العاتي » ونبني هنا الحياة الجديده  
يارفاق الشقاء هل من مريد لنزوح السيلادبعيده  
حيث تحت السماء قسوت وستر وحياة يقال عنها سميده

ولقد حطم « الصنم العاتي » حين خلع الملك الفاسد بنجاح ثورة  
٢٣ يولييه المباركة ، وبدأنا بحق في بناء الحياة الجديدة .  
اما سليمان العيسى فلقد كان يهاجم ذلك العهد الديكتاتوري المستبد  
الذي رزحت تحت نيره سوريا عامي ١٩٥٣ ، ٥٤ ، وقرن بينه وبين سيطرة  
الاستعمار وتناول اسرائيل على الحدود العربية . ففي خاتمة قصيدة  
« على الحدود » يرى اننا يجب اولا ان نتخلص من الحكام الطفلة واعوان  
المستعمر لكي نستطيع ان نلقى اعداءنا الخارجيين وننتصر عليهم :

لو كان في كفي قياد القيدر ( ١ )

غسلت جفني امتى بالشرر

الهبث بالثورة حتى الحجر

ظهرت ارضي من ظلال العبيد

عندئذ ... ألقى عدوي العتيد

« وفي قصيدة « ادفن الشكوى » نراه يقول : ( ٢ )

نحن ؟ هم يدرون من نحن ، جراح الضعفاء

كما كمو فما زلزلهم ألف نداء

وهم من هم ؟ حشالات عبيد واماء

لفهم « مستعمر » نفل بشوب الكبرياء

لم يحن مابيننا يا امتي يوم اللقاء

ثم يقول منذرا ومبشرا بفجر الثورة التي ستطيح بالاستبداد :

ليزجونا غداء السجن مثنى وفراى

وليبيعوا مثلما شاؤوا لمن شاؤوا البلادا

لا رعبانا الله ان نلبس على الخطيب حدادا

عندما تلقيت رسالة الصديق الدكتور سهيل ادريس ، يعهد الي فيها  
بالكتابة عن الشعر الثوري في ادبنا المعاصر ، كان من الطبيعي ان يتبادر  
الى ذهني اول مايتبادر - الشعر الوطني وشعر الماركس التحررية التي  
يخوضها اليوم عالمنا العربي . ولكني لم البث قليلا حتى ادركت ان الشعر  
الثوري وان كان بلا شك يشمل ذلك النوع من الشعر الذي اشترت اليه ،  
والذي يمثل جانبا كبيرا منه - الا انه مع ذلك اشمل منه واوسع  
مدى . فالنفس الشاعرة تثور لدوافع متباينة مختلفة ، تختلف باختلاف  
مشاكل الحياة وتباينها .

والثورة هي سخط على وضع قائم فاسد ، وحركة عنيفة لتغيير ذلك  
الوضع والقضاء عليه من اجل ارساء القواعد لاوزاع جديدة تطابق  
المثل العليا التي يهدف اليها الثائرون . وهذه الازواع الفاسدة التي  
يسمى الثائرون للقضاء عليها قد تكون اوزاعا وطنية او قومية ، عنصرية  
او انسانية ، اجتماعية او خلقية ، وان كان الترابط والتفاعل موجودين  
دائما بين الكثير من هذه الانواع ، وفيها جميعا تكون الكلمة الشاعرة هي  
الحرك والوقود ، بل هي البشر والمنتبىء ، وهي المؤيد والمجدد ، وهي  
المثبت لاركان الثورة اذا قيض لها النجاح .

والثورة الوطنية ضد الاستعمار كانت دائما ثورة ضد المستبدين والطفلة  
من الحكام العرب ، أولئك الذين كانوا دائما مطية المستعمرين ، وحلفاءهم  
يكممون الافواه ويحكمون بالحديد والنار لانهم يتعاونون معه ضد مصالح  
الشعب .

وديان « اصرار » الصادر في القاهرة ١٩٥١ لكمال عبد الحليم  
وديان « اعاصير في السلاسل » الصادر في حلب ١٩٥٤ لسليمان  
العيسى ، يعبران خير تعبير عن كل ذلك .

فقصائد كمال عبد الحليم التي كتبها في عهد الملك السابق فاروق ، بل  
وفي عهد رئيس الوزراء الطاغية صدقي باشا ١٩٤٦ انما كانت دعوة  
صريحة للثورة ، بل نبوءة لم تلبث ان حقتها الايام .

ففي قصيدة « هذه الثورة » ( ١ ) المكتوبة ١٩٤٦ نرى الشاعر يتنبأ  
بالثورة بل يتصورها قد حدثت بالفعل فيقول :

هبت الريح والرياح اذا هبت زئير

وتراعت كتل الاجساد كالرياح تطير

كتل يقتلها الصمت وتحببها القبور

حطمت بيد الثورة ماضيها الصغير

ومضت تحت مستقبلها بين الصخور

وفي نهايتها يقول :

انه الشعب دعاه الليل ان يصبح شعله

( ١ ) ص ٩٠ من ديوان « اعاصير في السلاسل »

( ٢ ) ص ٣٦ من ديوان « اعاصير في السلاسل »

( ١ ) ديوان « اصرار »

فجرنا أقوى على الافاق نورا واحتشادا

نفحة الازهاب لن توسع الا اتقصادا

ولئن عبر هذان الشاعران عن دعوتهما للثورة بذلك الشعر القوي  
الواضح الصريح فان بعض الشعراء قد تلجئهم ظروف المسف والابتعاد  
وتكليم الافواه والرقابة المعتنة على وسائل النشر ، قد يلجئهم كل  
ذلك الى الرمز حتى يستطيعوا اذاعة اشعارهم الثورية ( ١ )

ولئن كان الرمز في حاجة من القارئ الى قدر اكبر من التأمل لاستكناه  
دقائق المعنى المخفي خلفه ، الا ان استخدام الرمز نفسه يعطي العمل  
الفني ثراء وعمقا ، ويهبه بعدا ثالثا ان جاز هذا التعبير ، أي يجده ،  
ويجعل القصيدة وحدة تشكيلية ، كالتمثال المنحوت ، لأمجد اندفاعات  
عاطفية وصرخات حارة ، قد تكون مؤثرة بلا شك ، وقد تكون مترابطة  
ترابطا منطقيا مسلسلا ، ولكنها رغم ذلك تظل تفتقد تلك الوحدة الكلية  
التي نلمسها في التحفة المنحوتة المجسدة ، ذات البنية العضوية السليمة  
المتراصة . بل ان الرمز قد يكون من الثراء بحيث يحمل اكثر من مدلول  
يمكن تفسير العمل الفني به دون تسف .

على ان الرمز وان كان في بعض الاحيان تقية سياسة - الا انه -  
بالاضافة الى ما ذكرت - يعطي الشاعر الموهوب امكانية الخروج على الطرق  
المألوفة ، والالفاظ المحفوظة والاساليب المعتادة . لان الشاعر سينساق  
مع الرمز الذي اختاره فيعبر عما يلزمه به وما تتم به صورته ، فيتحرر  
من القوالب القديمة المحفوظة التي براها طول الاستعمال خصوصا وان  
الرمز على هذا النحو الكلي لم يكن معروفا عند القدماء مما يساعد على  
هذا التحرر . وخير مثال لذلك قصيدة « مدينة بلا مطر » لشاكر  
السياب . وقد نشرت القصيدة في العدد الصادر في اب « اغسطس »  
١٩٥٨ ، ولكن القصيدة قد كتبت قبل ذلك بلا شك ، خصوصا وان  
الدكتور سهيل يقول في تقديمه لذلك العدد انه كان ينبغي له ان يصور في « ايار »  
« مايو » ولكن قيام الثورة في لبنان حال دون ذلك . وقد كتبت على ذلك  
العدد نفسه « حزيران - تموز - اب - » لانه جاء بعد الفترة التي  
انقطعت فيها « الاداب » عن الظهور .

وفي هذه القصيدة يتخذ الشاعر رموزه من الاساطير البابلية : تموز  
اله الخصب الذي صرعه خنزير بري ، ولكنه ينبعث كل عام فتنبعث  
معه الحياة بعد هجمة الشتاء ، وتعود بعودته حبيبته عشتار الهة الحب  
والخصب .

وفي الجزء الاول يصور الشاعر تلك الثورة المكتومة التي تضطرم في  
صدر المدينة وتوشك ان تشتعل :

« مدينتنا تؤرق ليلها نار بلا لهب

تحم دروبها والدور ثم تزول حماها

ويصبغها الفروب بكل ماحملته من سحب

فتوشك ان تطير شرارة ويهب موتاها »

ولكن النار لا تشتعل ، وطول الفرح لاندق بعودة تموز فان عشتار  
الهة الخصب « فارغتان كفاها » و « قاسيتان عيناها » ، واهل المدينة  
جياح فالسحب مرعدة مبرقة دون امطار .

ان الشاعر ينتظر الثورة التي تحمل الحرية والتي يرمز لها بالمطر ،  
تحمل معها الخصب والحياة ، ولكن الانتفاضات الصغيرة التي يقوم  
بها الشعب احيانا ، ليست سوى رعود بلا امطار .

( ١ ) في بعض الاحوال لا يكون الرمز مجرد تقية بل قد يكون اسلوبا  
فنيا فضله الشاعر .

ولكن مرت الاموام كثيرا ما حسناها

بلا مطر .. ولو قطره

ولا زهر .. ولو زهرة

بلا تمر كان نخيلنا الجرداء انصاب اقمناها

لنذبل تحتها ونموت »

ثم يذهب صفار بابل يبتهلون الى عشتار ان تسقيهم وتمنحهم المطر :

« ورف كان الف فراشة نثرت على الافق

نشيدهم الصغير :

قبور اخوتنا تناديننا

وتبحث عنك ايدينا

لان الخوف ملء قلوبنا ورياح اذار

تهز مهودنا فنخاف والاصوات تدعونا

.....

فيا من صدرها الافق الكبير ونديها الفيمه

سمعت نشيجنا ورأيت كيف نموت فاسقينا

نموت وانت - واسفاه - قاسية بلا رحمه

فيا ابائنا من يقتدينا ؟ من سيحيينا ؟

ومن سيموت : يولم لحمه ودماءنا فينا ؟

ان الشاعر هنا - في هذين السطرين الاخيرين يدعو للثورة ، يدعو  
لان يحمل عبئها بعض المضحين الذين يولون حياتهم قربانا لحرية لكي  
يفتدوا الاجيال الناشئة ويحققوا الامل الذي استشهد في سبيله  
الشهداء من قبل .

اما الجزء الاخير فلعله يرمز الى ان الثورة قد اندلعت في بلد اخر  
خارج اسوار بابل - لعله مصر او لبنان وان هذه الاسوار التي ترمز  
الى الحكم الفاسد المستبد ، قد حالت دون المطر ودون ان ينزل في بابل  
نفسها ، ولكنه مع ذلك قد حمل الامل في ان بابل سوف « تفصل يوما  
من خطاياها » ، الامل الذي يرمز له الشاعر بالقمر او بالنجمة او بقطرة  
ماء انفلتت من الفيمة :

« وسح وراء مارفته بابل حول حماها

وحول ترابها الظمان من عمد واسوار

سحاب كان لولا هذه الاسوار رواها

وفي ابد من الاصفار بين الرعد والرعد

سمعنا - لا حفيف النخل تحت العارض السحاب

او ما وشوشته الريح حيث ابتلت الادواح

ولكن خفقة الاقدام والايدي

وكركرة واه صغيرة قبضت بيمنها

على قمر يرفرف كالفراشة او على نجمة

على هبة من الفيمة

على رعشات ماء ، قطرة همست بها نسمة

لنعلم ان بابل سوف تفصل من خطاياها »

وانا بعد اعلم ان امثال هذه القصيدة الرمزية الرائعة لا يشعر الانسان  
بكل روعتها الا اذا قراها كاملة ، وان الاستشهاد بأسطر منها يتلفها ،  
لانها بنية حية لا يمكن نزع جزء منها دون ان يختل بناؤها .

وفي موقف قريب من هذا ، موقف انتظار الثورة التي لا تتحقق لتحمل  
الحرية الى الشعب ، الثورة التي تحاول ان تنهض ولكنها لا تعبر عن  
نفسها الا في انتفاضات جزئية لا تلبث ان تخمد بحيث توشك ان تحمل



النفوس على الياس - نجد قصيدة نازك الملائكة اللاهبة اللاذعة « الراقصة المذبوحة » ( ١ ) انها تهديها « تحية الى الجزائر في نضالها » ولكن القصيدة كما سبق ان اوضحت ( ٢ ) لا يمكن ان تنطبق على ثورة الجزائر بحال من الاحوال ، بل هي تنطبق على حال العراق قبل ثورة تموز . فالقصيدة تعبر عن روح من تولاه الياس من صلاح حال انسان او شعب عزيز على نفسه ، ولكن في ضميره بقية خفية من أمل ، ولذلك فهو يخزه ويجرحه ليشير فيه النخوة ويحفزه للمثابرة ، وهي بذلك تختلف عن قصيدة السياب التي تبتهل وتحنو ، بدلا من ان تخز وتجرح وفي النهاية تبشر بالامل وقرب الخلاص . وها هي ابيات من قصيدة نازك تعبر عن روحها :

انتفاضات ؟ وفي الشعب بقايا  
من غرور لم تسلب نبع دماء ؟  
انفجارات ؟ وبعض الابرياء  
بعضهم لم يسقطوا بعد ضحايا  
لم يكن جرحك بدما في الجروح  
فارقسي في سكرة الحزن الميت  
الارقاء الحيارى للسكوت  
احتجاجات ؟ لماذا ؟ استريحني !  
اضحكي للمدية الحمراء حبا  
واسقطي فوق الثرى دون اختلاج

( ١ ) ديوان قرارة الموجة

( ٢ ) في تعليقي على قصائد عدد الحركة في عدد شباط « فبراير » ١٩٥٧

منة ان تلبحي ذبح النعماج

منة ان تطعني روحا وقلبا

كما اننا نلاحظ ان شاكر السياب قد التزم رمزه من البداية الى النهاية فظل يتحدث عن تموز وعشتار والطر والجفاف . وحتى الدعوة لثورة رمز لها بالدعوة لتقدمة الضحايا للالهة . بينما خرجت نازك على رمزها اذ لم تلتزم التزاما حرفيا صورة الراقصة المذبوحة بسبل انها اشارت اشارة صريحة الى الشعب وانتفاضاته ، وان كانت قد اضطرت ان تنسب القصيدة للجزائر لا للعراق .

علم ان الشعر الثوري المعاصر يتخذ طريقا اخر للتعبير غير التعبير الحماسي المباشر او الرمز الملتزم او غير الملتزم . انه يلجأ الى القصة . الى قص حادثة بذاتها قد يجعل الشاعر من نفسه احدا ابطالها او مجرد راويتها فحسب . والشاعر يختار لها بعض التفاصيل الصغيرة الموحية يتدرج بها في بساطة حتى تصل الى ذروة المأساة فتزهنا قوتها الدراماتيكية . وعندئذ ، وعندئذ فقط تستطيع ان تدعونا الى النضال بعد ان تهيأت نفوسنا له تهيؤا كاملا بقراءة القصة .

ان الشعر الثوري ذا التعبير المباشر يناسب فترة احتدام الممارك الفعلية ذاتها . انه كالمارشات العسكرية ، يلهب النفوس ويدفع الى الحماسة والحمية . ولكن الشعر الثوري القصصي هو المهد لتلك الممارك ، هو الذي يؤصل الصور الثورية في النفوس ، بحيث تستطيع ان تتقبل العمل الفعلي الايجابي حين يعين اوانه . انها التبرير النفسي للثورة والصورة التي تظل عالقة بالوجدان حتى ولو خفت وقدة الحماس بحيث يستطيع ان يوقدها القادة السياسيون او شعراء الممارك من جديد باقل جهد ، ثم يجدون استجابة حارة واعية من نفوس الشعب .

ولهذا الشعر اصوله في ادبنا الشعبي : في الماويل والقصص الشعرية التي تنشد في الموالد على نفحات الرباب . وهذه الطريقة القصصية اذ تلجأ الى حكاية التفاصيل الصغيرة الموحية ، تستخدم لغة بسيطة تلائم السرد القصصي ولكنها مؤثرة بما تجسم لخيالنا من تفاصيل الحياة الانسانية البسيطة ، الاليفة التي قلوبنا ، لانها من نسج حياتنا التي نحيها في كل ساعة وفي كل يوم . فالانسان اقدر بطبيعته على الانفعال والتأثر بالاشياء التي تقدم له في قالب محسوس حتى اكثر من قدرته على تمثيل الافكار والمثل المجردة ، التي لا يتسنى تمثيلها الكامل الا لعدد محدود من الناس . وهذه الطريقة القائمة على تصوير التفاصيل الدقيقة الموحية تجدد ايضا في لغة الشعر ، وتبعد به عن القوالب والصيغ المتوارثة ، لان الشاعر القصصي ينظر الى ما حوله ليصوغ قصته ، ولا يلجأ الى الذاكرة التي تحمله على التقليد ، وخير شاهد على ذلك ديوان « مع الغرباء » لهارون هاشم رشيد الذي يتخذ موضوعه الرئيسي من مأساة فلسطين واللاجئين . وفي الديوان قصائد كثيرة زاخرة بالاحساس الحار والتعبير الثوري بالطريقة التقريرية المباشرة ، ولكننا رغم ذلك نحس ان درتي الديوان هما القصيدتان اللتان اختارا لهما الاسلوب القصصي ، وهما قصيدتا « قصة » و « مع الغرباء »

اما القصيدة الاولى (١) فلها كل مقومات القصة ، فلها بدء وقمة وختام وبها بعض الفقرات الحوارية . وهي في الحقيقة قمة من قمم الشعر المعاصر . ويبدأها الشاعر بالحديث عن موت جاويش من جنود

- البقية على الصفحة ١١٣ -

( ١ ) ص ٥٠ ديوان « مع الغرباء »

**صدر حديثاً:**

★ جائزة نادي القصة بالقاهرة لعام ١٩٥٨

★ جائزة جريدة "الكفاح" لعام ١٩٥٨

★ جائزة جريدة "السياسة" لعام ١٩٥٨

ثلاثة جوائز قصصية نالتها القصة الرائعة:

**ولاني جبين النحس**

بقلم: سمير تدير

قصة الشاب العربي عندما يجلس عن نفسه

حساسية الطفولة ، وقلوب الراقصة ، وجميع الشباب

قصة قال عنها  
مخائيل نعيمة  
انها "مكرية بالشاعر  
البشري في الفضة"

المن: ١٢٥ ط.ل.و

منشورات عويدات

## الشعر الثوري في الادب المعاصر

— تتمة المنشور على الصفحة ١٧ —

الاستعمار . ثم هجوم الجنود ومعهم العمدة لتفتيش بيت الشاعر (١) وكان اذ ذاك طفلاً . وفي خلال ذلك يصور خوفه وخوف امه ، وترقبهما وقلقهما ، الى ان ياتي الجنود ومعهم العمدة ويسالوها عن زوجها فتتذكر معرفتها لمكانه ، فاذا بهم يطلقون عليها الرصاص ثم يشنون بحرق القرية كلها .

ان الشاعر يتدرج بنا من وصف الخوف والقلق في واقعية انسانية مرهقة :

واذا ما اصطدمت رجلي.. بصندوق الثياب

قفزت امني من النوم ... وهبت في ارتياب

من يدق الباب ؟ قد صاحت ولم تسمع جواب

وهوت قريبي في حزن وبؤس واضطراب

ثم يتدرج بنا من هذا الوصف الى حوار حي مؤثر بين الام والعمدة الذي يطف عليهم لانه منهم وان كان مضطرا الى ان يحضر مع الجند ليسال عن الزوج الهارب . واخيرا يبلغ بنا القمة حين يصور مقتل الام ورعب الطفل المسكين في كلمات بسيطة ولكنها مشحونة بالمعاطفة التي تهز القلب :

ومشى الجنـد ... مشوا من فوق امني

وانا اصرخ من رعب ومن بؤس ملم

ونكاد الخيل ان تدفن فوق السردب جسمي

غير ان العمدة المسكين يحميني ويهتز ليمتي

ثم يلمس قلوبنا ويعمق فيها الجراح عندما يجري هذا الحوار الساذج المؤثر بتساؤله المتتابع بين الطفل والعمدة بعد ان امر الجنـد بحرق القرية :

عم يا عمدة — ماذا كان — عمي ذنبنا ؟

ولماذا قروا ان يحرقوا ابياتنا

اترى تعرف يا عم ، اتدري جرمتنا ؟

ام ترى تجهل ما يبتسه الظلم لنا ؟

ثم يردف ذلك برؤية اهل القرية لقرينهم تحترق ، ولرؤيته هو لبيته يشتعل ، ثم معرفته ان اباه قد مات شهيدا في كفاحه ضد المستعمرين .

عندئذ يستطيع الشاعر وقد حفر اللوحة المؤثرة في قلوبنا ان ينقلنا من الصور الانسانية الجزئية الحية الى الهدف الثوري المجرد ، فيثير في قلوبنا السخط والثورة على المعتدين :

من هنا قد بدأت مأساة عمري

بدأت قصة آلامي واحفادي وثأري

من هنا قشبت النيران في اعماق صدي

وتعلمت لماذا حفر الجلاد قبوري

.....

لن ينام الثار في صدري وان طال مداه

لا .. ولن يهدأ في روحي وفي قلبي لظاه  
صوت امني لم يزل في سمع الدنيا صده  
وابي ما زال في سمعي وفي روحي نده  
ان تقدم ثابت الخطو الى الحق تقدم  
وتفحم حالك الاهوال للثار تفحم  
سوف تطويك الليالي السود ان لم تتعلم  
كيف تطفي غلة الثار بنيران ودم

اما رائعته الاخرى فهي قصيدة « مع الغرياء » ، وهي ليست قصة بالمعنى الكامل ، بل هي حوار بين فتاة لاجئة وابيها ، بل هي مجرد اسئلة متتالية بسيطة مؤثرة ، تلقيها الفتاة على ابيها ، وتنتهي دائما بذلك السؤال المؤلم الحير :

لماذا نحن يا ابني ؟

لماذا نحن اغراب

تسال عن امها التي ماتت بسبب النكبة وعن اخيها الذي استشهد وعن صاحبته التي اسقمتها الايام ، تساله لماذا هم تائهون بلا بيت ولا سكن ، وتساله :

ادخل غرقتي قل لي  
ادخلها بأحلامي  
وتسمع وقع اقدامي  
والقاهها وتلقاني  
ادخلها بهذا القلب  
هذا المذنب الظامي الخ.

ابي  
قل لي بحق الله  
وهل ناتي الى يافا  
فان خيالها المحبوب  
في عيني قد طافا  
اندخلها اعزاء

برغم الدهر اشرافا

وبعد ان تشعل نفس ابيها ونفوسنا بهذا التساؤل المر عن كل الاشياء الصغيرة الحبيبة ، وتحملها الى قمة الانفعال اذ بالاب يجيب عنا وعن نفسه :

فيصرخ سوف نرجعه

سنرجع ذلك الوطننا

فلن نرضى له بدلا

ولن نرضى له ثمنا الخ ..

على ان ما يمس نفوسنا في هذا الديوان غير هاتين القصيدتين ويقرب منهما في الروعة هي القصائد التي خرجت عن الاسلوب التقريري المطروق واتخذت سبيلا اقرب الى القصص على هيئة حديث او مناجاة مثل « احزان لاجئة » (١) « ومن الحياة » (٢) ، ذلك ان الاسلوب التقريري كثيرا ما يدفع الى التقليد لان ترائنا كله من هذا اللون ، والقاريء لافته له لا يرى المعنى الحسي الكائن في الالفاظ ، ذلك الذي يعطيها قدرتها على التلوين وعلى صدم الاحساس بالصور الغضة ، بل لا يحس منها غير المعنى العقلي المجرد الذي آلت اليه بطول الاستعمال ، ولذلك يضعف اثره في النفس . اما الاسلوب القصصي فهو يعطينا صورة جزئية بسيطة لا تزويق فيها ، ولكن تتابعها نفسه لا يلبث ان يكون صورة كلية تهز اعماقنا هزا .

وكما تفعل القصة الشربة احيانا ، كذلك يفعل الشاعر بان يبدأ قصته من نهايتها او من قمتها ليصدمنا بها ، ثم يعود الى سرد القصة ليخلص في النهاية الى الهدف الثوري في سطر او سطرين . وذلك مثل قصة

(١) ص ٣٣ من ديوان « مع الغرياء »

(٢) ص ١٢٠ من ديوان « مع الغرياء »

(١) طبعا من الجاز ان هذه القصة ليست قصة الشاعر الشخصية ولكنه تمص شخصية البطل مما يجعلها افعلى في النفس

« شق زهران » لصالح عبد الصبور ، وهي قمة أخرى من قمم الشعر المعاصر . اذ يبدأها بقوله :

وترى في جبهة الأرض الضياء  
ومشى الحزن إلى الأكواخ تنين له الف ذراع  
كل دهليز ذراع  
من اذان الظهر حتى الليل .. يا لله  
في نصف نهار

كل هذي المحن الصماء في نصف نهار  
مذ تدلى رأس زهران الوديعة

ثم يعود الشاعر ليصف زهران وفرحته بالحياة وحبه وزواجه في أسلوب بسيط مليء بالعصر الشعبي تغالطه رموز مرهفة ، ثم ينتهي أخيراً إلى الهدف :

قريتي من يومها لم تأتد إلا الدموع  
قريتي من يومها تاوي إلى الركن الصديق  
قريتي من يومها تخشى الحياة  
كان زهران صديقا للحياة  
مات زهران وعيناه حياة  
فلماذا قريتي تخشى الحياة ؟

ولكن الشعر الثوري اليوم لم يعد قاصراً على الإقليمية الضيقة فما يحدث في جانب من جوانب الوطن العربي يهز جوانبه جميعاً ، فلا نكاد نجد اليوم ديواناً غربياً خالياً من معارك الكفاح ضد الاستعمار في كل جانب من جوانب الوطن العربي ، مبشراً بالنصر الشامل . ففلسطين والجزائر ، ومعارك العراق والقناة ، كل ذلك كان موضوعاً لشعر شعراء من كافة البلاد العربية .

على أن الشعر القومي العربي إذا كان قد سكن بعد حين من الثورة العربية الكبرى في أعقاب الحرب العالمية الأولى بعد أن تمزقت البلاد العربية بين المستعمرين وحكمها حكام ممالئون للاستعمار ، إلا أن نكبة فلسطين قد حركت النفوس التي كانت قد خمدت أوارها ووجهت الأذهان والقلوب نحو الفكرة العربية الشاملة . لقد شغل أبناء كل إقليم بمكافحة المستعمرين في أقليمهم بل بمحاربة الحكام الخونة الممثلين لهم ، والذين يتستر خلفهم المستعمرون ، ولكن لا يكاد الشعب في أحد الأقاليم يخلص من أحد معاركه حتى يتلفت حوله ليرى ما حل بالأجزاء الأخرى من الوطن العربي يساندها ويؤيدها ويشد من أزرها لتجتاز معنها .

وها هو سليمان العيسى في ديوانه الأول « مع الفجر » يقول في قصيدة « نفحة من أمية » (١) المكتوبة سنة ١٩٧٠ : يخاطب سوريا ، وقد تم جلاء المستعمرين عنها منذ يومين ، ويحملها مسؤولية الكفاح حتى يتم تحرر بقية أجزاء الوطن العربي :

هذه امتي تحرق للفجر وتغلى في صدرها أنواء  
أتنامين يا دمشق عن النار أيرضى لك الهوى والوفاء  
أسكوت ودجلة تتلظى ويد البغي فوقها حمراء  
امس لبت على استغاثاتك المسوت لدن اظلمت وعز الفداء  
أفرار ومصر لم تدفن القتلى ولا تجف فيها الدماء  
أتلذين سلوة ؟ وفلسطين على كل مقلب أشلاء  
لا أقول « اللواء » (٢) ما كان يوماً غير جرح من الجروح اللواء

(١) ض ٧٥ ديوان « مع الفجر »

(٢) لواء الاسكندرون السليب وطن الشاعر

هذا هو احساس الشاعر في ديوانه الاول ، الذي جاء أكثر شعرة عاطفياً وجدانياً خالصاً بحكم فترة الشباب الأولى . ولكن الأبيات التي وردت تعبر عن الروح القومية الشاملة ستسيطر على شعره فيما بعد ، وعلى شعر أكثر الشعراء المعاصرين . وديوان « عائدون » ليوسف الخطيب خير معبر عن تلك الروح ، خصوصاً في قصائده « نغم البعث » المهداة إلى الرئيس جمال عبد الناصر اثر تأميم القناة ، وقصيدة « فجر البعث والانسان » ، ففيهما يقرن بين معارك الوطن العربي بكل أقاليمه المختلفة في نغم نائر عاصف مليء بالكفاح . وقصيدته « المغاور » من أروع نماذج الشعر الخطابي النائر ، وفيها يتحدث عن الرجال الذين حملوا بهمينهم رسالة الكفاح ويصف أقدامهم بأنه :

كاندلاع اللهب من جذوة الشمس ففي كل حدقتين شهاب  
والجياه الصلاب في ملعب الريح كما تشمخ الجبال الصلاب  
يتقطبن بالشيئة والمزم سطورا لم يشتملها كتاب  
والصدور الشداد يلطمها الموج فيرند وهو منها حجاب

.....  
لن الشعب تلك راياته الحمر على الأفق والحديد المذاب  
لن الشعب هائجاً يتلظى لمن الحرب والطبول الغضاب  
ايها الفانمون اسلاب قومي ان من اجلكم تسن الحراب  
ان هذا عتابنا ، منجل النار فبهيات لن يرق العتاب  
واظنتي لست بحاجة إلى الحديث عن روعة الصور ولا عن اللفاظ المشحونة بروح الثورة والكفاح . وان كانت للشاعر قصائد أخرى في بعض اجزائها نغمات اليفة بسيطة هامة مشل « اغان من فلسطين » و « المندليب المهاجر » .

على أننا نلاحظ في ديوان « أعاصير في السلاسل » لسليمان العيسى ، وهو الديوان الثاني للشاعر ، أن المشكلة الداخلية تسيطر على أكثر قصائده وهذا امر طبيعي ، لأن التخلص من الحكام الخونة المستبدن هو الطريق إلى الاستقلال الحق ، وإلى الخروج من المجال المحلي الضيق إلى المجال العربي العام ثم الانساني . ولذلك نرى العيسى في ديوانيه التاليين «رمال عطشى » ثم « قصائد عربية » صيحة عربية خالصة تمتزج فيها أحداث الأمة العربية قاطبة .

وأظنتي لست بحاجة إلى أن أشير إلى كل القصائد التي قبلت على الصعيد العربي العام ، فالكثير منها قد نشر في الأدب ، وكيف أنها خلقت ملاحم واساطير حول جميلة (١) رمز الثورة الجزائرية وحول معركة القناة (٢) التي كانت بلا شك معركة العرب والعروبة وحول غيرها من معارك الوطن العربي الكبير . وان كنت احب أن أشير إلى صورة جديدة من صور القصيدة العربية وهي صورة الرسائل وذلك في قصيدة نزار قباني « رسائل جندي مصري في جبهة السويس » .

على أن الشعر الثوري لم يزل يتسع مجاله في ضمير الشعراء العرب حتى أصبح يشمل مجالا أوسع من المجال العربي الخالص . فديوان « اغاني افريقيا » للفيثوري ليس الا دعوة للبعث الافريقي ، ونغره في جنب شعوب افريقيا لتصحو وتثور ، وتأخذ مكانها في التاريخ :

افريقيا افريقيا استيقظي استيقظي من حلمك الاسود  
قد طالما نمت الم تسامي ألم تملي قدم السيد

.....  
فويك ان لم تخفني صرختي زاحفة من ظلمة الهاوية  
عاصفة بالابيض المتسدي عليك يا افريقيا الغالية

(١) عدد نيسان سنة ٥٨

(٢) عدد ديسمبر سنة ٥٧ ويناير وفبراير سنة ٥٧ - وغيرها

ان امثال هذه القصيدة (١) ، وقصيدة « ثورة قارة » المكتوبة سنة ٥٣ ليست الا نبوءة بالمد الثوري الذي سيجتاح البلاد الافريقية . ففي ذلك الوقت لم يكن قد تحرك في قلب افريقية سوى كينيا بقيام ثورة الماوا . ولكن الشاعر باستلهاه للقوى الكامنة في نفوس الشعوب ، وباستشرافه للمستقبل ، اصبح يرى الحقيقة قبل ان تتحقق . ولعل ثورة يوليه سنة ٥٢ المصرية قد اعادت الثقة في نفوس الشعوب المستضعفة وحددت الطريق الى المستقبل ، طريق الكفاح لاستخلاص الحقوق ، فاحست هي ودول اسيا الحديثة العهد بالاستقلال بما بينها من روابط ومشاركة مما ادى الى عقد مؤتمر باندونج ثم تكوين المؤتمر الاسيوي الافريقي ، ثم استقلال بعض بلاد افريقيا مثل غانا وغينيا ثم عقد مؤتمر اكرا وغيره من المؤتمرات ، ولعل قصيدة « اغاني افريقيا » التي كتبت سنة ١٩٥٢ تعبر عن تلك الشعلة التي بعثتها الثورة المصرية . وهذه القصيدة مطلعها :

يا اخي في الشرق في كل سكن يا اخي في الارض في كل وطن  
انسا ادعوك فهل تعرفني يا اخا اعرفه رغم المحن  
ثم يقول مشيرا الى الثورة المصرية :

الملايين افادت من كراهها ما تراها ملا الافق صسداها  
خرجت تبحث عن تاريخها بعد ان تاهت على الارض وتاهها  
حملت افؤسها وانحدرت من روايبها وانوار قسراها  
فانظر الاصرار في أعينها صباح البعث يجتاح الجباه  
يا اخي في كل ارض عربية من ضيائها وتفتت بدجهاها  
قم تحرر من توابيت الاسى لست اعجوبتها او موميهاها  
انطلق فوق ضحاها ومساها يا اخي قد اصبح الشعب الها  
ومن هذا الوتر نفسه تنطلق بعض قصائد ديوان « الطين والظافر » لمحي الدين فارس مثل قصيدة « افريقيا لنا » و « اغنية على لسان راع افريقي » بل انه يطلق صيحة الفرح بالتقاء اسيا وافريقيا في قصيدة « باندونج » (٢) :

وانتفضت افريقيا يوما وانتفضت آسيا المقهورة  
لتحطم تابوت سنين كانت اغنية مكرورة  
آسيا الصفراء لقد غسلت عار الايام المهذورة  
وكذلك افريقيا السوداء ستمحو تلك الاسطورة  
واذا باندونج بأذرعهها باقات صباح منضورة  
فقلوب تهفو لقلوب ستغني ملء المعمورة

لقد كان الاستعمار يحجزنا عن العالم ويمنع صلاتنا به ان تتوثق فلم نكد نحس مشاكل الانسانية الواسعة ، ونذكر الى اي مدى هي مرتبطة بمشكلتنا . ولكن الثورات التحررية التي نبتت في قلب العالم العربي قد اعادتنا الى التيار العام ، تيار الحياة . فاصبحنا ناسي وننفعل وننأثر بمايقع في جوانب العالم المختلفة لاننا اصبحنا نعلم ان مايصيب الانسان في اي مكان انما يصيبنا نحن ايضا . فنحن نحتج على اجراء التجارب الذرية في اليابان ، كما نحتج على اجرائها في الصحراء الكبرى قريبا من بلادنا . وناسي لمأساة اضطهاد في امريكا كما ناسي لمأساة اضطهاد في العراق او في الجزائر . فحين ينمى الظلم والعدوان في كل مكان تتعاقب الانسانية ويسود السلام .

ومن روائع الشعر الثوري الانساني وقمه العالية قصيدة « لوسى ( ١ ) لمحي الدين فارس ، تلك الفتاة الامريكية السوداء التي ابى عليها البيض ان تدخل الجامعة ولاحقوها بصنوف الاضهاد . وفي مطلعها يقول :

سمعت الرواية  
سمعت تفاصيلها للنهاية  
وجئت حزينا ارش على كل درب اسايا  
لا لاني مثلي سوداء مثلي  
ولونك لوني وجرحك جرحي  
وحزنك حزني تم عليه مقاطع لحني  
ولكن لاني انساني  
معذبة في الدجى شارده  
تدقن باب الحياة الكبير  
فتوصد ابوابها الجاحدة  
وفي جزئها الاخير يقول :

انما ابحت عن ارض الحقيقة  
والمساواة التي تنعم في احضانها كل الخليفة  
والمصاير الطيقة

حيث ينمو الزهر من غير أواني  
حيث لا تنبت في الاعماق اشواك الهوان

ومن هذا النبع الانساني ايضا تنبعت الكثير من قصائد محيي الدين فارس مثل « ذكريات الحرب » و « السلام الاخضر » و « اغنية جديدة » وقصيدة « شهيد من اليابان (٢) » لحسن فتح الباب من درر هذا الاتجاه الانساني . فهي قصة صياد ياباني ذهب ضحية التجربة الذرية الامريكية في جزر بكيني بالمحيط الهادي بعد ان قاسى امر العذاب ..

وبلاه ذاب شعره ولم يمض  
وغاض ماء وجهه ولم يمض  
وحين مات لم يكن به رمق  
يصد عنه غائل الحريق  
واساقت قبل الوداع منه كلمتان :  
« لا موت بعد اليوم بالفبار »

فكان اخر الضحايا في تجارب الدمار

لقد صور الشاعر في قصيدته جمال الحياة ثم فظاعة الدمار الذي تسببه التفجيرات الذرية ، وتحدث عن أسرة الصياد ، وكيف تنتظره دون جدوى زوجته واولاده ، في كلام أليف مؤثر ، ثم العذاب الذي لاقاه بعد ان لحقه الغبار الذري بالمرض والتشويه ، ثم ينتقل بنا في الفقرة الاخيرة الى الدعوة الثورية الانسانية :

ياأصدقاء الشمس يا طلائع النهار  
يا ايها العمال في شواطئ البحار  
لترطم تجارب الدمار  
بصخرة الاصرار  
لن يسقط الالباء في محارق الرماد  
لن يرجع الابناء نائهي الوجوه  
لن يطفئ الجلال نضرة العينون  
لتنحطم على جداركم يدها

( ١ ) الاداب عدد ايار ١٩٥٨

( ٢ ) الاداب عدد ايار ١٩٥٨

(١) قصيدة « البعث الافريقي » من ديوان « اغاني افريقيا »

(٢) لجبلي عبد الرحمن قصيدة رائعة في تحية المؤتمر الاسيوي الافريقي نشرت في جريدة المساء سنة ٥٨



من قبل ان يحطم الحياة

كذلك قصيدة « البنت التي ولدت ميتة » (١) لجاهد عبد المنعم  
مجاهد دموع انسانية ضد التجارب الذرية .  
ومن هذا الاتجاه الانساني قصيدة « الى مشوه الحضارات » (٢)  
اي هنتر ، يهاجم فيها الشاعر صالح جودت الفلسفة العنصرية التي  
قامت عليها النازية وفيها يقول :

يا راسم الارض خللا له يشقك ما انت لها راسم  
افرقتها في دم ابنائها وانت في لجتها عائم  
وقلت اجناس وقسمتها فصلت القسمة والقاسم  
ما انكرت حواء اولادها يوما ولا انكرهم آدم  
الابيض الناصع من بطنها وصلبه الاسود الفاحم  
على ان الشعر العربي الثوري المعاصر اذا كان قد عبر عن الثورات  
الوطنية والقومية والانسانية ، فانه لم يغفل التعبير عن الثورة الاجتماعية  
وهذه الثورة قد تكون ضد الفقر والظلم الاجتماعي الذي يتمثل في  
الاقطاعيين والمستغلين ، كما قد تكون ضد تقاليد وازواج اجتماعية او  
اوضاع اخلاقية فيما يكون بين الناس من معاملات . او تكون ثورة ضد  
تقييد حرية الفكر واضطهاد الكتاب الاحرار ، بل احيانا قد تكون ثورة  
ضد بعض الاتجاهات الفنية في الشعر نفسه .

ولقد كانت الثورة ضد الاقطاع والظلم الاجتماعي مقترنة دائما بالثورة  
ضد الاستعمار والحكم الداخلي الفاسد ، لان الاستعمار والحكم الفاسد  
لاهم لهما الا استنزاف خيرات الشعب لمصلحتهما الخاصة ، دون اية  
محاولة لرفع مستوى الشعب نفسه الذي يقدم لهم الخيرات بكفاحه  
وجهاده بينما يتمرغ هو في الفقر والشقاء . وهنا نعود مرة اخرى الى  
شعر سليمان العيسى وكمال عبد الحليم . ففي قصيدة « الارض التي  
وزعها المذبايع (٣) للعيسى نراه يصور ظلم الحكام الفاسدين واستبدادهم  
بصغار الزرايع واغتصابهم لارضهم ونفاقهم حين يذيعون في المذبايع برهم  
بالفلاحين واصلاحهم لحوالهم . كذلك قصيدة « شارع ابي رمانة » (٤)  
ثورة ضد الاستغلال الذي يتيح لبعض الناس اسرافا في المتعة والشراء  
بينما يتمرغ المستغلون في جحيم الفقر :

الشرفسة البيضاء من يدري اكانت غير حقل  
مزقت في اشواكه صدري ومزق صدر اهلي  
وعصرت فوق ترابيه روحي على رهق وذل  
.....

هيئات يهدا دونها المي وعاصفتي وغلى  
وفي قصيدة « يقولون (٥) نرى الشاعر يخاطب من يلومونه لانه  
يساهم في رفع لواء الثورة الاجتماعية :

يقولون هجتم علينا القطيع وها فيه لم يعد يلحم  
تمرد حتى الاجير الحقيير واصبح من لطمه يالم  
اكان الوري غير مستضعف يطيع ومستضعف يحكم  
بلى قد اترنا القطيع الذليل سواعد مفتولة تزحم

- (١) ص ٩٥ ديوان « اغنيات مصرية »
- (٢) ص ٩٦ من ديوان « ليالي الهرم »
- (٣) من هذا النوع ايضا قصيدة « القرصان الكبير » لمحيي الدين  
فارس في ديوانه « الطين والظافر » ، واخرى لتاج السر الحسن في  
ديوان « قصائد من السودان »
- (٤) « المعاصر في السلاسل » ص ١٦٨
- (٥) ص ٤٣ ديوان « رمال عطشى » .

وفي ديوان « اصرار » لكمال عبد الحليم نجد اكثر من قصيدة في  
هذا المعنى مثل قصيدة « اصرار » ومثل قصيدته عن الفلاح في مصر  
وعنوانها « في قبضة الفاس » وقصيدة « قصور وقبور » و « معسكرات »  
التي يوضح فيها تعاون الاستعمار والملك والاقطاعيين على استغلال الشعب .  
اما قمته الرائعة « لن يعيش » التي كتبها ١٩٤٨ ففيها يتنبأ بخلع الملك  
السابق ويصور بؤس الشعب . يبدأها بالحديث عن الملك وعن خوفه  
من الشعب بقوله :

وصوف على جسمه فوق صوف ولكن هيكله يرتعش  
وخمر لتنسيه وقع الصروف وتنسيه سلطانه المنكش  
ونار الرصاص وطعن السيوف وما طاش منها وما لم يطش  
وصوف وخمر ونار تطيش وتردي وهيكله يرتعش  
ترى هل يعيش ؟ وكيف يعيش ؟ وعيد الجماهير ان لم يعيش  
ثم يصف بؤس الشعب بأبيات منها :

تعيش الجماهير بين الحفر وفوق التراب وفوق القنر  
تموت الملايين بل تتحجر ضحايا الظلام صفار العمر  
تموت من العرق المنهم ومن قسوة العيش بين الحفر  
ثم يعود مرة اخرى الى الحديث عن الملك ويتنبأ بالثورة بقوله :

لقد كان يأكل في نومه وتبني الحياة أكف الجوع  
وكم كان يلهو بنيرانه ويفضح حين يموت الرعاع  
افاق على النار في كاسه وقد غاب منها بريق الشعاع  
على رعدة الموت في جلده كمن ادرته نياب السباع  
لقد ثار من كان في ارضه يبيع سمادته كالتسعاع  
يبيع له النور من عمره يبيع له روحه والسنذراع  
وقد دفع هذا الوقف الاجتماعي ضد الفقر والاستغلال هذين الشاعرين  
الى موقف فني يكران فيه الشعر الذاتي الذي يتحدث عن الحب وعن  
جمال الطبيعة وغير ذلك من الموضوعات الوجدانية . ففي قصيدة  
« يقولون » التي اشرفنا اليها نجد سليمان العيسى يقول :

بلى انا للحلم لا للنضال اذا لم تكن من دمي تفهم  
وللحب ان كان في حيننا فم بابتسامته يفهم  
بل انا للحلم لا للنضال اذا لم يكن في عروقي دم  
وزخرف دربي سوى معدم يشاطره داءه معدم  
اذا كان حولي سوى مجهدين على بيع انفسهم ارغموا  
ونفس هذا الموقف يقفه كمال عبد الحليم في قصيدته « الى الشاعر  
التائه » . وان كان للشاعرين كليهما شعر ذاتي عاطفي بالغ الروعة والحرارة .

اما الثورة ضد محاولات الاستبداد لقتل الفكر الحر ، فليس اروع  
من قصيدة « برونو ايدا » المنشورة في عدد نيسان ١٩٥٨ من الاداب ،  
للاستاذ هنري صعب الخوري . انها صرخة ضد كل من يقف ضد الحرية  
الفكر وانذار له بان الفكر نفسه سيقتله . ورونو فيلسوف ايطالي احرق  
في روما شهيدا في اواخر القرن السادس . وعنوان القصيدة « برونو ايدا »  
اي سيكون هناك دائما ايدا مجاهدون في سبيل الحق مستعدون للتضحية  
في سبيله مثل برونو . وهذه القصيدة قد قيلت قبيل الثورة اللبنانية  
١٩٥٨ صرخة احتجاج على اغتيال الفكر والفكرين وازرار الكتاب ، بعد  
محاولة رشوتهم ارضاء للمستعمرين ذوي الدولار . وهي قصيدة حسنة  
لافحة رائعة ساظطر الى الاكتفاء بإيراد مطلعها :

ستموت مطمونا بريشته  
ستموت ياخفاش يا جدينا  
للحرف يا جيلاد كلمته

يا حانوى الاثم

يا جرسا للظلم

يا بنساء قبته

ستموت مطمونا بريشته

وقد تكون ثورة الشعر ثورة عامة ضد الالم والشقاء كما في قصيدة صلاح عبد الصبور « عيد الميلاد » ( ١ ) التي يختمها بقوله :

يا لاهنا فوق الصليب يكاد يسالك الصليب

لم مت من دون الصليب ؟!

او ثورة ضد الاستكانة ودعوة للايمان بقدرة الانسان مثل قصيدة « الملك لك » ( ٢ ) او ضد التراخي والكسل والاتجاه الى الفبيات والاحلام مثل « خبز وحشيش وقمر » لنزار قباني . ( ٣ ) او ثورة اخلاقية ضد التزلف والنفاق وموت الضمير مثل قصيدة « دفاع عن الكلمة » ( ٤ ) لاحمد جحازي التي قدم لها بقوله « الى الذين ماتت كلماتهم لان ضمائرهم ماتت » وفيها يقول :

وانا الاصغر لم اعرف مصاحبة الامراء

لم اتعلم خلق الندماء

لم ابع الكلمة بالذهب واللاذ

ما جردت السيوف على اصحابي فرسان الكلمة

لم اخلع لقب الفارس يوما

فوق امير ابكم »

وقد تكون ثورة اجتماعية من لون اخر ، ثورة ضد التفسخ فسي العلاقات الانسانية وضد العزلة الروحية وعدم التضامن والتآخي التي يشعر بها الناس في مدينة من الزجاج والحجر ( ٥ )

الصف فيها خالد مابعد فصول

بحثت فيها عن حديقة فلم اجد لها اثر

واهلها تحت اللهب والغبار صامتون

لو كلموك يسألون كم تكون ساعتك !!

وهذا الاحساس يعبر عند الشاعر احمد حجازي في اكثر من قصيدة من ديوان « مدينة بلا قلب » مثل « انا والمدينة » و « مقتل صبي » ولكنه يصل الى قمة ثورته في قصيدة « الطريق الى السيدة » التي يختمها بقوله :

يا قاهرة

يا قايما متخمت قاعدة

يا مثذنات ملحدة

يا كاهرة

انا هنا لاشيء كالوتى كرويا عابرة !

وان كان في قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » يمود بعد سخطه

على اهلها الى تعرف حقيقتهم ، فراهم مثله طيبين معذبين محتاجين للعون فاتخذ منهم اصدقاء :

وفي المساء قارب الظلام خطونا

رايتهم واروا وراء الليل موتاهم

وانهمرت دموعهم واخضل مبكاهم

وامتدت الايدي واجهش الطريق بالبكاء

قلت لهم .. يا اصدقاء !

وهناك ثورة اجتماعية اخرى ، ثورة المرأة العربية ضد التقاليد والقيود التي يكبلها في المجتمع ، يريد ان يسجن ملكاتها ويقر مواعبها ، او ثورة ضد ظلم المجتمع الذي يكيل لها بكيل غير الذي يكيل به للرجل .

فكما يمثل الحالة الاولى تلك القصيدة الحارة الشائرة لفدوى طوقان « وراء الجدران » ( ١ ) تدهاها بقولها :

بنته يد الظلم سجنا رهيبا لواد البريات امشاليه  
وكرت دهور عليه ومما زال يمثل كاللعنة الباقية  
وقفت بجدرانها العباسات وقد عفرت بتراب القرون  
وصحت بها يا بنات الظلام ويا بدعة الظلم والظالمين  
لعنت : احببي نور حريتي وسدى علي رحاب الفضاء  
ولكن قلبي هذا المفرد لن تطفئي فيه روح الفناء  
لعنت سواي امامك تنعو وتخرسها غضبات الطفلة  
ولكن مثلي ستبقى برغمك بنت الطبيعة بنت الحياة  
اغني ولو سحقتني القيود اغاريد نفسي واشواقها  
تبارك لحني امي الحياة فلحني من عمق اعماقها

اما الحالة الثانية فتمثلها قصيدة نازك الغلار « غسلا للعار » ( ٢ ) تلك التي تمثل قتل الرجل للمرأة غسلا للعار بينما الرجل القاتل غارق في اثمه وفجوره لايحاسبه احد . وفي المقطوعة الاولى من القصيدة تصور الشاعرة لحظة القتل ذاتها بكل بشاعتها ، وفي المقطوعة الثانية تصور ذهاب القاتل الى الماخور يلهو بعد ان قتل ضحيته . وفي الثالثة تصور تناقل اهل الحارة لخبر الفاجعة وتبجح القاتل وفخره بفعلته :

وسياي الفجر وتسال عنها الفتيات

« أين تراها » ؟ فيرد الوحش « قتلناها »

« وصمة عار في جبهتنا وغسلناها »

وستحكي قصتها السوداء الجارات

وفي المقطوعة الاخيرة تبلغ الذروة اذ تلخص مأساة المرأة في الشرق التي تخشى ان تمارس بهجة الحياة خوفا من التقاليد التي نصبها الرجل حولها :

« يا جارات الحارة يا فتيات القرية : »

الخبز سنعجنه بدموع مآقينا

سنقص جدائلنا وسنسلخ ايدينا

لنظل ثيابهم بيض اللون نقيه

لا بسمة لا فرحة لا لفتة فالمدية

ترقبنا في قبضة والدنا واخينا

وغدا من يدري اي قفار

ستوارينا غسلا للعار

وبعد ، فاحسب اني قد اطلت ، وارجو ان يغفر لي الجميع انني لم اشر الى قصائد لاتقل روعة عما استشهدت به ، فعلمي ان شعر الشباب المعاصر ملئ بالروائع بعكس مايتهمه المعارضون ، وفي هذه الابام القليلة قد اعدت قراءة اكثر من ثلاثين ديوانا لشعراء الشباب كلها مليئة بما يستحق الخلود .

ملك عبد العزيز

القاهرة

( ١ ) ص ١٠٥ « وحدي مع الايام » .

( ٢ ) ص ١٤٥ ديوان « قرارة الموجة » .

( ١ ) و ( ٢ ) ص ١٨٤ من ديوان « الناس في بلادي »

( ٣ ) ديوان قصائد من نزار قباني

( ٤ ) ديوان « مدينة بلا قلب »

( ٥ ) من قصيدة « رسالة الى مدينة مجهولة » ديوان « مدينة بلا قلب »

# صَيِّحَةُ الرُّوَّادِ

في مهرجان الكواكبي



حملتُ في شفتيَّ النار والالما  
هما جناحيَّ في الزحف العظيم .. هما

الفان قيثارتي والجمر .. ما رَعِشا  
الا ومن دمي المطلول نبضهما ...

غمست في كهب الأعصار قافيتي  
وما اكرثت ... رمادا عدت أم نغما !

لي في ضلوع الدجى ثار سألغه  
ثار الصباح سجين القبر متَّهما

ثار الينايع مدت في خمائلنا  
أنهارها ، واحترقنا في الهجير ظما

ثار الشريد تشق النار محجرة  
ان مر منزله في جفنه حلما

ثار الملايين من لحمي ، ومن عصبي  
بين المحيطين .. لحما مزقوا ودما

ثار العروبة .. ان لم أسق وحدتها  
شعري ، فلا اهتز قيثارتي ولا سلِّما !

★

ماذا تريد سماء الوحي من وتري  
وفوق صدري تاريخ الاسى جثما ؟

ماذا ؟ اسوسنة في الحقل ضاحكة  
أصوغ أنداءها للمجتلي كلما ؟

أباقة من شعاع الشمس غاربة  
أذيب فيها فراغ الروح والسأما ؟

أهمسة من شفاه الحب عابثة  
أقصها .. فأغذي الجيل منهزما ؟

كفرت بالحقل يؤوي غير زارعه  
ويحمل الجرح .. لا شكوى ، ولا برما

كفرت بالحب ان ينشر غلالته  
على حبيبين حام الذل فوقهما

كفرت بالشمس ان تشرق على بلدي  
الا لتلثم ارضا حرة وسما

آمنت بالوتر العطشان محترقا  
وينبت الزهو من يمناه والشمما

آمنت بالشعر شلالا أصب به  
سحر الرجولة، أسقي الجيل مقتحما

★

دعني الملم على المأساة جانحتي  
غمامة تتحدى الفجر مبتسما

دعني شعاعا على أهداب قاهرتي  
أهدد الشوق سكران الخطى نهما

زرعت في كل ثغر لحن ثورتها  
أهزوجة ، وتركت الدرب مضطربا -

وجئت القي الاماني فوق كاهلها  
والعبء للكاهل الجبار ان زحما

أغرودة الوحدة الكبرى ، خذي كبدي  
عبر الرمال تسايحها لها وفما

قرأت في أعين الاطفال طلعتها  
اني لالمح شلال الضحى امما

في الشام ، في الشاطئ الورددي، في  
حلب

في كل زند بعطر التربة التحما  
آمنت بالزحف يغشى كل ناعقة

لم تتصل نسبا فينا ، ولا رحما

الحاقدون تلاقوا حول صحوتنا  
وهياؤا للربيع الشوك والنقما

الناشرون على فجري ضبابهم  
« ايمانهم » بحراب الغاصب اعتصما

القاتلون .. ويتلون التقى سورا  
ويملاون سراديب الدجى حكما

ماضي.. أحمله لحناً بحنجرتي  
ولست أحمله لحداً ، ولا رمما

رمانا السمر تدري من ينضرها  
ومن يرد شباب الفتح ان هرما !

★

أزحزح الستر عن فجري فألسه  
واكبا بخطاها تصدع الظلما

تنازل البغي رايأ شع في أفق  
وتخلع النير سيلا ثائرا عرما

وفي رحاب بني حمدان وشوشة  
تفجر الارض بالسر الذي كتما

تسقي العيون خيوط النور صافية  
والافق غاشية من حولها وعمى

وترتمي صيحة الرواد لاهبة  
تجوز في وطني الاغوار والقمما

تنهي يا وكور النسر وانفتحي  
على السماوات ، ان القيد قد حطما

ومد « يلدز » (١) عيدان الردى، وهوت  
اولى القوافل ، تسقي الزهو والشمما

وخضبت جنبات الشام زمجرة  
لم تنطفئ بعد لا رعدا ولا حمما

(١) قصر الطافية السلطان عبد الحميد .

وانداح في النيل زار كلما مطرت  
زرق الحراب عليه ماج واحتدما

عبده ، النديم ، عراقى ، بعض غضبتنا  
للفكر ، للحق ، للعرض الذي ثلما

للشعب .. يسلبه العدوان لقمته  
فان شكاً ، من رصاص المعتدي طعما

من فجر ايار كم جرح وعاصفة  
خضنا ، فلم نرتعش خطوا ولا قدما

من فجر ايار .. نعطيهِ جماجمنا  
يا فجر تموز .. ما زال العطاء كما ..

★

بغداد .. جرحك في صدري، اوقظه  
ولو هدأت لكنت اللفح والضرما

أجيل طرفي على ستين قد درجت  
فما أرى جدة فيها ، ولا قدما

من مذبح بدم الاحرار مشتعل  
لمذبح بقرايين العلى ازدحمنا

السابقون الى الميدان .. ما هداوا  
ليمنحوا الخيل بعض الروح واللجمنا

«أم الطبول(١) تدق السمع صاette  
يا روعة الصمت .. يطوي صدرها  
قسما

اذا تمطيت يا بغداد عن عربي  
لنعرفن بك العملاق ، والقزما

لتشهدن وقاحات غصصت بها  
أمة ملء سمع الدهر ام أمما ؟

(١) ساحة اعدام الشهداء ببغداد

ماذا أغنيك يا أرضي ؟ ومعركتي  
بين المحيطين تجري في دمي زخما

نشيدي البكر ما «سري» (١) بشهقته  
ألمي ، وما « ناظم » (٢) في نزعه نظما

نشيدي الفد .. بن بلا وبسمته  
تزلزل الظلم والسوط الذي ظلما

تزيح عن جبهة التاريخ وصمته  
تلقن الوحش نبل العهد ، والدمما

نشيدي الحلو عملاق سكبت له  
نبض الملايين في قيثارتي نقما

وهبت للنيل ذوب الروح قافية  
عرباء مرت على الامها كرمما

لقصفه النسر ما ضمت جوانحنا  
وللعروبة ما ابقى الكفاح ذما

ونحمل الورد للكف التي حملت  
لنا السهام .. ونفدي الحب حيث رمى

★

كنانة الله، مدي الظل في وطني  
وفيئي السهل من عدنان والاكما

انا طلعنا على التاريخ اغنية  
خضراء ، فليصطنع اعداؤها الصمما

كالشمس ثورتنا ينداح عسجدها  
على الكروم فيسقي الشوك والعنما

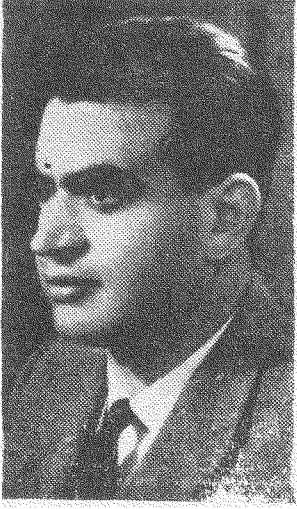
كالنهر موكبنا يمضي لطيته  
ويستحث خطاه الصخر ما اصطدما -

آمنت بالوحدة الكبرى ، بصحوتنا  
هما جناحاي في الزحف العظيم .. هما

القاهرة سليمان العيسى

(١) الشهيد رفعة الحاج سري

(٢) الشهيد ناظم الطبقجلي



# الحاشية

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

انه ما دام قد طلب راسي فسينال راسي . ليطمئن ، بل ربما وجد في هذه الحقائق الصغيرة ما يعينه على احكام ذلك الطوق لو ان في التهم التي صاغها لي زيادة لمستزيد . انا متهم بمصيان الاوامر العسكرية وبقتل المواطنين الابرياء وبالتآمر على كيان الدولة والنظام القائم ، وفوق ذلك كله انا متهم بانسي خائن ... خائن للثورة . ان التهم الاولى التي اثبتها النائب العام علي تكفي وحدها ، او بعضها ، لان تفقدني الحياة ، فما بال التهمة الاخيرة ؟ انا خائن للثورة ! ... انها ليست تهمة تقتل يا سيدي الرئيس بل هي سبة تلحق بروحي بعد الموت وتلصق باسمي حين لا يبقى على وجه الارض جسد يحمله . كم انا معجب يا سيدي الرئيس بمقدرة النائب العام العسكري على احكام الشبكة حول فرسته حتى لا يترك للنجاة لها مهربا ! انها لقدرة هائلة تزود لها بالعلم والفراسة وطلاقة اللسان وزادت مضاعف بالمران ! .. لقد اشاد النائب العام بي ، بمواهي ، بتقارير رؤسائي المشرفة عني ، بميولي الثورية واندفاعي المذهل في الطريق التقدمية ، ورفعتني باطرائه الى القمة ليحسن بعد ذلك القتالي في الهاوية السحيقة التي حفرها لي في اصل تلك القمة ، هاوية اتهامي بانني خائن للثورة . اني اخفض هامتي احتراماً لمقدرة النائب العام العسكري ، واصدق روايته لحوادث اليوم المشهور الذي جعلتني حوادثه مجرماً ، ولا اطعن أبداً في صدق احد من شهوده الذين قدمهم للشهادة علي ، بل اني لاعترف امامكم بوجدي الشديد ببعض هؤلاء الشهود . ولكني رغم ذلك كله اريد ان اروي امام محكمكم الموقرة حقاقي الصغيرة يا سيدي الرئيس .

تريدون مني ان لا اطيّل وان أبداً برواية الحقائق ؟ حسناً يا سيدي، سأبدأ حالا . سأبدأ قبل كل شيء برواية الوقائع ... ولكن اي الوقائع أبداً بها ؟ لولا ان تظنوا بي السخريّة لبدأت بيوم خلق السموات والارض، فكل وقائع هذا الوجود تبدأ بذلك اليوم . ولكن ذلك تاريخ بعيد ، فلأبدأ باليوم الذي قامت فيه القيامة التي امثل من اجلها امامكم الان . في ذلك اليوم وسدت لي مهمة لا يستطيع غيري ان يقوم بها وان علت مرتبته وسما مقامه . لقد غاب رئيسي ورئيس رئيسي في الفرقة التي انا ضابط في احدى وحداتها فانبط بعائتي الواجب الذي توسم في القادة الاعلون كفاءة القيام به ، والذي من اجله مرض رئيسي واستدعى رئيس رئيسي الى مهمة في بلدة نائية . كيف حدث هذا فتخطى ذلك الواجب السامي اعناق الكبار ليقف عندي ؟ حدث ذلك لانني شاب قوى

وقف التهم ، وهو ضابط في ريعان شبابه فارح القامة وثيق البنيان تلتهم عيناه السوداوان تحت حاجبين كثيفين مقرونين فوق انفه ، وعلى كل من كتفيه تبرز ثلاثة نجوم نحاسية ، وقف التهم حيال هيئة المحكمة وتطلع ملياً في النائب العام العسكري حتى اضطر هذا الى ان يترك بصره متشافلاً بتقليب بعض اوراق ملف بين يديه . حينئذ توجه التهم بنظره الى رئيس المحكمة الذي كان يتصدر المنصة يحمل شارات رتبته وكل اوسمته ويحف به من الجانبين اعضاء المحكمة وكلهم ضباط من مختلف الرتب والاسلحة في الجيش ، وقال :

سيدي الرئيس

اقف بين يديكم لالقي كلمتي الاخيرة قبل ان تصدروا حكمكم علي ، فارجو ان يتسع صدركم وصدر النائب العام العسكري لهذه الكلمة . انها الكلمة الاخيرة لي امام محكمكم وربما كانت الاخيرة لي في الحياة كلها . بالامس اوكلت الكلام عني الى محامي وقد قام بجهد مشكوراً . ما الذي يستطيع اقدر المحامين ان يطلبه لتهم مثلي ، تكافئت عليه الوقائع وطوقه النائب العام باغلال فصاحته وبيانه ، غير الرافة والرحمة ؟ وقد كان في عزمي ان اكتفي بدفاع محامي واقبل حكمكم بعده لولا ان خاطرا تسرب الى ذهني والح على تفكيري طوال الليلة الفائتة . هذا الخاطر كان يدعوني ، ما دمت مقدماً على الحقيقة الكبرى التي ستتلفظ بها شفاهكم ، الى ان اقول كل شيء ، اقول كل الحقائق الصغرى التي اعرفها او التي عرفت في هذه الايام الاخيرة . كان هذا الخاطر يصور لي اجراماً ، اكثر من الاجرام الذي اتهمني به النائب العام ، ان اخضع بهذه الحقائق الصغيرة لنفسي وبلغ علي ان اقولها بصراحة وبصوت عال . لن اقولها ... للتاريخ ؟ لكم يا سيدي الرئيس ويا ساداتي الاعضاء ؟ للشعب ؟ . لست ادري على التحقيق . ولكن علي ان اعترف لكم اني اومن بكم وبهذه المحكمة التي امثل امامها اكثر من ايماني بالتاريخ ومحكمته . كل الذين يقولون بان التاريخ ينصف مظلوماً او يحاسب مجرماً افلنته محاكم ايامه هم اما مخدعون او قليلو المعرفة اوهم سيئو النية . اما عن الشعب .. ولكن علي يا سيدي الرئيس ان لا استرسل كثيراً وان اصل سريعاً الى الحقائق الصغيرة التي الح علي خاطري في الليلة الفائتة بروايتها وبان انفضها امام محكمكم بصراحة ، وبساطة . قبل كل شيء اريد ان اطمئن النائب العام الى ان هذه الحقائق الصغيرة لن تفعل شيئاً في الطوق المتين الذي اثبتته حول عنقي ، والى



الشكيمة ماضي الإرادة واضح الاندفاع والاتجاه الذي تسير فيه ثورتنا المقدسة ... ثم لاننا في ثورة . اني لن افصل في ماهية ذلك الواجب فقد كفاني النائب العام العسكري مؤونة ذلك ، بل انه قد اورد في حريفيتها نصوص الاوامر التي تلقيتها شغافا وكتابة من القادة الاعلى . كان واجبي واضحا . في هذه المنطقة التي تعسكر فرقتي كانت ستقوم ثورة على الثورة ... استغفر الله والوطن ، بل سيقوم عصيان على الثورة . فكان علي ان احطم هذا العصيان كما يجب ان تحطمه قبضة بطاشة لضابط مثلي شاب قوي الشكيمة مؤمن باهداف ثورتنا التي يقوم في وجهها هذا العصيان . انها فرصة ثورتنا العظيمة التي لا تعوض ، للخلاص من الانهزاميين والرجعيين والتخريين ومن كل من يضع في عجلة التقدم الثوري عصا مجرمة . وقد انتهى الي ، أنا الضابط المتسدد المتواضع الرتبة ، شرف أن أغير ساعدي لثورتنا تحطم بها في هذه الفرصة اعداءها السفلة ، حثالة الحثالات . قال النائب العام العسكري امامكم ان كل ما كان متوقعا ومهيأ قد تم ، فنشب العصيان واكتشف الانهزاميون والرجعيون والمخربون وانجحت للثورة فرصتها العظيمة المرتقبة ، الا ان الساعد الذي كان عليه ان يبطش ويضرب الضربة القاضية قد تهاون وتخاذل بل تأمر وانقلب . ذلك الساعد هو ساعدي . لذا حكم علي النائب العام باني مجرم اقيم ووصمني فوقها باني خائن ... خائن للثورة . اي ثورة يا سيدي الرئيس ؟ ان احدى حقاقي الصغيرة تقوم على ان هناك الواسا من الثورة يجب ان نميز بينها ، وكان علي النائب العام ان يوضح لمحكمةكم اي ثورة قد خنتنا انا . اذن لقال لكم انها ثورة الشعب . حسنا .... على كل حال فان النائب العام لم تعوزه الادلة ان في تهمة لي او في وصمته فساق منها كثيرا . وكذلك لم يعوزه الشهود . فلو شاء لتحشد مئات الشهود الذين يتطوعون ليتقدموا الى عدالتكم بما رأوه من تهاوني وتخاذلي وتأمري وانقلابي . ولكن النائب العام لم يرد ازعاجكم واكتفى بازعاجي انا ... قدم اليكم فيما عدا شهادة مرافقي الذين تلقوا اوامري المباشرة في ذلك اليوم شاهدا واحدا ليس من حقي بعد هذا ان اتقدم بالتهنئة الى النائب العام على مقدرته وبراعته وحكته ؟

سيدي الرئيس :

افسمت سلمى امام محكمةكم يميننا على انها تقول الحق ، ولقد برت بيمينها وما كذبت . هناك ، على ما اعرف ، محاكم غير محكمةكم الموقرة يقسم الشاهد امامها على ان يقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق ، فلو أن سلمى كانت ادت قسما كذلك القسم قبل ان تقدم شهادتها ضدي امس اذن لاستطعت القول انها حلفت يميننا كاذبة وانها ما برت بقسمها . ذلك ان سلمى لم تقل الحق كله امس . روت حقا ما فعلته انا حين خالفت الاوامر الصريحة التي زودت بها فلم اوجه نار رشاشات وحداتي الى المظاهرة القادمة من الاحياء الشمالية حاملة على الثورة وبعض لافتات تحمل بعض الشعارات بل وجهتها الى الجموع التي كانت تحمل علم الثورة وتحمل معها حبلا للخنق واعمدة للشنق وسواطير تفلق الهامات والتي قدمت من الجنوب . روت سلمى هذا وكان هذا حقا ، ولكنها لم ترو ماذا عملته انا في الليلة السابقة لليلة العصيان . روت سلمى حقا انقلابي المفاجيء على الاتجاه الذي كنت اسير فيه في اندفاع نحو غاية عهدنا الجديد ولكنها لم ترو حقا لم كان هذا الانقلاب ولا ماذا كان دورها هي ، سلمى ، في هذا الانقلاب . ثم ان سلمى اعطت النائب العام العسكري مستندا ليس اقوى منه حينما قالت اني خائن للثورة ،

وكان قولها ذلك حقا ، الا انها لم تقل فيه كل الحق اذ لم تبين للنائب العام ولا لمحكمةكم ما هي الثورة التي خنتها انا . ان احدا غير سلمى لا يستطيع ان يميز بين الثورة التي خنتها وتلك التي لا ازال لها مخلصا . وحقاقي الصغيرة التي وقفت لاروبها لكم تقوم على ما لم تقله سلمى في شهادتها امامكم يا سيدي الرئيس .. انها تقوم على ما علمته انا في الليلة السابقة ليوم العصيان وعلى التمييز بين ثورتين اذا كنت اعترف باني خنت احدهما فاني آبي كل الاباء ان اوصم باني خنت الثانية او تهاونت في امرها . الثورة الحقيقية انا لم اخنها ولن اخونها ، وحسبي ان راسي الذي يطلبه النائب العام العسكري منكم سيكون فداء لها ... سلمى ... وانا لا اسميها باسم اسرتها ولا انسب اسمها بلقب الانسة . سلمى هي كما وصفها النائب العام خطيبي . بل هي اكثر من خطيبة يا سيدي الرئيس .. هي حبيبي ! ان ساحة محكمةكم الموقرة ليست موعودة على ان تسمع اعترافات الحب .. ولكن سلمى حبيتي ونحن انما قمنا بالثورة لنسب الاشياء باسمائها ، ليس ذلك صحيحا ؟ قبل الثورة كانت تعمر قلبينا ، سلمى وانا ، مشاعر واحدة عن اعداء الوطن ومستثمري الشعب وتدور في راسينا افكار متماثلة عن الطريق الصحيحة التي يجب ان يسلكها الشعب للخلاص من اولئك الاعداء والمستثمرين ولبلوغه حريته . كانت هي في مدرستها تلقسن تلميذاتها حب الوطن وانا في قطعتي اهبي جنودي لحماية الوطن ، وفي كل كلمة منها وكل ايعاز مني لمحة من الثورة التي لاشك في قدمها ، ثورة الشعب في سبيل الوطن . فلما شبت تلك الثورة وحد انتصارها بين قلبينا ، انا وسلمى كثارين باكثر مما وحد عهد الخطبة بين مصرينا كرجل والفتاة التي ستكون امراته . بالثورة اصبحنا حبيين بعد ان كنا لسنا غير شاين تعاهدا على الزواج . ولكن كان مقلدا لنا ان نفرق من حيث التقينا . شب حبنا مع الثورة ونما بنموها فاصبحنا ، انا وسلمى ، نلتقي ونتحدث ونتناقش في صراحة وكندين في ميدان الثورة وفي ميدان الحب معا ، لنكتشف ان بيننا تباينا في مفهوم كل منا لمعنى الثورة ... ولعنى الحب كذلك . تبين خفيف اخذ بالتوضيح شيئا وراء شيء حتى انتهى بنا ، انا وسلمى ، الى هذه النهاية ... الى ان نمثل امامكم : انا في قصص الاتهام وهي في موقف الشهود . كان التباين ضئيلا اول الامر يا سيدي الرئيس . كنت انا ارى ان الثورة الجيدة التي قام بها الشعب هي ثورة للوطن ، اما سلمى فكانت ترى ان الثورة للشعب . واي فرق بين الوطن والشعب ؟ كنت ، وكانت ... كنا نحسبه فرقا هينا ولكن انظروا الى اين انتهى ذلك الفرق الهين ..

سيدي الرئيس . اني رجل عسكري قد تعودت ان استخدم ما بين يدي من مادة في سبيل غاياتي المعنوية : استخدم الحديد والنار والقذائف والارض الجرداء والقرى المعمورة وحتى جنودي ، وهم اخوتي الادميون ، في سبيل الوصول الى الظفر والمجد والمثل الاعلى . ليست نشأتني العسكرية وحدها هي التي تدفعني الى تفضيل المعنى على المادة والروح على الجسد ، بل اني افعل ذلك لاني من امة آمنت دوما بان الروح فيها اولى من الجسد وبان معاني مجردة مثل الجود او الشجاعة او الذكر الحسن هي اسمى من المال او طول البقاء او من الحياة نفسها . فاذا انسقت انا العسكري المنتسب الى هذه الامة الى التفريق بين الوطن وبين الشعب ثم سلئت عن اختيار بينهما فمن الطبيعي ان اختار الوطن فافضله واقدمه . ذلك ان الوطن هو القيمة المعنوية للكمية المادية التي اسمها الشعب . منذ الصغر ونحن نهتف : نموت ويحيا الوطن ..

من نحن ؟ نحن الشعب !.. في صبانا وفي فتوتنا وشبابنا تعلمنا وعملنا على ان نحكي بقايات الافراد وبحيواتهم في سبيل سلامة الوطن وحرية وعلاؤه . فلو ان انسانا عرض علينا ان يبيعنا رفاه الافراد ، وهم الشعب ، وامنتهم وسلامتهم بشئ يقبضه من مثلنا العليا ومن قيمنا الروحية اذن لصفعناه على وجهه ورددناه خاسئا مدحورا . لماذا نرنا نورتنا الكبرى يا سيدي الرئيس ؟ اننا نرنا على اناس كانوا يمتنوننا بالرفاه وبالتقدم المادي في مستوى حياة الشعب ، لاننا رايناهم يسعون الى ذلك على حساب عزة الوطن وكرامته . لهذا نرنا وفي اعماق اعماقنا يعيش شعرا القديم : نموت وبخيا الوطن . في اعماق اعماق سلمى كان يعيش ذلك الشعار مثلما كان يعيش في اعماق اعماقي ... ولكن رباحا نكباء هبت على شعلة ثورتنا من جهات الارض الاربع فحرفت نور الشعلة عن الوطن وسلطته على الشعب . في البدء قالوا : ما الوطن وما الشعب ؟ انهما سيان ! ولكن شعاراتهم اخذت تنضج شيئا بعد شيء وتأخذ اتجاهها المتحرف الذي يريدون . كنا نقول الحرية ، فاصبحوا يقولون : الخبز . كنا ننادي بعلاء الوطن فاصبحوا ينادون برفاه الشعب . كنا نهتف بالجهد ونحن نعني النضال حتى النصر فاصبحوا يهتفون بالسلام وهم يعنون الذل والعبودية والتبعية . ما اكثر من اناساقوا وراء هذه الشعارات المستحدثة وهم لا يدركون مغزى ما يفعلون !! من هؤلاء سلمى التي بدأت انحرافها بان كانت تناقشني في ان ثورة الشعب وان مدلول اللفظتين واحد ثم انتهت الى ان تتهمني باني خنت الثورة لان الثورة هي ثورة الشعب للشعب وانا خائن للشعب ! ولكن قولها هذا لم يكن الا اسم يا سيدي الرئيس وفي محكمكم هذه . اما قبل اسم ، قبل يوم العصيان اقصد ، فان سلمى كانت تناديني ببطلها الحبيب وانا اضمها بين يدي واهصر قدامي بنراعي والنهم شفتيها بشفتي . اسمحوا لي يا سيدي الرئيس .... لا اريد مما اقله الان ان اسيء الى سلمى ، سلمى حبيبي اول اسم وخطيبي اول اول اسم . وانا اطمئنكم على ان ما اقله في حق سلمى سيسرها ولو كان سوءا ، فانها ستتحذه دليلا على شدة اندفاعها في السبيل الذي دفعها فيه مديرو وجدانها السياسي . للثورة في النفوس اثر مثل اثر الخبرة في الرؤوس وقد فعل هذا الاثر في نفس سلمى فانثشت به وسكرت منه وبسدل بسلوكها سلوكا جديدا في الحياة وحيالي انا خطيها . اخذت العلاقة بيننا تتسم بسمات جديدة لم تكن لها حين كانت سلمى تقابلني على استحياء وتحذني بخفر وتحرم وجنتها الخمرينان خجلا اذا ما مسست احاديثنا مستقبلا الذي سنكون فيه زوجين لكل منا على الاخر حق القربى على القربى . كل ذلك حدث بعد الثورة . لقد ظلت انا اسير تكنتي وفرقتي واوامر قاداتي العسكريين ، لحياتي مفاصد كل حياة جندي ولكن مفاهيمي المعنوية ظلت في عليائها لم تنحدر الى مستوى الارض ولا تمرغت في الوحول . اما سلمى فان تطورات ما بعد الثورة زلزلت مفاهيمها العاطفية فاخذت هذه المفاهيم اشكالا جديدة ادركتها انا فتركتني بين الدهشة لسرعة انطلاق سلمى في تطورها وبين الغبطة لان تطورها قد افدق علي من مفاتها مالم اكن احلم به . انتم يا سيدي الرئيس ويا ساداتي الاعضاء عسكريون تدركون جفاف حياة الضابط في تكنته اذا كان مستنفرا وكانت ملقاة على عاتقه مهمة يتعلق بها مصير كيان نظام ودولة . ولكن سلمى ، المعلمة الحية حين عرفتها قبل ان تدبر الثورة ، ثورة الشعب اعني له راسها ، سلمى هذه كانت تجد الوسيلة بصفتها عضوا ذا شان في المنظمة الشعبية ذات النفوذ السياسي

الكبير ، الى ان تزورني كل ليلة في مقر قيادتي وان تقضي الساعات الطوال في مكنتي تناقشني في تطورات الحال الراهنة في قطاع علمي وعملها ، القطاع المشرف عليه انا عسكريا والمشرقة عليه هي سياسيا . وفي الليلة التي سبقت نهار العصيان زارت سلمى مكنتي مثلما فعلت في كثير من الليالي الفائتة . استديت بها الحماسة وهي تحدثني في خطة الصباح وتطلعتني ، على غير توقع مني ، على اسرارها حتى برقت عينها بالحق التصميم واستطلت قامةها بغورة الاقدام . ان عيني سلمى كما لاحظتم ولا شك يا سيدي الرئيس عسلتان واسعتان ، بل هما وحشيتان طويلتا الاهداب . وقامت كما رايتم معتدلة لفاء يهد منها صدرها بارزا مفريا ويلتف دونها ساقاها مشيقين رائعين . فما كان لي عذر ، في فورة الحماس وفي وحدتنا واغراء الليلنا ، الا اتناول قدامي بيدي اهصر خصرها واحطم شموخ نهديها والنهم شفتيها المحمومتين بشفتي الجشعتين . ولقد فعلت .. فختمت بقبله لاهبة على اتفاق بيننا ان انفذ في صباح الغد تلك الخطة السياسية التي اسندت الي من اجل تنفيذها قيادة قطعة ليست هيئة من الجيش بعد ان غاب رئيسي فيها عنها مريضا واستدعي رئيس رئيسي في مهمة خطيرة في بلدة نائية . كيف قبلت بتنفيذ تلك الخطة بمثل تلك البساطة ، بل كيف هضمتها قبل ان اقيتها في لحظة معرفتي باسرارها ؟ جواب ذلك ان ذهني كان مشغولا في تلك الساعة من الليل لان بعري كان مطلقا بالفرجة بين نهدي سلمى بادية من ذيق قميصها الرياضي وهي تحدثني حديثها الحماسي . جواب ذلك ان جسد سلمى وانا اضمها كان يتقلب افغونيا بين ذراعي ليلتحم بي كان كل خلية منه كانت في شوق الى كل خلية من جسدي . جواب ذلك ان قبل سلمى كانت من القوة والحرارة ان ظلت تحرق شفتي الى الصباح وترقص في عروقي الدم الفائر والشهوة العارمة . الخطة كما مصورتها لي سلمى كانت هيئة واضحة : في صباح الغد سيقوم العصيان المبني على ثورتنا المقدسة ، وواجبي الهين الواضح ان اقمع ذلك العصيان ببطش وجبروت لئلا تقوم لاعداء الثورة بعدها قائمة . وبقينا ما كنت في حاجة الى ايضاح من سلمى ولا لتشجيع منها ولا اغراء حتى اقوم بذلك الواجب . كنت في اعماق نفسي اشعر بالفخر ان اسندت الى مهمة البطش بهؤلاء العصاة الجناة الخونة المأجورين ، الذين يريدون اطفاء شعلة الثورة والعودة بالوطن الى عهد الرجعية والفساد . انسي سافتك بهم قابضا عليهم بالجزم المشهود ، في محاولة ارتكاب جريمتهم الشنعاء ... فقد كنت اعلم مقدما بان عصيانهم سيبدأ بصورة مظاهرة تبدو سلمية ولكنها مهياة لتتقلب بعد دقائق من بدئها الى عملية تقتيل ونذبح وندمير الفاية منها ان يتاح لاعوان معروفين وضع ايديهم على مرافق الدولة العليا والقضاء على ثورتنا المجيدة المقدسة . كل هذا كنت اعرفه مقدما واهني نفسي على معرفتي به وفي نفسي ان ليس من حقائق عن المؤامرة المبينة اكثر مما اعرفه . ولكن سلمى ، في تلك الليلة ، شات بدافع من واجبها كمسؤولة سياسية تريد اطلاع المسؤول العسكري المخلص او بدافع من عاطفتها كحبيبة تريد ان تكتم شيئا عن محبها الموله ، شاءت ان تفتح عيني على امور جديدة ما كان لي بها علم مسبق . اعلمتني سلمى ان العصيان الذي سيقوم في الغد له حقيقة غير الحقيقة التي ابلغتها من رؤسائي ، وانه وان بدا مهيا من اعداء الثورة هو مدبر في اصله من اولي الامر في الثورة وفق خطة متقنة محكمة التدبير اعلمتني سلمى بكل تفاصيلها .

## الخائن

— تنمة المنشور على الصفحة ٢٢ —

تلك الخطة المحكمة كانت علي ان المظاهرة التي ستقوم في الفد هي مظاهرة سلمية حقا ، قد اوعزت بها سرا سلطات الثورة المسؤولة وكلفت بها نفرا من المواطنين الشرفاء على ان تكون شعاراتها الى جانب الولاء للثورة استنكار بواذر الاباحية في الاخلاق ومظاهر الانفلات في السلوك والتحديات الوقحة التي بدأ بعض المتطرفين بتوجيهها الى العقائد الاصيلية في الامة والى المثل العليا التي نادت بها الثورة بقوة يوم اعلانها . هكذا ستقوم المظاهرة السلمية في الفد بايعازه ولو انه اعاز سري ، من سلطات ثورتنا المباركة . ولكن ثمة اعازا اخر من هذه السلطات نفسها الى اخرين ليقفوا في وجه المظاهرة السلمية هذه بمظاهرة مثلها .. ولكن غير سلمية .. فهم سيحملون بدل الشعارات المكتوبة اسلحة ماضية وحبالا للخنق واعمدة للشنق معدة كلها لاعداء التطرف في الثورة الذين يمشون في المظاهرة السلمية . وواجبي الواضح الهين يبدأ حين تلتقي المظاهرتان ، وهو اوضح واهون مما كنت اتصوره ، فهو ينحصر في ان اترك لحاملي الاسلحة والاعمدة والحبال حرية التصرف فاذا اتوا مهمتهم اتممت اداء واجبي في تطويق دور بعينها يقطنها رجال بعينهم متهمون بانهم هم الذين اثاروا العصيان وهياؤا التمرد وتسببوا في المجزرة . ذلك انه ستكون في الفد مجزرة ولا شك ، يموت فيها ابناء الشعب لتحيا ثورة الشعب .. فتورث الشعب لا تحيا اذا لم تنفذ بدماء ابناءه ! وأنا ، انا الذي يؤمن بالثورة وبالوطن وبالشعب ، سيكون لي الفخر بان احمي هذه المجزرة المشرفة في الفد وان اتم فصولها باعتقال رجال موصومين بالتكر لثورة الشعب وأن أسلم هؤلاء الرجال الى حاملي ادوات الشنق والخنق والتقطيع ...! يا له من غد مشرق سيكون بالنسبة لي يوما عظيما يرفع رأسي ويرضي ضميري ويفتح لسي بوابة مستقبل رائع ...

وانطلقت في الصباح التالي آلة الخطة المبيتة دقيقة في توقيتها واحكامها . ورأيت بعيني كيف اقبلت جموع الناس المسالين يرفعون علم الثورة ووراءه لافتات تستنكر الافراط في الاباحية والتحلل والتحدى الوفج وتدعو الى ان تظل شعلة الثورة متقدة بنور الحرية والعزة للوطن والكرامة للشعب الذي يعيش على ارض الوطن . كانت الشعارات التي ننادي بها المظاهرة هي الشعارات التي تحمل من نفسي اعماق اعماقها، وكان الناس الذين يقولون بها هم اخواني وابناء عمي الذين ترد اصولهم الى الارومة التي منها اصلي ، في قلوبهم الاخلاص وفي نفوسهم الخير وعلى السنتهم الصدق والصراحة . وكنت احيط بمظاهرتهم بجنودي وهم مطمئنون الى ان هؤلاء الجنود هم اخوانهم وابناؤهم والى ان الاسلحة التي يحملونها انما يحملونها لحمايتهم وحماية مقدساتهم . غير اني انا قائد الجنود كنت اعلم من الخطة ما لا يعلمه المتظاهرون وانتظر مرور الدقائق التي ستبرز بعدها في عطفة الساحة الكائنة في اخر السارح الرئيسي جموع اهل الاعمدة والحبال والسواطير لاسيغ حمايتي عن المجزرة التي بوشك ان تقع ويقع ضحيتها هؤلاء المسالون المخدوعون. اليس هو واجبي الواضح الهين ؟ حتى تلك الدقائق التي سبقت المجزرة

كان طعم قبل سلمى لا يزال على شفتي ولهات انفاسها لا يزال يلفح وجهي كانها لا تزال تتلملم بين ذراعي في وجد واشتهاء ، وكذلك افكاري كانت لا تزال مآخوذة باقوال سلمى وبحججها وتفاصيل خطتها . فكنت في مركز قيادتي اسجل مرور الدقائق واحدة بعد اخرى وفي كل دقيقة كنت انفذ جزء الخطة الذي يخصها والذي يوصلها الى الخاتمة المؤكدة البتة : تذيب ابناء الشعب اتهام فريق محكوم عليهم مسبقا بانهم الذين خانوا الشعب وتآمروا على مستقبله ومصيره ..

وفي الدقيقة المعينة المعروف موقعها بالتاكيد في توقيت الخطة برز اهل الحبال والاعمدة والسواطير من عطفة الساحة التي تقع اخر السارح الرئيسي يحملون العلم الاحمر وفي أعينهم الهياج الاحمر وفي حلقهم صرخات الخنق الارجوانية . فترددت جموع المظاهرة السلمية عسن التقدم بخطاها الهادئة ثم لم يلبث مئات افرادها ان تجمعوا متقاربين كقطيع غنم هاجمته جماعة ذئاب ، وتحولت أعينهم الى فصائل جنودي المسلحين الذين كانوا يحملون اسلحتهم مشرعة في انتظار اوامري . ولكن جماعة الذئاب كانت تعلم أن اوامري لن تطلق ضدها ، فاندفع أفرادها يجرون حبالهم واعمدتهم ويلوحون بسواطيرهم نحو اللحم الادمي الذي

## دارالمعارف بلبنان

بناب الميلي ساحة رياض الصلح م.ب. ٢٦٧٦

نقدم قصة لولائه شاب مات في العشرين من عمره ووصفته قبله  
سنة مائة الف مائة الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف

لغة التي امرت ضوة  
عظيمة في العالم

## الشيطان في اللحم

نألفه  
ميرزا رافيه



الكتاب  
١٥٠ ص.  
اراميلاريا

نطلب من جميع المكتبات الشهيرة

وقف مكوما امامهم . حينذاك ، كما تنجاب عصابة كثيفة عن ناظر معصوب العينين ، سقط الحجاب الفليظ الذي كان يحجب عن بصيرتي النور والحق . لهات انفاس سلمى اصبح فحيحا ومعسول طعم شفيتها انقلب في لهاتي سما زعافا ، وتبينت في تلك اللحظة ان تلوي قد سلمى المثر في حضني ما كان الا كتحاخذ دليلا بين ذراعي شمشون لتستذله وتستعبده . تلالشي سحر سلمى امام منظر الذئاب الشرسة النسي حددت انيابها لتمزق القيم السامية التي ربيت على تقديسها واسترخصت في كل يوم بقائي في فدائها . تبينت في تلك اللحظات الى اين انتهى الفرق الضئيل الذي بدأ بيني وبين سلمى ، انا في ايماني الصحيح بالوطن وهي في ما تدعي زيفا بانه ايمان بالشعب . انا في ايثاري سبيل التضحية حتى الفداء لبلوغ الغاية الكريمة وهي في سلوكها طريق الفدر وتبريرها الوسائل الدنيئة بالغايات البعيدة . حينذاك ، حين سقط الحجاب الفليظ عن بصيرتي ، اصدرت امري صريعا ومباشرا الى الوحدة التي كانت ترابط عند منعطف الساحة . فانطلقت رشاشاتها تحصد جماعة الذئاب وتشر على الارض اعمدها وحبالها وسواطرها . نعم ، لقد جرى ذلك بامري انا . وها انا الان اف امام محكمكم وبهمتي اني خائن للثورة . اية ثورة هذه التي خنتها ؟ انها ليست الثورة الحقبة التي افديها بدمي ... بل ربما كانت تلك التي اسموها سفاها ثورة الشعب .

سيدي الرئيس ، سادتي الاعضاء

طلب محامي منكم الرحمة لي . والذي اعتقده انا اني لن اجد في قلوبكم رحمة . لا تحسبوا اني اعيبكم بهذا ولكني اعرف انكم عسكريون والرحمة في عرف العسكري وفي موضع الواجب ضعف . انا شخصيا لم ارحم اولئك الذين انقلبوا على الثورة المقدسة فحولوها الى اداة استثمار مادية وريقة يجرون الشعب بها الى التبعية ، فاطلقت رصاص رشاشاتي في صدورهم وصبغت الارض من دمهم . وانا الان غير نادم على اني فعلت ما فعلت . لذلك فان رحمتكم بي ، لو حدثتكم انفسكم بها ، ستكون في غير موضعها . امس ، حين قررت ان اتكلم اليوم فانفض بين ايديكم حقائقي الصغيرة ، امس سالت نفسي ما الذي اكسبه من رحمتكم ؟ .. انا شاب في عتفوان الشباب ، احب الحياة ومفانها جبا عارما ، ولكن هل خلد حب الحياة احدا في الحياة ؟ ان الذين لن يعدموا زعيا بالرصاص او يشنفوا بطلب من النائب العام العسكري او الذين لن يعلقوا على اعمدة التلفون او يقطعوا بالسواطير بايدي جماهير الفوغاء المثارة سيموتون حتما حتف انوفهم او في حوادث السيارات او القطارات ، وينهبون كلهم وما قضى واحد منهم مازيه من الحياة . بخيلت لنفسي امس انكم براقمونني واني خرجت من هذه القاعة حرا طليقا ضاما الي سلمى حبيبتي بذراعي ، فقلت لنفسي ماقيمة الحياة احيائها بعد الان ؟ ستمر علي الاعوام متتابعة تزيد من تعلقي بالدنيا وتقص من قدرتي على التمتع بها الى ان انطفئ كما ينطفئ سراج نقد زيتته . ستكون سلمى ، التي اعترفت امامكم انها لا تزال تحبني ، الى جانبي . ولكن ما قيمة سلمى بعد الان ؟ انها ستكون لي جسدا بلا روح .. روحها تضاءلت حتى التلالشي حين تنكرت للقيم السامية التي كنا نؤمن بها معا . اما جسدها فلن يكون الا كاحد اجساد نساء كثيرات عرفتهن في عتفوان فتوتي ، يزول سحرها بزوال جدتها وازدياد الفتها . لا ... احب الي ان افارق الحياة وانا في ذروة القدرة على التمتع بها . كل النفوس

الكبيرة لم تجد في العمر الطويل الا الاسى ، بل انها وجدت اللل احيانا . تحسر خالد بن الوليد متناثا من موته على فراشه كما يموت العير . وكان اعز لنابليون لو قتل على جسر اركول او في معركة مارنغو قبل ان يدوق الهزيمة في سباسب روسيا او اللل على يد همدسون لو في سنت هيلانه . اني كمسكري لا ارى احسن فعلا من ميتة الاسكندر الاكبر في الثالثة والثلاثين من عمره وفي اقصى غايات نفسه ، في بابل بعد عودته من الهند البعيدة . وانا الان على ضالة شاني ارى نفسي واقفا في اقصى غايات نفسي وعلى ذروة مآربي ، متهما بخيانة انا شديد الفخر بها . كان يمكن ان اموت في الثورة حين نشبت فاكون فداء لمولدها ، ولكني اموت الان لانني حاولت نفخ النار في شعلتها وتنقية نور الشعلة من الدخان والرماد والارجاس . لا اكون صادقا لو قلت اني اكره الحياة ، فان قوى الحياة لا تزال تنفجر في شراييني وتلهب نائرة في اعصابي ، ولكن ما نفع الاسى ؟ .. اعود فاقول ان حب الحياة لم يخاد احدا في الحياة . فاحكموا علي بما شئتم ، فاني برغم الاسى طيب النفس مستريح الضمير . . .

وبهذه الكلمات اتم المتهم دفاعه عن نفسه ناركا لفضائه ان يعودوا الى انفسهم وضماثرهم قبل ان يصدروا عليه حكمهم . ولم يتاخر هذا الحكم طويلا عن الصدور . وكان حكما بسيطا قاطعا ، يقضي برمي المتهم بالرصاص ، وحتى الموت .

عبد السلام العجيلي

تقديم

دار الصليحة  
للطباعة والنشر

يقام  
مهرجان كامل

الرواية "نكبة بارقة في  
السرعة العربية كلاس"

مصرية تعارض "الجلسة السرية" لبرل سارتر في الجمهورية

سارتر وقف من "الاننى" موقفاً سلبياً .

وصليح كامل وقف من موقفاً ايجابياً ...



# ملاحم الأديب السوري في العراق

## بقلم محمد الدين اسماعيل

الادبية في العراق ، وفي اي قطر عربي آخر ، تفسيراً موضعياً محلياً ، مع اضافة بعض الاجواء الغربية التي تصفيها اوهام الالفاظ والمصطلحات التي لاعلاقة لها بالنطاق الكياني الحقيقي للشخصية العراقية - العربية . فالتفسير الاكثر اصالة من ذلك كله ، هو ان نعتبر هذه المرحلة الثورية التي يمر بها الادب العربي في العراق مرحلة موصولة الحلقات مع المراحل التي سبقتها ، وانها ليست محض ردود افعال لتيارات اجنبية عارضة . مع اننا نؤمن ان هاتيك التيارات كانت ، وما تزال ، من عوامل الاثراء والاختصاص والتعميق في الادب العربي في العراق وغيره من الاقطار العربية ، الا انها ليست هي الروافد الاصيلية التي تفجرت عنها هذه الارتجاجات الفكرية الحديثة التي تتسم بسمه الثورة والتمرد اليوم .

ففي بعض ادوار التاريخ فترات ، يستشعر فيها الادباء والمفكرون ان شعوبهم مقبلة على احداث خطيرة فيها جدة وحسم ، وان الواقع الذي تعيش فيه هذه الشعوب يقترب من تلك اللحظات الحواسم التي يتحول فيها ذلك الواقع الى حالة غير معقولة ينبغي ان تزول . ولو رجعنا الى الفترات التي سبقت جميع الحركات الثورية في العالم ، لرأينا ان المفكرين والادباء والمؤسسات الفكرية بأسرها قد شاع فيها هذا الضرب من الشعور الذي نشأ عنه نمط جديد من التفكير ، واستجابات روحية معينة ، هي هذا الذي ندعوه اليوم بالحس الثوري أو الروح الثورية ، والذي كان يدعو ادباء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في اوربا بالاحطار السياسية . كان الامر كذلك قبل الثورة الفرنسية الكبرى ، وقبل ثورة ١٩١٧ الروسية . فالحياة الفكرية قبيل هذه الحركات الثورية ومثيلاتها تتخذ موقف « التوقع » أو الترقب من ناحية ، وموقفاً تحاول ان تتحول فيه الى « قوة دافعة » بالاتجاه الثوري ، من ناحية اخرى . وعندئذ يمكن ان يوصف الاتجاه العام في الفكر بأنه ثوري متمرد يعمد الى القلب والتصفية ، برغم المضاعفات الثانوية التي قد تطرأ على الفكر ذاته . ففي اواخر القرن التاسع عشر اهتم ادباء القارة الاوربية وبريطانياً بحادثة قد تبدو عابرة تافهة للنظرة الاولى . ذلك ان اسكافيا يدعى « هارتمن » قد تفوق تفوقاً ساحقاً في الانتخابات العامة في « هامبورغ » امام اثنين من المرشحين من كبار الساسة يومذاك . وكان اجماع الكتاب في ذلك الحين ان في جو القارة الاوربية ، اثر هذه الظاهرة العجيبة ،

علينا هنا ان نحدد الخصائص العامة للادب الثوري في العراق ، وان نشير الى معالنه الرئيسية دون تفصيلاته . ولنا ان نبين وجهته العامة الراهنة ، اذ نحن لانستطيع ان ننتبأ بالاتجاهات الفكرية المقبلة في اي ادب من الاداب ، طالما لم يستطع احد بعد - وقد لا يستطيع - ان يستكشف القوانين التي تتحكم بالانواء الفكرية ، ليشير الى اتجاهاتها وتناوحيها ، كما يشار اليوم للانواء الجوية في الارصاد العلمية الحديثة . على ان الحقيقة التي نستطيع ان نتيينها من خلال دراستنا للادب العربي المعاصر في العراق ، هي هذا الالتزام الصارم الذي اخذ الاديب العراقي به نفسه ، والذي تحول ، فيما بعد ، الى تمرد أو ضرب من النزوع الثوري الذي يتخذ شكل « توقع » حيناً ، وشكل « قوة دافعة » حيناً آخر ، وشكل رغبة في قلب المجتمع ، بما فيه من اوضاع واوجاع واوصاب ، في معظم الاحيان .

ولس لنا ان نؤكد هنا ، او نناقش ، البديهية القائلة بأن الادب الثوري في العراق ، جزء لا يتجزأ من الثورة الفكرية في اطارها العربي العام ، والتي هي ثورة وتمرد ورغبة في القلب والتصفية ، بقدر ماهي تطور عضوي ، متصل غير منفصل .

ولكن كيف تطورت هذه الثورة وتبرعمت ؟ وما تفسير ظهورها في هذه المرحلة ؟

لا قراءة التاريخ السياسي ، ولا الفساد في الادارة والجيش ، ولا الاقطاع والانحطاط الخلقي ، ولا رذائل المجتمع ، ولا البربرية الضارية التي عوملت بها الشخصية العربية في العراق وحدها ، كل ذلك ليس بوسعه ان يفسر لنا تمرد الفكر العربي وليس بمقدور ذلك على اية حال ان يفسر لنا ظهور الادب الثائر وجرأته على اقتحام ميدان النضال . ان جميع الاسباب والمسوغات والمعاذير التي يضعها المؤرخون والنقاد التقليديون لاتستطيع ان تفسر لنا الحماس الثوري في العراق ، ووعي العربي العراقي لذاته ، ان نحن اغلقنا على « الشخصية العراقية » قوقعة الذات العراقية ، وعزلناها عن مسارب التاريخ الحيوي للعراق ، أي ان نحن امسكنا الباب على العراق ، وعاملناه باعتباره تجربة متكاملة ، بمعزل عن الكيان العربي العام .

ولا ريب ان هناك طائفة من المؤرخين والنقاد الذين تسحرهم الالفاظ والمصطلحات ، لا الحقائق الصلبة الصلدة قد دأبوا على تفسير الاوضاع

ماينذر بوقوع « اخطار سياسية » - على حد تعبير ذلك الزمن - فكان لهذه الحادثة الصغيرة اثرها في اوساط الكتاب والمفكرين .

ومن هنا نجد ان دراسة الواقع بالذات ، بما فيه من تناقض وانسجام وحيوية ظاهرة ومستورة ، هي وحدها التي تعيننا على تفهم شتيبت الاتجاهات في الادب والفكر . وهكذا فان دراسة الواقع العربي له - يحظ الاوفى والنصيب الاجزل في تفسير هذا النزوع الثوري في الادب العربي في العراق . فالافلاس الروحي الذي اصيب به عدد من ادباء الجيل القابر ، والخيبة النفسية التي اصيب بها الشعب العربي بأسره على يد المحترفين من الساسة ، والكوارث المتلاحقة الفاجعة ، وعجز النظم الفاسدة عن الاستجابة للبوارج الإنسانية لدى الشعب ، والفروق الهائلة بين الكواييس الحاضرة التي تعيش في ظلالها المقيتة جماهير غفيرة من الشعب العربي ، وبين احلام المستقبل ... بين هذه الكواييس الراهنة واحلام الغد ، اي بين الامكان والتحقق يزداد التوتر في كيان الشعب ، ويتعاطم نزوعه الثوري .

فالعربي ، والعراقي - على وجه التخصيص - ، والاديب العراقي ، بصفة اخص ، قد وجد نفسه ، على فجأة منه ، امام حالات معقدة شديدة التعقيد ، على نحو تكاد لم تشهده حتى تلك المجتمعات التي صنعت الثورات الكبرى في التاريخ من قبل . وهذا التعقيد الذي تألف من اشتباك سلاسل من المساوء والمفاسد ، قد ارغم الفكر العربي في العراق ارغاما على ان يعي ذاته وان يعي هذه الطائفة الشتيبتة من الاخطار والقوى المعادية من الداخل والخارج ، والتي تناصبه العداء والموت والتدمير! من الداخل ، على الصعيد الاقليمي حيث الرجعية المسرفة في الغباء والتي تمثل فيها اشبع شكل للحكم الجائر الباطش ، الى جانب القوى الاخرى التي استهدفت بشكل منظم ماركس ، محق معالم الشخصية العربية في العراق كالشيوعيين واعوانهم منذ عام ١٩٣٥ ، الذين حرفوا الازهان عن حقيقة الصراع الذي اخذ به الشعب العربي نفسه من اجل انقاذ حضارته وتحريرها ، وسلطوا الاضواء على صراع سطحي زائف اخر ، برزت على واجهته لافتات تدعو لا الى تحرير الشعب العربي وحضارته، بل الى تحرير الدستور والبرلمان ! .. ومن الداخل ايضا ، على الصعيد العربي حيث الرجعية العربية المتضامنة فيما بينها ، والصهيونية التي تقف تحديا وفحا شادا للكيان العربي ... ومن الخارج ، على الصعيد الدولي حيث الاستعمار الذي لا يعرف غير الاوراق المالية وصوصوك المساومات والمسلح بابرع الوسائل وامكرها لمحق الذاتية وتشويه الكيان القومي .

هذه التحديات السريعة الخاطفة التي انشالت على الكيان العراقي، قد وضعت حدا سريعا حاسما للانحلال والانخزال في الادب العربي في العراق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . فبدأ الادب العربي في العراق يميل الى ان يكون تنفيسا عن طاقة روحية ضخمة مرصودة في اعماق الشعب العربي ، تحاول الصمود بوجه هذه التحديات الخارقة . اي ان يكون قوة دافعة للصمود بوجه المحنة والالم ... ولا مراء ان اعماق التجارب الإنسانية هي تجربة الصمود بوجه المحنة والالم .

ومن هنا وحيث ان الادب في العراق قد اتخذ موقفا يحاول فيه الاجابة على هذه التحديات ، على اساس حضاري ، وعلى مستوى كيانى « هي محاولة على الاقل » ، لذا فانه لم يكن بحاجة الى من يسنده من مصممي الحلول الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، كما هي الحال في المجتمعات الاوربية التي ظهر فيها من امثال ماركس واوين ولاسال وسان سيمون . فالمركة التي بدأ تمثيلها توا الادب العربي في العراق،

هي معركة صون الحضارة العربية واثبات الشخصية العربية - الإنسانية التي افاقت اليوم ورفضت قطعاً ان تلقى مسخاً شائها على شاطيء القرون ! وهذه الحقيقة بالذات هي التي جعلها الكتاب الغربيون ، فنظروا اليها نظرة خلوا من النفاذ ، فظنوا ان معركتنا هذه ، لم تنهياً للفرد ولشكالاته . وقد ذكر مثل ذلك عدد من هؤلاء الكتاب ممن عناهم ما W. LAQUEUR . ومن امثال والتولاكر وغيره .

اما النزعة الإنسانية في الادب ، فقد دخلت الادب العربي في العراق خلال الحرب العالمية الثانية ، فاصبح الانسان وازمته المعاصرة هي موضوع الابهاء عند شعراء وكتاب الجيل الجديد ، فظهر اثر ذلك بلند الحيدري والسياب ونازل الملائكة وخالد الشواف وعبد الملك نوري وفؤاد النكرلي . وقد بدأ هؤلاء الادباء وغيرهم ، لا سيما الشعراء منهم ينظمون الى عالم الحلم الذي كذب الشعب بنفسه في اعماقه ، وهنا وجدنا الشعر يكاد ينشق عن الفن في بعض الفترات ليكون أداة مباشرة من ادوات الثورة والتحرير على وتسمير وقدراتها ، كما تفعل الخطابة في دفع الجماهير . وهنا علينا ان ننص على حقيقة واضحة في تاريخ الادب العربي في العراق ، ذلك ان الشاعر هناك ، كان دائما ينازع خطيب الثورة مهمته ومسؤولياته . فكان لكل انتفاضة ثورية في العراق، شعراؤها الذين يقفون في الشوارع يخاطبون الجماهير ، ويدفعونها في الاتجاه الثوري بخلاف ما عرفناه في الاقطار العربية الاخرى ، حيث لم يقتحم الشعر سورات الجماهير . فخلال وثبة الشعب العراقي في اوائل عام ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتموث الاستعمارية الجائرة ، وانتفاضته ضد مؤامرة تقسيم فلسطين نزل للشاعر عدد من الشعراء منهم الجواهري والسياب والشواف وبحر العلوم وغيرهم ممن كانوا يلقون قصائدهم في الطرقات وعلى ارضة الشوارع . كما ان ثورة ١٩٢٠ - ١٩٢١ العراقية كانت قد جرت الى الشارع من قبل شعراء تلك الفترة في النجف الاشرف من امثال الرازي والرصافي والبصير . اما في مصر فلم يكن اي اثر لثورة عرابي مثلا في شعر البارودي بالرغم من انه كان من رجالها وقد اکتوى بحرورها ، فم مثل ذلك في الشعراء الذين عاصروا او ساهموا في ثورة ١٩١٩ .

ان هذه الظاهرة في العراق ، والتي توشك احيانا ان تجعل الشعر ينفلت من وجهه ليكون قوة ثورية مباشرة ، انما هي ظاهرة لها اسسها التاريخية البعيدة في العراق .

ومع موقف الالتزام الصارم الذي انخذه الاديب العراقي ، كانت النزعة الإنسانية نمو وتعاطم وتمثلها الاديب في العراق منذ بداية الحرب العالمية الثانية . ومن هنا ، اي منذ ان اصبح الانسان ، والانسان العربي بالذات موضوع الادب ، بدأت الظاهرة الملحمية تبرز في الشعر ، فطفق الشعراء الحديثون يفلعون عن كتابة الشعر الفئاني الذي اسمت به فترة الحرب العالمية الثانية . واستعلنت هذه الظاهرة في شعر السياب كخير مبرر عن هذه المرحلة ، فبدأ يكتب بالاتجاه الملحمي ويدافع عنه . وهذه الخصيصة تشبه ، الى حد بعيد ، الاثر الذي تركته معركة الارمادا في ادب عصر اليصابات في انكلترا ... ولا ريب ان للشعب العربي ارمادا ثانية يخوض معها المعركة اليوم !

ومن الخصائص التي نلاحظها ايضا في الادب العربي في العراق خلال مرحله الثورية هذه ، انعدام تلك الطلاقة التي لا تعرف الالتزام في آثار الجيل السابق من الشعراء والكتاب . لقد فقد ادباء الجيل - التهمة على الصفحة ١١٩ -



## ملاح الادب الثوري في العراق

— تمة المنشور على الصفحة ٢٤ —

الثوري المعاصر في ادبهم ، الطلاقة والحرية والانطلاق والتحرر من المسؤولية والالتزام الانساني ، ولكنه اصبح اكثر ثقلا ، وابتعد تحسسا بعمق الشكلة الانسانية التي يقف حيالها الشعب العربي اليوم ، ومن هنا ، من هذا « القيد الجديد » اصبحت اثار الجيل الثوري من الادباء ، اعرق تعبيرا عن روح عصرنا الثوري . وذلك واضح بصفة غير مباشرة في اثار نازك الملائكة ، وعلى وجه اشد وضوحا وتعبيرا في اثار السياب وعلي الحلبي .

ان هذه الخصيصة يمكن تفسيرها ، بان الادب الثوري في العراق ، قد زاد فيه عنصر الشوق والطلع ، فيما قل فيه عنصر التأمل . ويبدو ذلك بشكل عفيف جائح في معظم قصائد السياب التي يؤكد فيها ارتباط الفردية بالاجيال المتعاقبة ، حتى كأنه يصرخ مستشرفا على اجيال التاريخ ، بأنه جزء منها ، يتطلع اليها من اعماق تجربته الجديدة ، التي لم تكن سوى حلقة من حلقات تاريخ بأكمله . وهكذا غدا هذا اللون من التعبير ، تعبيرا عن عبقرية هذه المرحلة التي يمكن وصفها بأنها « العبقرية الثورية » .

وهنا ايضا ، انتهت وحدة الاسلوب التي كنا نعرفها في اثار الادباء الذين عاشوا قبيل الطليعة الثورية ، فبدت طلائع الاساليب الذاتية المتباينة . فقد كان من العسير في معظم الاحيان ان يميز بين كثير من اثار الرصافي والشبيبي والسماوي والزهاوي والبصير ، اذ كانت تجمعهم وحدة الاسلوب ، ووحدة التجربة . وحتى الجواهري كان موضع جهد في التمييز . وقد يرجع السبب في ذلك ، الى انعدام النزعة الانسانية ، التي نشأت منها الدعوة الى الاهتمام بالتجربة الفردية ، التي لا موضع معها للتمائل في الصيغ والاساليب . « فالطلبة في فصل واحد ، يرددون درسا واحدا » — كما يقول احد النقاد الفرنسيين — وجميع اولئك الشعراء كانوا بمثابة الطلبة في الفصل الواحد ، خضعوا لظروف واحدة ، واستخدموا لغتهم في تجارب متشابهة فيها تطابق وتعميم .

اما ادباء الطليعة الثورية ممن بلغوا نضجهم الفكري قبيل عام الكارثة ، ١٩٤٨ ، فقد احساسوا بان عليهم ان يقولوا شيئا جديدا ، وان يكتبوا ذواتهم من جديد . وهكذا فاننا لا نكاد نجد اثرا هاما لهؤلاء الشعراء ، بل الادباء عامة يسبق عام الكارثة . . . لقد انسلخ الشعب العربي بأسره ، منذ تلك الحقبة ، من جلده القديم ، وففز للحياة . وهنا احس الاديب العربي في العراق ، كما احس غيره من الادباء العرب بعسك الحرب العالمية الثانية ، وبعد عام ١٩٤٨ بالذات ان الشعب العربي يؤلف امة لها سمك حضاري ، وينبغي ان يكون لها دور ايجابي في الحضارة الانسانية . . . احس هذا الاديب ان اجيالا متطاولة قد انصهرت جميعا هنا في ارض المعركة . فبدأ ذلك التحول الذي نعرفه في كثير من الادب الاخرى . . تحول من السلب للايجاب . وادباء هذه الفترة يمثلون تحولا في الادب العراقي كذلك التحول الذي عرفناه مثلا في الادب الايرلندي . . فقد كان توماس ديفيز مثلا يتغنى بايام ايرلندا القديمة ، وباللغة الايرلندية التي كانت تتجاوب بها اركان الجامعات في الايام السالفة . بيد ان الثورة الايرلندية قد جعلت ما قاله توماس افوا المتخلفة

ساذجة لا تعبر عن حقيقة الثورة الايرلندية المتعالية ، هذا هو بالضبط ما تكرر في العراق . فالرصافي والزهاوي وحتى الجواهري في كثير من اشعاره وفهمي المدرس ومحمود احمد السيد ويوسف رجب من الكتاب كان موقفهم كموقف ديفيز من التحسر على الفراديس المفقودة ، اما طليعة الادباء الثوريين فقد بدأوا يحاولون بأسلوب وبآخر ، التعبير عن ثورة متصاعدة عميقة حية ، وعن كفاح من اجل ارفع القيم الحضارية التي انطوى عليها صراع الشعب العربي في السنوات الاخيرة . واننا اذ نرى بعض التعثر في آثار هذه الطليعة الثورية ، فان مرد ذلك الى المفاجأة الضخمة السريعة التي انشقت عنها جيلنا الحاضر من خلل المعركة الداهمة . وهناك الى جانب هذه الخصائص الثورية في الادب العربي في العراق ، نجد مضاعفات اخرى ، اخرجناها عن نطاق الاتجاه العام الذي تحدثنا عنه . وقد سادت هذه المضاعفات ادب العراق لعدة سنين ، ثم اصبحت بنكسة فائلة بعد ثورة ١٤ تموز ، اذ فقد الادباء الذين خضعوا لها ، قدرتهم الاعتراضية على النظم والمؤسسات التي اقيمت بعد الانحراف الفاجع الذي اصبحت به الثورة . وفي الامكان ان نؤكد هنا ان مثل هذا الاتجاه كان يستمد وجوده من قوة الاعتراض التي كسبها خلال صراعه مع النظام السابق ، وبمجرد ان بطل اعتراضه وتحول الى قوة اسناد ودفع ، اصبحت بانكاسة تكاد تفقده الحياة . ومرد ذلك الى ان هذا الضرب من الادب الذي يمثل الشيوعيون بصفة خاصة ، لم يضع ازمة الانسان العربي ، في الوطن العربي ، موضع اهتمامه ، بل تعداه الى بحث ازمات اخرى مصطنعة ، تنطوي على اشد المعاني سطحية وبعدا عن كياننا الاصيل . ان ازوار ادباء هذا الاتجاه عن فهم امتنا الضخمة الفنية الحية ، هو السبب في خلو تجاربهم من المضمون الانساني الحق . فان عسك الوهاب البياتي ، وهو افضل معبر عن هذا الاتجاه ، قد اضدر ديوانا كاملا بعنوان « عشرون فصيدة من برلين » قدم له الشاعر التركي ناظم حكمت ، كان خلوا من اي اثر من الآثار النفسية التي تخلفها ازمنا الراهنة . وقل مثل ذلك في غيره من الشعراء والكتاب الاخرين من امثال طالب الحيدري وحسن البياتي وبافرسماكه فالعيون الطافحة بالنور هي دائما عيون فتيات طاشقند ، والمدخن التي تهب الحياة هي دائما المدخن الرابضة على الفولفا ، والماساة هي دائما ماساة بوخن فلد ، والشفور الطيبة الباسمة هي دائما ثغور الملايين بين باكوم والقرم . . . هؤلاء هم الذين اثروا الوقوف بوجه تحقيق مصيرنا الحضاري ، فحق لنا ان نحذفهم هنا ، كما سنحذفهم هناك .

القاهرة

محبي الدين اسماعيل

صدر حديثا

## القومية والانسانية

للدكتور عبدالله عبدالدائم

( طبعة ثانية )

دار الاداب — بيروت



# شهادة

الى روح اخي سعدالله ..

نحفظها فتزدهي  
حكاية الشوق بقلب الشهيد

★

أخي الذي مات فداء للوطن  
في عهد أنصار السلام الطفاه  
في عهد ذلك الرجيم ،  
عبد الكريم ..  
باسم السلام يحكم الجبان في البلاد  
باسم السلام يقتل الرجال  
وينشر الدمار والحن  
يستعبد الوطن  
ويزرع الإرهاب والدماء والدموع  
في كل بيت .. في العراق  
في كل ساحة وحي ،  
لينبت الحقد .. اذن .. يا سماء  
ولتغسل الدماء  
ارض بلادي من بقايا الطفاه  
لتخلد الحياه  
للشعب .. للحرار .. من جديد

★

في كل بيت من بيوتنا شهيد  
وطفلة .. وام  
وفي شبابنا العتيد  
عزم .. وثار .. ودم  
فللغد الجديد  
تمضي مواكب الحياة ، من جديد  
ليسقط الصنم .

القاهرة عدنان الراوي

أخي الذي لم أشتري له الكفن  
ولم أوسدته ضلوع الانين  
ولم أقل له : أخي الوداع  
أخي الذي مات فداء للوطن  
أخي الشهيد

★

أخي الذي لم انثر الاكليل حول مرقده  
ولم أر قميصه الملفوف بالرصاص  
لم اعتصر قميصه المبلول بالدماء  
فكل بقعة ربيع  
ورد غرامي ، وذكرى شباب  
أهديه للشيخ الذي أحبه أخي  
أهديه من بعيد  
إليك يا أبي  
فذلك القميص لك  
والصبر لك  
يا أيها الشيخ الذي أحبه أخي

★

والصور الحلو في غرفته  
لتلكم الحسناء .. يا أبي  
لتلكم التي أحبها .. أخي  
أحبها والشوق في فؤاده قديم  
أحبها .. بكل ما في قلبه العظيم  
من قوة وحب  
نحفظها له ،  
الصور الحلو في غرفته  
نحفظها له ،



# قومة... على الفكر العربي المعاصر

## بقلم محمد محي الدين محمد

### الضوء على المشكلة (١)

ها هي مجموعة من الاقطار والبلدان ، في شرقنا العربي ، متحدة اللغة والثقافة والاصول تريد ان تنهض من عثرة سقوط مدمر التي وجودها مئات من السنوات وحجرها وصيرها بالتخلف الذي نراها عليه الان. وارادة النهوض هذه ليست الا تعبيرا مركزا جدا عن وعي مقدار التخلف الذي اصبحت عليه بالقياس الى امجاد الحضارة الاوروبية الحديثة .

الاتجاه العام القيادي هو تصنيع البلاد العربية ، وتغيير الترات الزراعي جميعه ، ليتمكن للعقل ان يقفز من محدودية الخرافة والتسليم والرضى ، وهو مظهر من اشد المظاهر الانسانية تعاسة وخزيا ، الى انطلاق العقل والحاجة وطلب تحقيق العدالة والحرية .

الاكثار في الشرق العربي مرتبطة بنوعية الحياة فيه ، فحيث يكون المحراث اداة الزارع ، يظل الفقر عاملا حاسما في تلبيد ذهن الريفي وتأخيره ، بل وفي تحديد شكل وعيه ومدى عمق معرفته ، ويمكن بمقابلة بسيطة بين زارع في الاقليم الجنوبي ، وآخر عراقي ، ان نستنتج الاثر المدمر لاصابع الفقر هنا وهناك . انه يوحد الملامح ، ويقرب التقاطيع .. بل ان الاغاني ذاتها ، وهي تعبير عن واقع الافراد في ارتباطاتهم الاسرية والمجتمعية ، تأخذ سمنا موحدا ، فالام العربي في بلدنا هي ذاتها الام العربي في بلد اخر .. ولما كانت الاغنية والقصة والشعر هي عوامل التنفيس عن مأساة الوجود التي يعيشها اي مجتمع في العالم ، كان تأكيد هذا المجتمع على تغطية لون من ألوان الوجود ، اشارة منه بضرورة تغيير هذا اللون الذي يوشك ان يفجر تماسك المجتمع الشاكي ويمزقه .

والفنون في شرقنا العربي اتين متصل من الفقر والعوز اللذين يحطمان الاسرة ويحطمان الافراد . انها تعبير عن واقع نعانیه ، يدوخنا ويقتلنا وينهب معنا الى القبر .

فهل هو مجد ان نفر من اغنياتنا وقصصنا واشعارنا ، وان نستعير اشعار الغرب واغنياته بدعوى تطويرها .. ؟!

اهو مجد ان ننشئ المجلات الادبية والمنابر ، والجمعيات الثقافية

(٢) يهم التحريز ان يؤكد مرة اخرى ان نشر هذا المقال لا يعني تبني ما ورد فيه من آراء لا سيما وان بعض هذه الآراء لا يرتكز الى حقائق ثابتة . ونحن نترك المجال واسعا للمناقشة والتعليق .

« للاداب »

والمكتبات ، بدعوى تغيير الذهن العربي ؟! منطلقوا الامر ، ان ما دام الفقر هو مشكلتنا الاساسية : كيف نفر ذهن الزارع المتدين الذي تتحول الدار الآخرة في وعيه ، من محض عقاب وثواب ، الى جائزة ينالها لقاء عذابه في الدار الدنيا .. ؟! كيف تطور هذا الذهن الذي يقبل من اللاوعي فكرة فقره ، ويلج على وجودها ، كان حياته بدونها لا تستاهل شيئا .. ؟! الم يكن المنطق الديني هو الذي املى هذا الجواب على الريفي المسكين ليتمكن له ان يحيا بكثير من الامل ؟! كيف نفر هذا الجواب ، وهذه النهية ؟!

اليس تليفقا ان نحول هذا التيار الوجودي الزخم ، وان نتعاطى المسكنات الغربية من مذاهب وفلسفات وانظر جمالية لا تعيننا في شيء ؟! اليس من الاوجب والانسب ان نبدا من فكرنا ذاته الفارق في مليون حماة وطن .. ؟!

ان المشكلة هي في سيكولوجيا الذهن الشرقي الذي تآثر بالوضع المادي وبنفسية المذلة ، ووحى الدين وعنف الحاكم ، والرضى والتسليم بما كتبه الله (٣) ... !!

كل ذلك مجتمعا هو الذي وحد النتائج في كل البلدان العربية ، ووجد قسما منها ، وجعلنا هذا القطيع من الناس الذين لا يرفضون الظلم والبطش لان الدين يحض على التسليم بكل ما يقوله اولو الامر ، وجعلنا هذه النماذج التي لا تابه بطلب العدالة لان الدين يؤكد على وجود الطبقات بعضها فوق بعض .. فاذا كنا لا تابه بالعدالة ولا بالعيش الطيب ولا نريد الحرية في هذا العالم الرحب الغني العظيم المتختم خيرات ، اذا كنا لا نريد ذلك ونرفضه ، وندع اقواما اخرين يعيشون ويتسلقون فوق اكتافنا ورؤوسنا وينعمون بالعيش الطيب والحياة النظيفة الخالية من الامراض والذل والقدارة ، اذا كنا نرفض ذلك ، فلماذا اذن نتزوج وننجب الاطفال ونبني البيوت والاسر والحدائق .. ؟! لماذا لا نعيش في الكهوف والاديرة بدون زواج حتى الموت .. فهكذا على الاقل نصبح اقرب بمسافة عظيمة من الله ، مما لو واجهنا الحياة بنصف وجه ، وواجهنا الله بالنصف الاخر !!!

(٤) لعل مأساة فلسطين هي اشد ما يهيبا تحسيرا بهذه النكبة التي لوث وجودنا النفسي ، الم يكن التسليم بالقدر والمكتوب بزيادة الخيانة والغدر هما سبب الضياع المؤقت لهذه الارض العربية . ؟!

## عناصر المشكلة :

تغير للذهن العربي كلية هو مسئولية وعي القادة والاضاع المادية والزمن .

الاضاع المادية تتكفل بها الدولة من ناحية والوعي من ناحية اخرى ، فلا يكفي ان يكون التصنيع سياسة تتخذها الدولة وحسب ، اذ يجب على الفكر الذي عايش التمرد الاوربي وعرف عنه اخطاه ومزاياه ، ان يعجل برسم الطريق الصواب ، وان يحذر من المهاوي والثرالق التي تفرض التطور ، اذ ان هناك ذهنين : الذهن الجلف العام ، والذهن القيادي للمفكرين . فاذا امكن للدولة ان تتخذ التصنيع مسالة حيوية تغير بها من واقع الامة المادي ، وجبه على الذهن القيادي ان يخضع الذهن العام للقوانين العلمية من رفض للخرافة والتقاليد ، ومن تحطيم الاوثان الزراعية ، ومن انهاض شامل للوعي الشاك في معجزات الاضرحة واولياء الله ، ومن إلحاح على نزع ديدان الخمول من الذهن العام الذي يرفض ان يطالب بالعدالة وبالحرية وبقية الاسس التي تقوم عليها النهضة ..

والزمن من ناحية اخرى عامل فعال ولكنه بطيء جدا في تغير الذهن وتحويله (اي ان الادارة البشرية الفاعلة تخضع في النهاية تحت الحاح الزمن وضغطه فتبدأ مهمة التحويل في قنوط وبطء) ، وبالطبع ليست فعالية الزمن مباشرة وجذرية ، ونحن احسن الامم فهما لهذه المشكلة فقد امضينا في صمتنا وجمودنا مئات من السنوات بدون ان نحاول التحرك والتطور .. وذلك لان الزمن وحده لا يمكنه ان يفعل شيئا ، فلا بد للزمن من ذهنية تقابل بين المجتمعات المتطورة الاخرى وبين المجتمع الساكن ، وتحاول ان تقارن وتدرس ، فتطالب وتطالب وتحرك . (٢٠) اما وعي القادة فمسئولية ملقاة على كاهل شبابنا العربي المثقف الذي يلاحظ التطور بعيون ناعسة . ان الجيل السابق على هذا ، اي جيل آبائنا لا يستطيع ان يشارك النهضة التي بدأت بجيلنا الشاب ، والمشكلة كلها ، في هذا الجيل ، والجيل القادم .. هذه البراعم التي نشاهدها الان تلهو بالكرة في الطرقات ، وبالورد في الحدائق .. ان مقدرات نهضتنا العربية كامنة في هذه الاكف الوردية الصغيرة التي تجهل جسامتها ما هو مطلوب منها ..

ان على الذهن القيادي ان يحول وعي الجماهير ، وان ينتشل منه الخوف والشكوك التي عذبتة ، وان يزرع بدلها الصلابة والادراك والمطالبة باستعمال اقصى الوسائل لتحقيق العدالة والحرية ، والذهن القيادي تخطيطي في اساسه ، والذهن العام تطبيقي وعاكس ، فلا مرد اذن والامر هكذا على الذهن القيادي ان يتحرك وان يضع الاسس الموائمة لاحتياجاتنا طالما هو السابق في التطور منطقيا من حيث وجوده في الزمان ..

وكل عنصر من هذه العناصر (الاضاع المادية . الزمن . وعي القادة) متماسك مع العناصر الاخرى بشكل لا يقبل التجزئة ، ومخالف في نفس

(٢١) يقولون ان سائحا غريبا لقي اعرابيا يسكن في كهف بالصحرَاء فابتاع منه بيضة دجاجة بقرش واحد وبعد عشرة اعوام تقابل الاثنان مرة اخرى ، غير ان السائح اراد هذه المرة ان يشتري دجاجة كاملة ، فكم كانت دهشته عندما اخبره الاعرابي ان ثمنها قرش واحد .. وغابت الدهشة عن وجه السائح عندما فسر له الاعرابي ذلك بقوله .. « ان الفرق بين البيضة والدجاجة هي مسالة زمن فقط ، ونحن لانتهم بالزمن ولا نغيره التفاتا .... »

الوقت من حيث النوعية واللون والقسمات لبقية العناصر .

الوعي القيادي يعني مسئولية المفكرين ، والمفكرون في شرقنا العربي لا يخرجون عن حدود الادباء وهذه مشكلة فرعية اخرى ، فالظاهر ان علم الاجتماع بافرعه الاربعة لم يستطع - في تاريخ كليتنا - ان يخرج مفكرا اجتماعيا كبيرا عربي القسمات ، يستطيع ان يحدد القيود الاساسية لتخلفنا ... وذلك بالطبع نتيجة حتمية لانصراف الذهن العربي العام عن متابعة مشاكل هامة كهذه ، ويحتمل عن المفاهيم والكيفيات وكافة وسائل قتل الوقت والفاء الواقع (٢٢).

الادب اذن في شرقنا العربي صورة فكرنا وضميرنا ، بكل الوانه من الافنية الى المقال . اذا نظرنا الى حياتنا وجدنا هذه اللامبالاة وحس عدم المسئولية الذي نجده واضحا في ادبنا وضوحا شديدا ، فهل ذلك لاننا فقراء ؟

ان الفقر بكل ما يتبعه من جهل ومرغى ومذلة وكراهية ورغبة في العزلة ، بزيادة الاوصاب الاخرى النفسية التي تراكت فوق نفسية الشرقي فصيرته هذا الرجل الذي يفني لاضيه الفقير ، حيث كانت اعظم مظاهر الرفاهية هي اقتناء اربعين جارية ، والذي لا يمكنه ان يخجل من حاضره ، لانه لا يقيم وزنا له .. ولا يستقبله .. هذا الفقر الذي اطر مشكلاتنا وصبغها بلونه ، يظل على راس كافة ما يجب ان ننادي بتغييره وتبديله في سبيل مستقبل ناصع ومشرق لبلادنا ..

واذن ، فلا بد ان نؤمن بالتحول ، وان نعمل له ، واذا كان فكرنا في هذه المئات الكثيرة من السنوات منعزلا عن واقعنا الحياتي ، بتأثير دكتاتورية العقيدة ، وتأثير الفهم الخاطيء لطبيعة العمل الفني ، وفعاليتيه فعيب كبير ان يظل هذا الفهم الملوث غائبا في عقولنا حتى منتصف القرن العشرين ... وان كانت طبيعة العمل الفني ان يكون عاكسا للحياة ، فان امكانياته الخاصة بالتطوير وتحويل الالهام طبيعة فيه ثائية ، واشد من تلك خطرا واهمية . فلنؤكد اذن على العنصر الثاني ، ولنتشبه به ..

## طرح المشكلة :

الادب الاوربي الحديث - ادب له جذور عميقة وغائصة في قلب حياتهم المتطورة المتدفقة . والرجال العظام الذين اسهموا في عملية التكوين الجديد للواقع الفكري الاوربي كشكسبير ودانت وجوته ، لم يخفقوا من الهواء رواثهم الفنية ، اذ كانت الارضية موجودة بكل زخمها وعمقها وفتحتها واستجاباتها . ان عناصر الفكر الاوربي الحديث قد بنيت اساسا على : ا - الثقافة الاغريقية - ب - الثقافة المسيحية - ج - ثقافة العلم الحديث . وبالطبع تعتبر كل قيمة من هذه مماكسة ومناقضة للقيمة التي تليها ، فكيف اذن تداخلت هذه القيم المتعارضة وخلقت هذا التيار الموحد الذي هو طابع لعقبة الغرب الحديثة ؟ ..

ان الثقافة الاغريقية بكل ما فتمته من عقلانية واصرار على حرية الفكر والعقيدة كانت القاعدة الراسخة التي قامت فوقها المسيحية ، فما استطاعت بكل محاكم تفتيشها وسلطاتها وشرطتها والهها ان تقوض البناء الاغريقي للفكر ، وان تزعه .. وما ان تولت المسيحية السلطات التشريعية والقانونية ، حتى هب الاحرار في كل بلد غربي وطالبوا بالحد من دكتاتوريتها وعنفتها ، وكان في اذهانهم الوعي الاغريقي العظيم بقيمة

(٢٣) بل ان اهتمام الجريدة عندنا بابرار الجريمة وتقصص الزنا الفاضحة يوجه عن قصد لارضاء الذهن الفردي المقهور الذي يطلب من مذلة اخرى وقهر اخر ان يرضيا بطريق التذامي قهره الخاص .

مدى بعيد مطالب الرعاة الذين لا يشاهدون سوى الرمل والصخور ، ويقتلهم الجفاف والعطش ، ويقلقهم الى حد العذاب انغلاق مجتمعهم من حيث الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة ، واذن فالفردوس يجب ان يخالف هذا المظهر لحياتهم : هناك الحدائق بازاء الصحراء ، وهناك انهار العسل والخمر بدل الجفاف والعطش ، وهناك حور العين ونساء لم تقع على جمالهن عين ، بازاء المجتمع العابس لطافات الرجال ..

اما الان فليس شكل حضارتنا فقط هو الذي تغير ، بل جوهرها ذاته ، فحضارة المدينة تختلف جذريا عن حياة الواحات ، كما تختلف حياة المجتمع الكبير عن حياة القبيلة ، وتظهر المقارنة هنا مدى البون الشاسع بين التحول الكبير الواسع الذي حدث لحضارة الاوروبية . فالمدينة في الغرب تطورت الى مدينة أحسن ، وسوف تتطور الى المدينة الاحسن . اما هنا فالواحة تنقلب الى مدينة ، بكل الفارق الجسيم بين الاثنين .. اذن ، لقد تغير جوهر حياتنا - على الاقل اراديا - بكل ما يتبع ذلك من تغير للنفسية وللجو وللشاعر وللوعي والفهم ، وكان لاوروبا الفضل الكبير في ذلك . التكنولوجيا تنتقل من هناك الى هنا ، فنغير نحن الوسائل ولا نستطيع تغيير الفايات لاننا نحيا في قلق وجود وقلق فهم .. ان هذا الياس القلق ( لانه ليس ياسا كليا ) الذي نعيشه هو اعمق مظهر من مظاهر حياتنا .. لانه لا يتمثل فقط في علاقتنا بالرب ، بل لان علاقتنا بالرب تستوجب ان نلون علاقتنا بالآخرين وبالدنيا وبحياتنا .. بنفس لون علاقتنا بالدين . وهنا خطورة وضعنا ، فلم يكن الاسلام ديننا بين الفرد وربه ، بل كان تنظيمنا تشريعا ، وضعت مواده اصلا لمدينة صغيرة في الصحراء ..

وقد حارب الحكام المسلمون كل حركة تبغي امانا فكريا وتسليما من الدولة بحرية الذهن والتفكير ، وماتت حركة بطولية تمثلت في المعتزلة والقرامطة ، كان يمكن لها ان تكون القاعدة الاساسية لتطويرنا الذهني ، ماتت هاتان الحركتان ، لا لان الدولة قضت عليهما ، بل لان العربي الجاهل المؤمن كان يفضل الف مرة ان يموت مؤمنا اعمى ، على ان يعيش مفكرا ملحدا مفتاح الصين . اذن .. هناك تعارض كبير وضخم ومتسع للغاية بين الجنود القديمة لثقافتنا التي كانت تعبيرا عن واقع صحراوي ( ومئات الشواهد في شعرنا وامثلتنا واحكامنا تثبت ذلك ) وبين حياتنا الجديدة التي تستمد من الغرب اكثر من وجه . اي ان هناك اختلافا كبيرا بين واقعنا ، وواقع ادبنا الذي يسلك الطريق الكلاسيكي القديم . ان حياتنا تمشي ، وفكرنا واقف مكانه ، فهل هذا اداء لانطلاق مأمول ؟ ..

المظهر الثقافي الوحيد في حياتنا كعرب هو القرآن ، ومجموعة الشعر القديم ، ثم قصص الف ليلة وليلة .. اما عن القرآن ، فلم يكن ممثلا بالميتولوجيا كما كانت التوراة ، قدر امتلائه بالمواظ والحكم والاذنارات . وللتوراة فضل اخطر واجل من ان ينكر في خلق اجيال عديدة من الشعراء والروائيين وكتاب القصة الطويلة والقصيرة في الغرب ، على حين كان القرآن تعليميا للغاية ..

ومجموعة الشعر التقليدية ابعد عن حياتنا بشكلها الجامد ومضمونها الرعوي ، بصورة تعجز الباحث عن اكتشاف قيم غير شكلية او عظيمة فيها ..

اما الف ليلة وليلة ، فلا تراث غريبا او شرقيا يمكن ان يقف بجانبها او يطاولها ، في تلك الفترة المضيئة من ايام وجودنا ... فهل تعد هذه

الانسان وقيمة الحرية الفردية . وهذا التأكيد على الاهتمام بدراسة الانسان كقيم عضوية في الوجود ، نازع وصارع حتى الموت الفكرية المسيحية في الغاء منافب الانسان الاغريقي وتحويله الى الانسان العنصر المقعد الذي يجب ان يحول وجهه نهائيا الى الله والى الزهد .

ولما ثبتت المسيحية اقدامها في المجتمع الاوروبي لم تستطع اطلاقا الغاء هاتين الفكرتين الاساسيتين للذهن الاغريقي ( قيمة الفرد . الحرية ) بالرغم من انهما تعتبران من العوامل الفعالة في هدم البناء الاساسي للديانة المسيحية ، واذن فقد استطاع العقل الاغريقي ان يثبت في الزمان روحه وعقلانيته الى ان تم النصر للعقل نهائيا بمقدم العلم الحديث الذي صارع المسيحية وصارع قلوبها السكوني ، وما زال يحفر القبور لها في كل مكان من القارة .

كل قيمة من هذه القيم كانت تحمل في داخلها الهلاك لقيمة الاخرى السابقة لها ، وكان يمكن ببساطة - كما حدث في شرقنا العربي - ان تسود قيمة واحدة تظل تحكم الى الابد ، لو لم يكن ذلك الذهن النادر الذي حصن اول ما حصن على حرية العقيدة وحرية التبشير بها ، وكانت اوروبا حسنة الحظ جدا لان القاعدة هي التي نابت بذلك وامنت به ..

واذن ، فقد كان القاع مفتوحا لكافة المناقشات وللتعبير كيفما كان شكله وخطورته ، وبدأ الذهن الفولكلوري الذي شغلته الاساطير اليونانية القديمة جدا ، يجد ربه في اقامة شعائر غنائية تمثلت في الياذة هوميروس واوديسته ، وقفزت بعد ذلك بمدة طويلة في اشعار فرجيل وصافو وتاسو واريوستو .. ومن الشرق اضيف ذلك التراث الذي كانت اصوله موجودة قبل ذلك في كتاب الموتى ، احد اعمدة الثقافة المصرية القديمة ، وفي نقوش بابل ونيوى ، ومن بعض مقاطع الرامايانا والمهابهاراتا ، واضيفت اقاصيص التوراة القديمة لتحيل الذهن الغربي جيعا من الاسئلة والمعارضات والشكوك ، وعلى اثر كل نكسة كان الذهن اليوناني يتدخل بصورته الرائعة ، فيرتد الذهن الاوروبي من التسليم الى النقد ..

فاذا وضعنا في اعتبارنا المشاكل التي عرضها لنا الشاعر الانكليزي وليم شيكسبير وجدناها لا تختلف اختلافا كبيرا عن المشاكل والعواطف التي يعانها الاوروبي في حياته الحديثة ، وذلك لان مظاهر الحياة الاوروبية لم تتغير كثيرا عن مظهرها الحديث . اذ ان البناء الحديث لاوروبا بناء اعظم من حيث الكمية وليس من حيث الكيف . ان اوروبا لم تتغير كثيرا في اربعمئة عام ، وخاصة من حيث الجو النفسي للحضارة ، صحيح ان الوجه الاقتصادي لها قد تقلب اكثر من مرة بين الاقطاعية وبين بعض صور الاشتراكية ، ولكنه صحيح ايضا ان افتراق الوجه الثقافي هنا عنه هناك ليس متعارضا الى الحد الذي سوف يجعلنا نعقد المقارنة القادمة بين هذا الوجه لاوروبا وبين مجتمعنا العربي .

ان تاريخ الثقافة في الغرب يشبه اناء من الماء القراح تصاف اليه بين كل اونة واخرى قطرات من الالوان المتغيرة . صحيح انها الوان يمكن ان تغير لون الماء كلية ، ولكنها لم تفعل فيه اكثر من توحيد بلون واحد متحد في كل جزئياته .. اما في شرقنا العربي فهناك طبقة من الزيت بدل الماء القراح ، لا تستطيع الالوان ان تتحد به الا بصورة شوهاء ودميمة للغاية .. وذلك اذا مثلنا الماء القراح بحرية العقيدة .

الادب العربي ادب له جذور مخالفة لشكل حياتنا الحديثة ، لانه تعبير عن حضارة رعوية جافة ، ظلت لمدة طويلة طراز حياة الامة الوحيدة التي كان لها كيان نفسي في تلك الايام ، والدين الاسلامي ذاته تعبير عن تلك الحضارة الرعوية وتأكيد لها ، بل ان صورة الفردوس تعكس السى

المجموعة العظيمة من القصص والحكايات بناء محكما للانطلاق منه الى ثقافة جديدة؟؟

ان في ذلك استحالة ، لان انصاف الحلول لا تبشر ، وحياتنا قبل كل شيء هي التي تطالب بالتحول ..  
**عرض للمخارج :**

اننا نصنع بلادنا الآن ، ونستغني قليلا قليلا عن البضائع الغريبة لان انتاجنا اصبح يقف على قدميه وسوف يناطح الانتاج الاوروبي قريبا ، بل ان نفسية العربي ذاتها قد اخذت في التحول ، وادراك مدى ضرورة ان نعيش على مستوى انظف واجمل واعقل من المستوى السذي عاشه آباؤنا ...

ان الآلة تصبح العلاقة بيننا وبين الطبيعة ، بعد ان كنا نفهم الطبيعة على انها الشيء الوحيد الواجب تجنبه في نزوعنا الى المجرى والى الله!! ان منطقنا نفسه يتغير لاننا احتنكنا بالذهن الاوروبي ، واذن ، فوقفنا منا صغيرة لاختبار الارض التي نسير عليها ، كفيلة باضاعة طريقنا : الى متى يظل الادب العربي كصورة لحياتنا متخلفا ، على حين تتطور الاداب الاوروبية بشكل منتظم ، وكيف يمكن لنا ان نمنع التحول الظاهري الى الغرب ، بخلق ادب له ملامحنا وشكلنا وينطق بعريبتنا ؟!..  
ان امامنا اكثر من مخرج :

١ - ان نلغي تراثنا برمته ونلقي به في المحيط ، وان نبدأ في الوقت ذاته عملية ترجمة واسعة النطاق وبمتهنى الدقة والامانة لكافة الاعمال الغريبة التي اسهمت في خلق الذهن الاوروبي ، ابتداء من الفكر الفلسفي والنقدي حتى المسرحي والروائي والشعري ، والا نترك مفكرا كبيرا واحدا بدون ان نترجم اعماله جميعا ، وذلك يتطلب منا اخلاص خمسين عاما من العمل المتواصل الشاق ، ويتطلب ايضا ان تكف الازدهان الخلاقة عن العمل وان تتحول الى الترجمة ، وهذا يفترض ان نؤمن باننا جيل الخيانة . لان ذلك معناه ان نرفض ماضيينا وحاضرنا وتاريخنا. ان تقتل ذواتنا وان ننشبه بمن لن نشبههم ولو في مليون جيل ..

٢ - ان نغريل انتاجنا الادبي برمته ونصفيه ونختار منه الصالح ونلفظ القمى والسوى والمحدود ، وان نجاول ان نجعل من الاعمال المختارة اسما نبني فوقه تراثنا الحديث ، وذلك يفترض ان نختار الاعمال الفنية التي تقارب شكل حياتنا الحديثة ولا تعارضها ، والوجه الخطأ لهذا المخرج هو انعدام الاعمال الفنية الصالحة لحياتنا الحديثة في شرقنا العربي ..

٣ - ان نرفض ادبنا القديم كلية ، وان نرفضه بدعوى لاصلاحيته مع واقعنا ، وان نرفض الادب الاوروبي جميعا بدعوى لانطباقه على حياتنا ولغتنا وثقافتنا ، وان نخلق من اعمالنا الحديثة جنورا لادب مستقبلي جديد ، وفي هذه الحالة يجب ان نقنع بمجرد الامل .. وحتى صورة هذا الامل ستكون مهزوزة جدا ، فما هي اعمالنا الحديثة التي تصلح خلفية لادب قادم ؟..

د - ان نفوض في الادب الشعبي وان نستخرج وننظم ونكشف هذه الاعمال المغمورة ، وان نظرحها في الاسواق ، على امل ان تكون هذه العملية خلفية حضارية هامة للذهن العبقري الذي نتشوف اليه، وخطا هذا المخرج يكمن في ان الفولكلور تعبير مكتف جدا عن نفسية الشرقي التي نحاول ان نغيرها باستعراض هذه الحلول .. فكاننا ندخل دائرة لافرار منها ..

هـ - ان نختار كل هذه المخارج ، وان نلفظ المتعارض ، وان نعمل

بها جميعا : لنترجم ، ولنبحث في فولكلورنا ، ولنغريل انتاجنا ولنوضح اعمالنا الحديثة ونقيمها ، وعيب هذا المنطلق المتعدد الوجوه يكمن في انها تتطلب تآزر الدولة والافراد ، في عمل متفان ومتواصل . ولكي تكشف الارضية التي نقف عليها ، يجب ان ندرس امكانيات الفلسفة وامكانيات العقل ، وان ندرس كيفية الحد من الدين وممن التشريع ، وان نحاول ملاحظة الاسس التي تجمدنا وتؤخرنا ، وسوف نلاحظ ان عملية تحويل ادبنا من شكله القلق الراهن الذي هو نتيجة قلق حياتنا تصبح مستحيلة اذا لم نغير من واقع حياتنا ذاتها .. اذا لم نخطط لها اسسا ماوية منظمة ، تقلب واقع الشعب من جموده الى منتهى انطلاقه وتحرره ...

### امكانيات الفلسفة :

نحن نعرف ان الفلسفة في اوربا سابقة على المسيحية ، وذلك لان العالم القديم الممثل في اليونان كان حيا ومتفاعلا : كانت هناك امبراطورية ، وكانت هناك تجارة متسعة ومتشابكة مع بلدان العالم المعروفة وقتها ، والتجارة تفترض تبادل المعرفة وتبادل اللغات والثقافة والمفاهيم وانشغال الشعوب بالواقع الحياتي للشعوب الاخرى ومناقشة قضاياهم وادراكهم لقوانين الوجود ومشاكل الموت والحياة ، وقد كان لمصر الفرعونية شرف التفكير في هذه القضايا ، وشرف نقشها وكتابتها على الاعمدة ولغائف البردى ، وقد كان لتجارة مصر مع فينيقيا ومع بلاد بينت وقبرص، ان تحرك الذهن المصري فخلق وناقش وخاض في موضوعات على غاية من الاهمية والخطورة بالنسبة للواقع الفكري القديم . واذن فقد كانت التجارة اليونانية مع مصر ومع بلاد اخرى كثيرة فرصة نادرة للانشغال الذهني وللمناقشة القضايا العقلية الكبيرة قبل مجيء المسيحية بوقت طويل . ولو افترضنا ان الاسلام وليس المسيحية هو الذي غزا اليونان ، لما امكن له بشكله التشريعي ان يدوم طويلا ، وذلك لان اليونان كانوا مشرعين وفلاسفة واخلاقين من الطراز الاول ، وجاءت المسيحية فسدت نقصا كان ملحوظا في وجودهم ، وهو فراغهم النفسي من عبادة التوحيد . اما في شرقنا العربي فالفلسفة اولا متأخرة عن الدين . وثانيا كانت كل صور الفلسفة تابعة لسلطة الدين وغير منوثة له ، اي كان المطلوب من

## كتابان خطيران

لجان بول سارتر

عارنا في الجزئر :

لهنري اليخ

الجلادون

ترجمة عابدة وسهيل ادريس

دار الاداب



## امكانيات العقل :

ان المعرفة هي وسيلة للقدرة كما عبر بكون خير تعبير ، مفيرا بذلك تيار التفكير التقليدي كله ، الذي كان يظن ان المعرفة غاية في حد ذاتها ... فالسيطرة على قوانين الاشياء للاستفادة منها هي غاية الفكر ، وليست غايته هي الكون الداخلي في قلب الذات للملاحظة العالم ملاحظة اجترارية هزيلة ، تنمي فيه الجانب اللامبالي ، وتغطي الجانب المقاتل الفعال ومنذ كان الشرق شرقا ، كانت ملامحه على ما هي عليه الان : تقوى ومثل وخرافات واعتقادات قديمة واساطير وتواكل وبخور وتسليم بالقدر ورضى بعنف الحاكم ، بل وقبول مبرر بذلك ..

وكان على من يهاجم هذه الروح ان يضع في اعتباره مبدئيا ان الشرق هو الذي اعطى العالم الانبياء والرسالات الطاهرة ، والاخلاق والمبادئ ... ومن هذا المنطلق كان الناقذ يهتز حتى الاعماق بهذه العصبية الجنسية ، وينسى معركته الاساسية ضد هذه الروح الخاشعة .. وتصبح مهمته الاولى هي اقامة التبريرات الاخلاقية على ما يسميه عطش الغرب الى تراثنا . ان المشكلة ابدأ ليست اقامة الذهن الغربي ضد الذهن الشرقي . ان القضية اساسا في مدى قبول الذهن الشرقي للتطور ، فلو كان النهان قد تطورا معا من نقطة واحدة ، فذهب الغربي الى احتضان العلم ، وذهب الشرقي الى الحضي على الزهد ، لكانت اقامة المقارنة منطقية تماما . ولكن الحادث يعاكس ذلك ، فالذهن الغربي الذي كان يؤمن بالزهد قد تطور الى ذهن علمي ، على حين غرق الذهن الشرقي في التيار الالهي ، وجمد على ذلك .. فباي حال تعقد المقارنة بين جسد يتنفس ويتقدم ، حيا الى نهاية منطلق الحياة ، وبين جثة يحفظها الكحول ، وبمعنى العقاقير؟؟؟

ان نشأة الدين في بلادنا ليست سببا لتراخيها الفهني ، باكثر مما يكون تراخيها الذهني سببا لخلقنا للاديان والخرافات . فمنذ الاف السنوات نكبت بلادنا العربية ، ونكبت الهند وفارس بالقوى العسكرية الغربية المحتاجة التي لا يجد جيروتها شيء ، وكانت هذه القوى تمتص حيوتنا وعصبيتنا وروحنا وقوتنا ، وتحاول ان تذيبها في الخضوع والتسليم ، وكان مجتمعنا الزراعي البسيط مساعدا فعلا لهذه الحركة الباطشة : فالزارع لا يعرف الحرب ولا يفهم الثورة ولا يدرك اسبابها طالما المستعمر العسكري يسكن في المدينة ولا يهتم بالريف الا كما يهتم المدني العادي به ، ورجل المدينة لا يمكنه ان يصبح قوة عسكرية تطرد الطفيان وتلفى وجوده ..

وبقيت القوى الظالة في بلادنا ما وسعها البقاء ، حتى تعلمت بعض البلدان الشرقية اصول الحرب والثورة ، وقامت بقتال كبيرة وصغيرة كما حدث ايام الحشيين والبطالسة والمغول والأتراك والفرنسيين والانكليز . ان الذهن الشرقي قد عطلته الزراعة بشكل عميق ، مستنفدة وقوده الثوري الخالق ، ودافعة له على الرضوخ لاي شكل من اشكال الظلم والبطش ..

ولا يد للذهن العام ان يحول بغضه الخارجي الى حركة داخلية ، اما بتبقي امانا ، وذلك شكل من اشكال الرضى ، واما الى حركة اخرى اخلاقية تسفه الظهر العسكري والقوة والشر ، وذلك يعني الدين .. واختار الذهن الشرقي الحركتين معا . اختار ان يخلق الدين ، واختار ان يصبح اكثر امانا ، واصبحت مادة التبرير ذاتها دافعا الى السكون اكثر منها تفسيرا ..

— التتمة على الصفحة ١٠٢ —

الفلسفة ان توافق على التعاليم الدينية وان تصوبها ... والعامل الوحيد الذي يقهر روح الفلسفة هو الضغط والاكراه التقليديان ، فالمعروف ان الذهن الفلسفي لا يابه لشيء قدر ما يابه لحرية التعبير عن الافكار وحرية المجادلة ، وقد كان هذا الضغط عاملا فعلا جدا في تمزيق الذهنية الفلسفية العظيمة لاحد الفلاسفة المسلمين ، وهو ابن رشد ، بقدر ما كان عاملا مساعدا في حدة هجوم الغزالي على منطقية الفلسفة الذين يقولون بقدم العالم ويقولون بضرورة الوجود العنصري للأسباب والمسببات ، وقد قام كل هجومه اساسا لان اولئك الفلاسفة استطاعوا ان ينخروا البناء الديني ، وان يثيروا اسئلة منطقية ، كادت اجوبتها ان تزعزع الايمان التقليدي في قلب الجمهور .. واستند الغزالي في اقامة قضاياه على منحة الهية ، وهي جبن الفلاسفة الاخرين من بطش السلطة ، وخوفهم من النفي والتحريق ، فيما لو ردوا على تلك القضايا الردود العقلية الصريحة . وقد فطن ابن رشد لهذا التزلزل الخطير ، فحاول في خضوع ورقة ومذلة ان يجيب على تلك القضايا باكثر الاساليب ضعفا وخشوعا ، هذه القضايا التي كان يمكن لجواب عقلي واحد ان يقلب الذهن العربي راسا على عقب ..

اذن . كانت الروح الفلسفية معطلة وساكنة لان مشيئة السلطة والتقاليد ابت الا ان يكون المنطق والذهن في خدمتها .. ولقد كان ارسطاطاليس كاملا بين ايدينا ، فما كان احرانا ان نكون اول من يعرف الغرب على نهجنا الخالق ، لو كانت السلطة اقل دكتاتورية ، فاباحت التفكير ، واباحت المناقشة والنقد .. فكروا في الاف العباقرة العرب الذين ماتوا لان التقاليد كانت مصلطة فوق اعناقهم ، لان اقل مناقشة منطقية كانت قيمية بان توردهم مورد الهلاك ..

وبسبب من هذا الشر بالذات يزخر تاريخنا بالاف المتصوفة والرهبان وعاشقي ذات الله ، فهذا هو الميدان الوحيد الذي ابيح خوضه .. لقد كان هذا الخطا — منع الفلسفة بالقوة — خطا عصر بأكمله ، خطا مفكره ومعتقديه وجمهوره .. وعلينا نحن تبعه ان نغير ذلك . فلو شئنا ان نحى من جديد فكرنا الفلسفي القديم ، صدمنا باستحالة ذلك ، والا اعدا من جديد صورة الضغط القديمة ، فلسوف نجد امامنا فلسفة اسلامية وحسب ، اما الفلسفة العقلية فهي اما احرقت واما ضاعت كلية ولو شئنا ان نقيم من جديد تلك القضايا التي ناقشها الذهن العربي ولم يصل فيها الى جواب ، لعنف السلطان الديني من جهة ، وانعدام الوعي من جهة اخرى ، صدمنا مرة اخرى لان الوضع الذي نعانيه ما زال هو ، فالسلطان الديني ما زال قويا ، والوعي من جهة اخرى ما زال مفقودا واذن ، فان امامنا فرصة ان نترجم الفلسفة الاوروبية جميعا ابتداء من الذهن الاغريقي حتى الذهن الامريكي المعاصر .. وليس هذا التراث ثقيل جدا لدرجة تعجزنا ، ففلسفة العصور الوسطى برمتها ، فلسفة لاهوتية ، ويجب ان تشجب عن مشروع ذهني كهذا ، فاذا اردنا ان نعيد ترميم ذهنا الذي نام بالقدر الذي حلا له ، وجب ان نبدا فورا هذه العملية العظيمة التي سوف تسهم — لا محالة — في خلق الكيان العربي للمستقبل القريب والبعيد ، واذا كانت ترجمة ارسطو خلقت الى هذا الحد هذا التيسار من التفكير العربي ، فما الذي تؤديه ترجمة الفكر الغربي جميعا . ولنلاحظ ان الترجمة لا تعني التبعية ، بل تعني الانفتاح على القضايا ، ولنضع في اعتبارنا الترجمة الجليلة التي قدمها لنا شيخ المفكرين في مصر وهو احمد لطفي السيد ، لارسطاطاليس ، وما اداه هذا العمل الفردي من خدمات عظيمة لايوساط المثقفين الكبار والشباب ..

## ثورة على الفكر العربي المعاصر

تنمة المنشور على الصفحة ٣٠

ومضت السنوات ، وظلت الارض تنتج البقل والفاكهة ، وظل الفكر الشرقي يفوص في الخرافة والتسليم ، وتنقلت علامات الاصفاذ والسلاسل في معصم الشرقي ما بين رومانية وفارسية ومقولية وتركية وانكليزية وفرنسية، وكان الشرقي الذي دودت قروحه ينقل النظر بين فاتح وفاتح بدون ان يشور او يتعلم الكراهية ..

وكان الوضع الداخلي للبلدان الشرقية موجودا اصلا لخدمة القوى الغازية ، وتمكينها من السيطرة ، وزاد الهم الملقى على كاهل الشرقي وناء به ، لان الحاكم افترض اول ما افترض الا يتكلم الشرقي والا يسمع والا يرى والا يفكر .. وكان على الشرقي ان يرضى بذلك ، بل وان يتحمس له ، في اللحظة التي يخدعه فيها الغازي مجلجلا له ..

ولتعتبر بخديعة الاسكندر ، ونايليون ، للمصريين في دعوتها تبني الدين المصري الفرعوني ، ثم الاسلام ، لدرجة ان صار الاول نفسه الها بالنسبة لكهنة مصر ، وغض النظر عن جرائم الثاني المخزية ..

في تاريخنا سذاجة عجيبة ، ليس لاننا عاطفيون . ان العاطفية تساعد بالوقوع في الانسوجة ، ولا تخلق السذاجة التي توقنا فيها . ومنشأ هذه السذاجة هو اننا نؤمن بان العالم خير ، مع جهلنا البات بعصرنا وبالقوانين التي تحكم التطور والانبعث ، وخلقنا الدين اصلا للهرب من مسئولية الانتماء للعصر والمشاركة في الخلق والوجود والابداع ما زلنا نفسر المظاهر الطبيعية بالخرافة ، فيدق اطفالنا على الصفائح لتخليص الشمس التي تختنق ، ونعالج الشيزوفرينيا والنورستانيا بدبح ديكه بيضاء ، ونقيم حدا لصداق الشقيقة بقراءة سورة هود ، ونقاوم الاشباح والموت بترديد اية الكرسي مرات ثلاثا ، ولا نخجل من ذلك، في هذا العصر العجيب الذي اصبح ارتياد الفضاء فيه مقدمة لاختراع مواد الكون جميعا للانسان .

ان العذر الوحيد الذي يسند شرف العقل الشرقي ، هو ذاته العذر الذي سند عقلية الجمهور المصري الفرعوني القديم بالنسبة الى قضية التحنيط ، فقد كان الكهنة يمنعون بالقوة وسيطرة الدين اية محاولة للمعرفة ، ويقرون السر بالطلق وبالا له وبالقدسية . اما الوضع في الشرق العربي فقد تحول من دكتاتورية الرهينة والالوهية ، الى دكتاتورية الحاكم والطبقة الثرية التي تظاهره ، واستخدم الدين كبرشامة اذلية تغطي عند الحاجة وعندئذ تكاثفت سحب الثورة والتمرد . وكان الضعف موجودا في الذهن الشرقي لان مسكنته المعيشية والاجتماعية تطلب منه التفاتا كليا ، واهتماما مضاعفا .. (٢)

ان الفقر يوحد الامم ، ويوحد الاساليب التي تتبعها المجتمعات المتعاصرة ، خاصة اذا كانت احكام الديانة عنيفة بالقدر الذي في شرقنا العربي ..

فاذا شئنا ان نحول ذهننا من وعي الخرافة الى وعي العلم ، ومن (٣) حتى الان ، ما زال العربي يقول اثر كل نقاش في ازمة سياسية ( دعونا من هذا ، ولنلتفت الى لقمة العيش ... ) ذلك لان منتهى الفقر الذي يعيشه العربي يقابله منتهى الانحطاط الذهني ، ومنتهى تسليم الامور الى السلطات والخشية من مواجهتها ..

التسليم بالقدر والمكتوب ، الى الاعتراف بالارادة واهمية الفعل البشري في التطوير ، اذا شئنا ان نبدا حياتنا من جديد ، لا بد ان نقر بهذه الحقوق الاساسية للذهن :

أ - حرية التفكير والعقيدة ، وحرية التبشير بها :

اول مظهر من مظاهر حياتنا الاجتماعية هو الاكراه العقيدى ، والسخره الضميرية : لتتصور مسلما يتحول الى المسيحية او الى الالحاد بصفة خاصة ... كيف يمكن له ان يعيش في وسط محتشد بالكراهية والحقد والسخط ، كيف يمكن له ان يباشر حياته العادية وصداقاته التي تزخر بها معيشته الاجتماعية ، بدون ان يواجه كل لحظة بالحط من كرامته ، ويعير بانه ضعيف وجبان لانه ( غير دينه ، ودين آباءه .. )؟؟ وهذه الظاهرة ملحوظة بشدة في المدينة ، فما بالنا بها في القرية - على ندره ذلك - ان على المرتد ان يضطر للمهاجرة من وطأة الضغط الاجتماعي والنفسي عليه ، بل ان اسرته ذاتها تتخلى عنه ، لانه ( داس ) على كرامتها وشرفها ، ولان الناس هنا يكونون عصبه دينية متألفة متآزرة ، حيث يصبح المسجد هو الاصرة الوحيدة التي تلم اليها الافراد ، وحيث يتسيد شيخ المسجد في كافة شئون القرية من الزواج والياد الى الموت وادوار السقيا . ( التسامح الديني الذي حض عليه الاسلام لا يناقش هنا . اننا نعرض قضية تحول المسلم عن عقيدته .. )

الاكراه العقيدى يوجب الصمت والسكونية ، بل انه يصل في اعلى حدة له ، بالحض على رفض كل فكرة يكون الغرب مصدرها ، لانها بالنتيجة فكرة (كافرة) ، ذلك لان العقيدة الاسلامية واجهت من قديم طفيان العالم المسيحي الاستعماري ، ولم تستطع ان تفصل بين الدين المسيحي ، او اي مذهب غربي ، وبين السلوك الذي يسلكه مسيحيون مخلصون . وفي الحروب الصليبية، والحروب الاستعمارية الحديثة كل منطلق هذه المواجهة المستمرة . والضمير العربي له الحق في ذلك ، لان الاسلام ليس كالمسيحية علاقة بين الفرد وربّه ، بل هو محاولة لتنظيم حياتنا الدنيوية على اساس اقتصادي واجتماعي وعاطفي ، فله الحق اذن ان يكفر بالعالم المسيحي الذي يؤمن بالحب والمساواة ، ويضربنا بالقنابل لاحتلال ارضنا . غير ان هذه الضميرية لم تستطع ان تهضم الجواب على هذا التناقض : فالراسمال في الغرب هو الذي ينشر الدين ، ويوجهه وينظمه ، لانه يفيد من ذلك غاية الفائدة ، ويكفي ان نعلم ان مؤسسة روكفلر توزع في العام الواحد على المسيحيين المخلصين ملايين عدة من نسخ التوراة .. فهل تفعل ذلك لانها تحب المسيح كل هذا الحب ..؟ واذا كانت كذلك فلماذا تمتص دم عمالها وتلقى اليهم بالكفاف ، لماذا تسكت على امراض الفاقة والسل والانيمية الخبيثة التي ترتع في دم وصدور عمال منشآتها ..؟؟

الثروة تساعد الدين ، لان احكام الدين توزع التقبل والسكوت على الفقراء ، وتحرضهم على تجاهل المادة ، لان ذلك فقط هو الذي فقط يفتح لهم ابواب الفردوس على مصراعيه .. اي سند اكثر من ذلك يحتاجه الرجل الثري ، ليمنع تكالب الفقراء على الثروة ، ويمنع مطالبهم بزيادة الاجور ، وتخفيض ساعات العمل ... اي سند اكثر من ذلك .. وسند يأتي من الله ايضا ؟! .. والثروة الغريبة هي التي تحارب الاسلام ، لا لان الاسلام واقف ضدها ، بل لان تاخر الاراضي الاسلامية يفرها بتسويق منتجاتها ، وزيادة ثرونها ... فلم تكن المسيحية هي التي قامت بالحروب الصليبية ، اكثر مما كانت الثروة هي المحرك الاساسي للضمير المسيحي في الغرب ، فقام قومته المروفة وجمع الجيوش والاساطيل ووجهها لانقاذ عاصمة الله .. لن تقوم

للمرب مكانة فكرية في التاريخ الحديث ، ما لم يكافح الافراد والجماعات هذا الطغيان الدكتاتوري من السلطة في سجن الافكار وحرقها ، ما لم يقف المفكرون صفا واحدا ضد عمليات الشنق الفكرية التي تستعملها السلطات للحد من الثورة ومن الوعي . فاذا صمت المفكرون على ذلك وخشوا نتيجة التمرد ، فما أطول الوقت اذن على النور ان يضيء حياتنا ، وما اكثر ما سنضفيه في الظلمات من اعوام واعوام واعوام !! .

لنفتح الابواب للافكار ، تصطرع وتصطدم وتتعارك ويفني بعضها بعضا ، وهكذا فقط يمكن لنا ان نعرف اقدرها على الصمود المنطقي ، واكثرها قدرة على الوقوف في وجه النقد ، وفي وجه التقليدية . اما اذا شئنا ان نظل في صمتنا الموثس هذا ، باقتناعنا العاطفي وتخلفنا العقلي والضميري فقل علينا وعلى حضارتنا السلام ...

ان حرية العقيدة وحرية الاعلان عنها هما من اخص خصائص الحياة الفردية في العصر الحديث ، وبدون اقرارها يستحيل ان نتطور وان نتقدم ، وسوف نقابل في كل خطوة بحكومة تفتح لنا السجون والاعتقالات ، وتلقى بنا في الزنانات ، وتقلع اظفارنا ، وتدمي افخاذنا وصدورنا بوخز الابر ، وتحرق شعر اجفاننا ، وتهتك اعراض شقيقاتنا وامهاتنا . كل ذلك لاننا نخالفها الرأي ، ولاننا نعتقد بصواب ما نفكر فيه .. كل ذلك لاننا نقول حقيقتنا .. كل ذلك لاننا نستجيب لعصرنا .. كل ذلك لاننا نود ان نطور عقلية البهائم ، ونطور حياة الوحوش التي نحيها ..

فاية ماساة نعيشها ، واية جريمة نقتربها بالسكوت على ذلك .. اية جريمة ؟ .. لقد انعدم الحس النقدي في ضمير الفرد الشرقي بتأثير هذه الحركة الاعتقادية الموحدة التي تفترض في كل انسان ان يكون نسخة من النموذج المذكور في الكتاب المقدس .. ان يكون كذا وكذا ، والا يكون كذا وكذا .. وسرنا على هذا السراط ، منا من وقع لخطا اقترفه ، ومنا من فضل القفز في الهاوية على ان يظل عبدا مرسومة له طريق حياته . وواصل الباقون هجرتهم الاختيارية نحو السراب الفردوسي .. وتشكل هنا مسئولية الفكر العربي الراهن من مجرد الروى وحكاية القصص المسلية ، الى الاعلان عن هذه الانقلابية الذهنية ، بالحض على حرية الفكر ، وقول ذلك بكل الطرق وبكافة الوسائل المشروعة وغير المشروعة . فكفانا كل هذا الزمن الذي امضيته مخدريين ، مقلقي الاعين والعقول ، ولنضع في اعتبارنا ان السلطة بالدرجة الاولى ليست نظاما . انما هي افراد مثلك ومثلي ، يجلسون على العرش الذي صنعه النظام . فاذا كانوا افرادا مثلك ومثلي فلماذا نخشاهم اذا كنا نطالب بحق لنا ؟ .. ان السلطة تعبير عن ارادة المجموع وليست ضفطا غير مشروع على هذه الارادة .. لنضع ذلك في اعتبارنا ، ولنكافح الظلم والبطش والدكتاتورية ، لاقامة مدنية يحلم بها الشرق منذ مئات العصور ، وهي المدنية الديمقراطية ..

ليكن ما تقدمه للغرب من حضارة ، هو المفهوم الحق للديمقراطية ..

## ب - الايمان بالاشتراكية :

الفقر هو المشكلة الاولى في الشرق العربي ، وتكفي زيارة قرية ، او حي شعبي في اصغر مملكة ، او اكبر جمهورية ، ليرى وجهه الكالنج بافطن قسماته ، واشدها انحطاطا .

ومن قديم كان سوء توزيع الثروة بالإضافة الى زيادة النسل زيادة هائلة (X) في عام ١٩٠٠ كان تعداد السكان في السودان يقل عن ثلاثة ملايين نسمة ، وفي عام ١٩٥٨ ، اصبح تعداد احد عشر مليون نسمة !! .

عاملين هامين جدا في هبوط المستوى الاجتماعي للأسرة والافراد فسي الشرق العربي .. ومعصية ثالثة كانت تعمل عمل التبرير لهذه الخطبة الجهنمية في اماتة شعب ياسره من الجوع : هي التواكل . كانت الاسرة تتزايد في كل عام فردا ، على حين يظل الدخل الشهري لرأس الاسرة ثابتا عند حد لا يكفي شخصا واحدا ، وكان الرأس يقول : ( كل ولد وله رزقه . الارزاق على الله .. امة المسلمين لها اولية الرزق )!! وانتشرت الانيميا والسل وكافة امراض سوء التغذية والامراض الاخرى التي تعيش على الصحة المتعبة ، واخذت تقتل شبابنا وتنمي فيهم اللامقاومة والدعة واشار الراحة والسلامة ، واخذت تخفض متوسط الاعمار الى ما دون الثلاثين .. كل ذلك لاننا نتواكل ، ونزعم ان الله يريد ذلك ، وان ارادته لاراد لها ...

وكانت فكرة الزكاة ايام الاسلام الاولى قوية التأثير جدا ، لان المجتمع الاسلامي كان رعويا وتجاريا على اضيق نطاق ، وكان حصر الثروة ممكنا ، لان رؤوس الاموال كانت معروفة ، وكانت النسبة تجمع بسهولة وبساطة ، زد على ذلك حماس المسلمين لتطبيقها في الايام الاولى لنشوء الديانة ... اما الان ، وبعد ان تمعدت صور الثروة ، واستحال تنظيم الزكاة على الوجه القديم لها بعد ان تطورت حياتنا ، واصبحت ضرائب الدخل المتعددة تغني عن هذا الشكل البدائي من الاشتراكية ، اصبحت فكرة ( الزكاة ) اختيارية محضة ، وباطلة التأثير الى اضعف درجة .

الارض العربية كنوز مطمورة ، ولا تنتظر الا العلم الحديث ليقفز بها من محدودية امكانياتها ، الى منتهى المنطق المادي . ولكن العلم الحديث لا يكفي وحده لنقل هرمية الثروة من القمة الى القاع ، ولذا نذكر بلدا عربيا كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على زيارات طقوسية ، لفقرها الزائد ، دخلها العلم الحديث مكتشفا للبترول ، واستفنت هذه البلد نهائيا عن اموال الزائرين لانها اصبحت بين يوم وليلة من اعظم البلاد العربية ثروة ... ولكن الذي حدث ، لم يكن الارتقاء بالوضع المالي للجمهور ، او رفع مستواه المعيشي ، بل كان ان تحولت الثروة الى ثروات عظيمة في خزائن الحكام ..

وظل الفقير فقيرا والمريض مريضا ... اي ان دخول العلم لم يفسر من واقع الشعب المادي شيئا ، ذلك ان تغيير الواقع لا بد ان تكون اصوله في النهن اول . لا بد ان تكون القاعدة مؤمنة بالاشتراكية ، وتوزيع الثروات على اساس العدالة ، لا على اساس الهبات والمنح والامر الواقع ..

## من منشورات دار الآداب

الحي اللاتيني (رواية) للدكتور سهيل ادريس  
الخدق الغميق (رواية) للدكتور سهيل ادريس

دار الآداب ص.ب ١٢٣

ان الاشتراكية ترتبط بالحرية ارتباطا جسيما ، فلو نادى حكومة ما ، باشتراكية ما ، وكانت هذه الحكومة تسجن الشعب بالحديد والنار بدعوى تطبيق الاشتراكية ، بطلت هذه الدعوى من اساسها واصبحت كأن لم تكن . فمصدر السلطات هو الشعب ، وليس القمة ، وطالما كان الشعب مسجوناً بواسطة الحكومة ، مكبوت الطاقات ، ومسلسل الإرادة ، فلا فائدة في بحث او تقدم . ومن هو الذي يملك ان يغير ذهني بالعنف ؟! ان تطبيق الاشتراكية بالقوة ، والاشتراكية الف صورة ، ليس الا محاولة من محاولات محاكم التفتيش ، لا تختلف عنها الا في الصورة والشكل ..

مسئولية المفكرين العرب ترتبط ثانيا بهذا المجال النشاطي الهام ، وتنقيد به ، فلا بد ان تقوم ثورة فكرية تضيء جوانب حياتنا ، وتصعيد شكل الاشتراكية الذي يتفق ومتطلبات واقعنا الحضاري ودرجة تخلصنا . ولا بد ان يلاحظ هؤلاء مقدار الرباط الذي يجمع بين مشكلة طرح مفهوم الاشتراكية كما يراها كل مفكر ، وبين الوجود الحتمي لاجتماع حر العقيدة يسمح بالنقاش ، ويسمح بالنقد ..

### ح - الحد من الدين :

لا يعني ذلك ان نطالب بشجب الدين من حياتنا المدنية ، فذلك اعنف ما يوجه الى حرية الفكر من طعنات ، والصور التي نطالب بالحد منها هي مدى تعلقنا النفسي واغراقنا في تفسير مظاهر وجودنا بنصوص الدين . اننا لا نحاول ان نضع الحدود لدينا ، بل تركه يتدخل في كل خصيصة من خصائص حياتنا الفردية والاجتماعية .

اننا عاطفيون وروحانيون ، ليس لان ديننا هو الاسلام . بل لاننا فقراء . ولان الفقراء يتعاطفون ويعطون لانهم يحسون الاسى والمذابح والذل والياس المغمورة فيها حياتهم .. بسبب ذلك نحن نفكر بقلوبنا ، ونقدر بعاطفتنا ، ونندفع في حياتنا على اساس انطلاقي وغريزي . اما العقل عندها فهو شعلة خامدة مطفأة لا نعرفها ولا نعلم عنها شيئا ..

فاذا شئنا ان نغير هذا الواقع فينا ، من تعاطف الجوع ، الى تعاطف الشبع ، والتكاتف المصلحي ، فان علينا ان نضع خطا فاصلا بين الدين كعلاقة بين الفرد وربه ، وبين حياتنا كافراد وفقراء وثانين ..

ان على الدولة في شرقنا العربي ان تخطو خطوة اولى لتنظيف رجال الدين ، أو الادعياء شبه الرسميين ، بان تبدأ حملة عاجلة في الريف والمدينة للحد من استغلال الفلاحين والبسطاء ، بواسطة بعض الاكدياء الممهمين ، الذين يأتون بالمعجزات والخوارق ، وفي نظير ذلك يسرقون الريفي طعامه وطعام اولاده وذهنه ايضا ..

وواجب على الدولة ان تمنع زيارة الاولياء والاضرحة بالقوة ، لان ذلك يجردنا الى عبادة الموت ، وليس عبادة الحياة ، التي نسيناها ، ونسينا كيفية استعمالها .. وان تمنع حفلات الزار ، وموائد الذكر من خاصة المتصوفة الراقصين وعامتهم .. ان تمنع كل هذه المظاهر الساذجة من ديانة لاهي تابوية خالصة ، ولا هي كتابية خالصة ..

وبالطبع ليس هذا هو التطوير المطلوب .. انه اعداد للارض ليس الا ، فالدولة لا يمكنها ان تغير ذهنية الجمهور ، فذلك ليس فسي صالحا . اننا نطالب فقط بان يقل جنون التحمس الهستيري الذي نلاحظه في مثل هذه الاحتفالات الهمجية المتاخرة ، واملنا ان يجر الافلاخ عن هذه العادات البربرية ، ذهننا من مرقده ، فيتحرك وينطلق ..

واذا كانت ارادة التطور تساورنا الان ، فما اقل ان تبدأ الدولة بخطوة من عندها ، حتى اذا كنا نقشها ، ونفعل ذلك في غير مصلحتها على الزمن البعيد ...

ان على المفكر العربي مهمة ان يبدأ في وطنه وطبقته ومدينته وحيه ومنزله وشقته ، حربا مخلصه غير متوايئة ضد هذه المسكنة العاطفية ، بغية تحويلها والنهوض بها . هذا اذا كانت رسالته حقا هي ان يري وطنه النور والعظمة والامجاد .

### ء - فرع تربوي للمشكلة :

الجبل الذي نعيشه هو ملامح اجيال ثلاثة : جبل آباءنا الذي اكل وشرب من خبز الاستعمار والاسرة المالكة والحكام الاتراك ، فنار احسانا ، وهمد احسانا ..

جبل افسدته ظروفه الاجتماعية ، واتعبته محاولاته للخروج من مازق وجوده ، فتمطلت فيه ارادته وامكانياته وصبرته عاطلا عن التفكير وارادة النزول ، وتركت له فتانا من الاعتقاد بتعيش بها حتى نهاية ايامه . هذا الجيل لا خير فيه ، لان حكمته اكبر من شجاعته ، ولان مهاردته اعظم من ثورته ، ولان داعي الموت فيه اقرب من دواعي الحياة والتجدد .

والجيل الثاني ، هو جيل الشباب الذي يدوخه قلق المسؤولية وقلق المعصية وقلق البحث عن القيم ، ويدوخه قلق الوجود الذي يعاني منه الشرق العربي على العموم ، وهذا الجيل لا يملك الا تمرد الخالص الذي يكاد يفقده اثناء محاولته البطولية الرائعة في نقل هذا التمرد كحس فردي الى الصعيد العام . فالظروف السياسية تقهره وتحاول

صدر حديثاً

هل تحبين برامس

أحدث وأروع رواية

للكتبة الفرنسية الشهيرة فرانسواز ساغان

ترجمة دقيقة وأخراج رائع على ورق ممتاز

الثن ٢٠٠ ق.ل.

منشورات دار الآداب - بيروت ، ص:ب ٤١٢٢

تخطيطه، والمجتمع غير الواعي يحاول عزله والتقليل من شأنه، والجيل الأول يسخر من امكانياته ومن قدراته، وينتبه كل لحظة ان ما يفعله هو الان، قد فعله قبله بجيل كامل، بدون طائل ولا فائدة .. وان عليه ان يلتفت الى طعامه، وان يترك السياسة لاصحابها !!

وهو - هذا الجيل الشاب - الوحيد الذي يرى امته في وحلها اليومي يرى صراعا المستتر في الوجود، ملاحظا بكل عنف وجسارة، ذلك التيار القوي الذي يحمل الغرب في رحلته المادية، وواقعا بعد ذلك في تناقض الوجود، والاحساس بسخفه وعيبه، من هذا المنطلق الضيق الذي كان كافيا قبل ذلك لتخطيط آبائه ..

هذا الجيل التمرد الشاب، هو جيلنا الذي نميش، جيلنا الذي تنتسب اليه، ونعبر عن خصائصه في كل حركة وسكون. ان هذا الجيل يعرف اين يقف، ويعرف الذي يعطله ويوقف مجهوداته، ويعلم ان السلطة تنازرت مع المجتمع لغض هذه المعركة التي يحسبها قدر حياته ومعنى وجوده، وبالرغم من ذلك، لا يبغى تسليما لهذه الثورة التي وضعتها الاقدار في يديه تعبيرا عن قفزة مليون من الاعوام تريد ان تنفس وان تكون، وان تصير ..

والمشكلة التي يطرحها هذا الجيل هي مشكلة القيم في شرقنا العربي ومدى تطلبها للحياة الجديدة التي تنفس في ارضنا قليلا قليلا. ان تاريخنا زاخر بالتراث الديني والاخلاقي والاسطوري، وفقير من حيث الالة والتكنولوجيا، فلماذا كان علينا نحن فقط ان ندبر اتفاقا بان الالة تناقض الحس الاخلاقي .. لماذا كنا نحن من زعم بان هناك اختلافا بين التركيب العاطفي وقضية تحولنا الى العقل ؟ لماذا كنا نحن من دون الخليفة كلهم اول من يقول برفض العلم لانه يتنافى والحساسية الدينية .. (٢٠)

ان الزارع العربي ما زال يستخدم المحراث الفرعوني والبابلي في حرث ارضه، فلماذا لا نشجب ذلك عنه، ونجعله يستخدم اصابعه واسنانه ؟! طالما المحراث القديم نفسه آلة ..!

فاذا كانت القضية قضية سماح للمحراث الحيواني وحسب دون اية آلة اخرى، فالقضية اسخف من ان تناقش .. اما اذا كانت القضية، قضية خوف من تحولنا الى المادية، فذلك ادعى الاسباب الى السخافة، لان الارض ستتحول شئنا ام ابينا، وسيطور الناس في شرقنا رفضنا ذلك ام اردناه، وسوف يصبح شرقنا العربي صناعا، رأينا ذلك او لم نره، لان منطق الحياة، ومنطق الوجود، ومنطق الزمن، وهذه الدفعة الواعية التي يشهدها جيلنا ويندفع في تيارها التطوري العظيم، يدفعنا الى ذلك، ويدفع حياتنا دفعا نحوه .

فقط .. نريد، بدلا من ان نعطي للزمن وحده شرف تطويرنا، ان نشارك معه هذه الفعالية الارادية، ليقال عنا اننا حققنا ما رسمناه كهدى لحياتنا ..

ان الجيل الشاب يكافح من اجل رسم مخطط تقييمي يقفز من حدوده القديمة الى منطلق ثورة حضارية جديدة، ولكن .. وفي نفس الوقت، تطل ملامح الجيل الثالث الطفل في منتهى براءته وخلو باله واطمئنانه، فلماذا اعدنا لهذه الوجوه الحلوة التي لا تكف عن الابتسام ؟ ما الذي وضعناه في ايديها من وسائل يكافح بها ضد الزمن وضد التاريخ الذي لا يرحم ؟!

(٢١) لم يقل الدين ذلك صراحة، انما سلوكنا هو الذي ينبئ به ..

ان على الدولة ان تحول ذهنية الاطفال من التسليم الى المقاومة، ومن النكوص الى الاقدام، ولن يثنى لها ذلك الا بتحويل المناهج الدراسية تحويلا كليا من الدروس الادبية والدينية والاخلاقية، ومن امثال الحكمة (( الادب مفضل على العلم .. ))، والتي تحتشد بها البرامج، الى تخطيط عقلي جديد يؤمن بالعلم الحديث ويؤمن بانتصاراته. وذلك يستدعي ان تطور المناهج تطويرا جذريا، فتدخل علوم الذرة والكيمياء الطبيعية، والرياضيات العالية، محل العلوم الصفراء التي لا تخرج عن حدود استعمالات الالفاظ والمناقشات اللغوية والرجوع الى ما قاله فلان وفلان من احاديث واحكام ..

ان الجيل الثالث ينتظر ان نهد له الطريق، فذلك وحسب هو اقل واجباتنا نحوه، واكثرها ارتباطا بشرفنا وبمعنى وجودنا .... فهل نبخل عليه حتى بذلك .. ؟!

## هـ - فصل العقيدة عن الدولة :

اول ما نطالب به، بمنتهى العنف والصلابة، هو فصل الحكومة المدنية عن الدين، وعدم النص في مقدمة الدستور على دين الدولة الرسمي . فتلك مظاهرات من اشد مظاهرات العصر الحديث تأخرا، واكثرها مدعاة للانحلال والتقهقر الحضاري ..

فالدين في اعظم صوره، ارادة فردية تريد ان تتعلق بقوة وتفسر خارجين بكل مجالات النشاط الحيوية والانحلالية الساكنة في ارضنا . هي ارادة ترغب في ان تعطل عقلانيتها وان تستمد من المعجزات ومن الاسطورة غذاءها التكويني . انها شكل من اشكال العبادة القبلية المعاصرة في استراليا وجنوب افريقيا، فاذا كانت صورتها الاساسية بهذه خلال من التفرد والشخصانية، كان تعلق الدولة بها ورسمها كسياسة

أهماسات جبهة التحرير

يقدم للأجل ذكريات الصيف

مي

البنات .. وصيف

لم يكتب احسان امين ولا اهل من هذه القصص التي تعطينا من هدير الامواج ومن ثانيا الزمالات الذهبية الشابة على الشواطئ شواطئ الذكريات

٣٠٠ صفحة - طباعة فاخرة - الثمن ٣٠٠٠ ل

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

صرب ١٧٦١ - بيروت

ومحتوى لوجودها ، محاولة منها لنقل كيان الديانة من داخلها الفردي وكونها علاقة بين الفرد وبين آلهه ، الى الصعيد السياسي ، ورسومها خطة عامة تحاصر بها ذهنية البشر الذين يتخطون هذه التفسيرات الغيبية ولا يريدون لها ان تكون مبررا لوجودهم ، ما داموا مقتنعين بتفسيرات اخرى اشد منطقية وذهنية ..

فالدولة تخطئ مرتين اذا نصت في دستورها على ديانتها الرسمية ، الاولى في حق حرية التفكير ، وحرية العقيدة ، وفي حق المستقبل الذي يصبح مشدودا الى هذه الحرب الكريهة بين الوجود والعقيدة . وتخطئ مرة ثانية في حق وجودها نفسه كإرادة واعية لروح كل فرد من افراد الشعب ، واستجابة لدوافع التقدم فيه ، فاذا لم تكن الدولة تعبيراً عنك وعني ، اذا لم تكن ارادتك ، وارادتي .. فما تكون اذن ؟! واذا كانت هذه الدولة المتكلمة باسمي ، تطبق الخناق علي ، وتقول لي : لا تفكر الا بالقدر الذي يحلو لنا ، ولا تتكلم الا بالقدر الذي نريد لك .. « اذا كانت الدولة تصفدني في ذلك ، فما هي العلاقة التي تصبح بيني وبينها ان لم تكن علاقة الكراهية والبغض التي تصل حتما الى التآمر عليها ، والرغبة في ازالتها من الوجود ؟! »

وقبل كل شيء ، ما هي الدولة ، ان لم تكن انت وهو وانا ؟. اهي قوة مجهولة تحكمنا . ام هي الرابط الاجتماعي بينك وبينه ، اهي مشيئة علوية ، ام رغبة منا مشتركة في احترام افكارنا ووجودنا ؟! الدين خيط سري مشدود من المجهول الى القلب البشري ، يصل

## دار الثقافة - بيروت

# شجرة الحرية

في ثلاثة أجزاء

تأليف: الزبيري بيج ترجمة: هوفر مزار

تاريخ الشعب المصري  
وكفاحه من اجل الحرية  
قصة صراع بين القديم والحديث  
صنع في قلوب قصصتي راسع

(جزء ٢٨٠ صفحة من القطع المتوسط)  
شحن (جزء ١٥٠ ق.ل. أو ما يعادلها)

اليه في قمة عزلته وتوحده ، ويربطه بكل ما هو قابل للتأويل العاطفي في الكون ، ويعدده في نفس الوقت عن كل ما هو منطقي وعلمي .. انه كلمة بين الانسان ومطلق الاسرار ، فما دخل السلطة في ذلك ؟ .. ما الذي يحشر هذا الوجه الحديدي بين فرد وربه .. ؟!

ان لنا ان نعتقد بالذي نستريح اليه ذهنيا وعاطفيا ، واذا كان اعتقاد بعض منا خاطئا فالامر متروك للنقاش الحر والنقد كيفما كانت صورته . اما ان تأتي الدولة فتفرض السجن عليك وتمنعك عن التعبير بدعوى خطئك ، فذلك تدخل منها فيما لا يعنيها ، وتطاول لا يصح الا ان يقابله تطاول الافراد أنفسهم عليها ، والمطالبة باخص حقوقهم ارتباطا بهم ، وهي حرية التفكير ، وحرية التشهير به ..

### و - تغيير الذهن الاسطوري :

لماذا نحن تقليديون ؟!

هل لاننا نؤمن بالدين ؟! ان كل مجتمع متدين لا يحب ان يؤمن بالجديد ، لان في ذلك مجازفة بالقديم الذي لا يؤمن به ، واطاحية بالاسوار التجريدية التي يلجأ اليها ويطلب منها الامان والعدل .. فما الذي يبقى للفكر اذن ، لو ضاع الرجاء ، وتبخر الامل في عالم آخر كله عدالة وحب ، ما الذي يبقى ! ان الاغنياء في الدنيا ينهبونه وينهبون جهده وعرقه ، ولو كان يملك الارض نفسها وجنيها ، كما ملك ربهما وسقيهاها ، ما امكن له برغم ذلك ان يتحكم بالسعر الذي يبيع به ما جناه .. والله يرى كل شيء : يرى الغني وهو يحدد السعر بالاتفاق مع الاغنياء الآخرين ، ويراه جذلا بربحه العظيم ، بينما يموت اولاده جوعا وقهرا ... فلماذا لا يؤمن بارضى اخرى ترضى فيه حس التشفي الذي يتوقد في داخله ؟ .. لماذا لا تكون هناك ارض جديدة فيها العدالة وفيها الاغنياء يتلون من النيران ، بينما يأكل هو من خيرات الجنة ما شاءت له رغباته ؟! ..

ايظلمه هو الجشع الناعم المكروكس ، ويموت دون ان يلقي عذابا على ظلمه واستبداده ؟! فلماذا اذن وجد الحار والبارد ، والابيض والاسود ؟! واذن فلا بد من وجود ثواب وعقاب . من اخلاقية قوية سيده على ارادته وحس المنطق فيه ، لا بد ان يتحول الذل فيه الى امل في العدالة اعنى من المنطق واقوى منه ، لا بد من الخرافة ! .. وهكذا يفسر الشرقي كل شيء، بقوة خارقة عاقلة ترى الظلم وتعاقبه، وتضع ثوابا لكل فعل حسن ، وعقابا لكل فعل شرير ، وما دامت الدار الدنيا خداعا بصريا ، وعرضا زائلا ، فلا بد ان يحول الفقير البائس وجهه نحو الله . ورويدا رويدا اخذت هذه النبتة في التضخم والسمنة واصبحت رمزا وعلامة على الشرقي ، وانجبت لنا ابناءها : التواكل والايمان بالمقدر والانصياع للمكتوب ..

فاذا اردنا تغيير هذه العقلية كلية ، وتحويل ذهنية الميتافيزيقا الى ذهنية الوجود الواقعي المحسوس ، وجب ان نطلق صيحة عظيمة في هذه الاذن الميتة ، مطالبين لها ان تقوم وان تباشر حقوقها ، وان تعي وان تفكر وان تجرب وان تعيش ..

وتلك مسئولية القادة المفكرة في الشرق العربي ، ولا مسئولية سواها . ان على الذهن القيادي ان يبدأ فقرة تعليمية بمناقشة القضايا الخرافية وقتلها ، وابرار الوجه لفظي للتقدم الفكري في صورة دراسات لاهم النظريات الذهنية التي غيرت وجه الغرب ، واجزاء عديدة من الشرق نفسه .

اننا نحتاج ثورة على هذا الواقع الذي ينفض بالامكانيات ، ويحبل



بالقلق وحس التمجيل بالتطور ، وهذا الامر في ايدينا ، اذ لا تقبل ارادتنا عن ارادة الغرب ولا تنقص ذرة ..

فلنعمل بهذه الثورة التي سوف تكون ابداعا وجوابا لنا ...  
شكل حياتنا :

ان الفكر هو تنويع الوجود ، وكلما اتخذ الوجود لونا معيناً ، اصطبغ الفكر به حالا ، بتأثير عاكس وسريع ، فالفكر هو الانسان الذي يعيش اعماق مما يعيش الآخرون ، وهو لذلك يعاني من هذا الانفتاح الواعي على قيمة الحياة ، وقيمة العمل ، وقيمة اليأس .. ولا بد لنكسة ما ، ان تترك في نظره ، للعالم شكلها ورائحتها ، ولذلك نجد طعم فكرنا اليأس ممتلئاً بقلق عجيب ، مصدره هذا القلق في وجودنا ، الذي نهرب من تحديده وتأثيره ، فلا نحن نحزم امتعتنا ونرحل الى الغرب ، ولا نحن نصفي هذه الامتعة ونستخرج منها ما يصلح لنا في رحلة الوجود هذه المتعبة بالآلام ...

لا نحن نصير شرقيين اصلاء ، ولا نحن نتحول الى الغرب ..

اننا نرفض المذاهب الحياتية الغربية بدعوى انها لا تمت اليأس بصلة ، ولان ظروف حياتهم تختلف عن حياتنا ، وذلك صحيح الى ابد درجات الصحة ..

ولكن : هل يصبح صحيحا ان نظرية ما ، عربية ، يمكن لها ان تغير حياتنا الان ، وفي هذه الظروف القاسية التي نعيشها .. ؟! اشك في ذلك جدا ، فقبل ان تكون هناك نظرية ، يجب ان تكون هناك ارض ... وارض ملائمة لظهور هذه النظرية . وارضنا غارية عن الاوليات التي تسمح بالانبات ..

فاول شروط الحياة هي الحرية ، وذلك معدوم ..

ثم ما الذي تؤديه النظرية في مثل هذه البلاد التي تحتاج اول ماتحتاج الى هواء نظيف تنفسه ؟!

النظرية العربية في الوجود مطلوبة بشدة ، ولكن ، على ان يسبقها ، ويبشر بها ارادة عارمة تطالب وتؤكد الحرية الفكرية وتوجدتها ..

ان الايمان بالعقل وبالاشتراكية وبالحرية ، لا يعني سوى رفع مستوى الشعب العربي ماديا وفكريا ، وذلك يعني تحولا حياتيا باقصى درجة من الجبرية والقوة ، ولن يصبح العلم وقفا على بعض الالهام الفردية ، كما كان في تاريخنا الوسيط ، بل سيفتح تيارا وحركة اكبر من ان تخمدتها سلطة او مشيئة حاكم ..

★

والان ....

الى متى يظل الادب العربي كصورة لحياتنا ، خاضعا لآل عام من الصحراوية ومن القلق ؟ اننا نموت رعبا اذا فكرنا في ان تحولنا الى المادة يقتل ضميرنا الروحي ، ونموت رعبا اذا فكرنا باستمراريتنا في مانحن عليه من قنوط واحساس بالتأخر ..

واذن ، فما العمل ؟

اذا نظرنا الى المشكلة بشكل عام وغير مسؤول ، اي كما لو كنا نتفرد على الالهة مسلية ، فسوف نقول بان الامر هو امر نظرية تخطط لحياتنا وسلوكنا . وذلك يعني الموت الى ان تقوم للنظرية قائمة ..

واذا نظرنا اليها على انها عقبة في سبيلنا لابد ان تزول ، ووضعنا في الاعتبار ظروفنا ووضعنا الاقتصادي والنفسي والسياسي والاجتماعي وتطورنا الدرجي بحسب امكانياتنا ، وجدنا ان الامر يحتاج ، لا الى نظرية ، بل الى تمهيد للجو ، وذلك يعني ان نكون نحن جيل التحويل

وجيل المفارقة ، وذلك يستتبع ان تكون معركتنا الاساسية ، معركة المفكرين ضد السلطة والتقاليد ، وسوف تنتقل هذه المعركة سريعا الى رجل الشارع ، فتصبح معركة وجودنا جميعا ، وفي هذه اللحظة تنبثق النظرية انبثاقا من هذه الارض التي ستجبل سريعا بالنقد والمناقشة ، وعرض كافة الآراء في سبيل الإصلاح ..

وسوف نجد بعد ذلك ان ادبنا ذاته يخوض معركة الوجود التي نخوضها ، ويبدأ خطواته العظيمة المنتظرة ، لدرجة انني اجرو على القول بان جمود ادبنا هو بسبب من رتابة حياتنا وتقليديتها .. وان ازهى عصورنا الادبية كانت انعكاسا لازهى عصورنا السياسية والتجارية . واذا .. لنؤجل املا في ادب عظيم وشعر خالد يكتبه ادباؤنا ، مادامت الخطوة الاولى الهامة لم تخط بعد ، وما دام الجو مشبعا ما يزال بدخان الكراهية والفقر والظلم والقمييد ..

ولنلتفت الى اقرار اهم ما نطلب به ، ونحيا من اجل رؤيته يعيش ويتنفس جنبنا ، ثم يصحبنا في رحلة وجودنا الصعبة ..

لنلتفت الى اقرار حرية الفكر والاشتراكية والعقلية ..

ولن يعني ذلك ان تكف عن الترجمة ، وان تكف عن الكتابة والتأليف واستيراد النظريات النقدية الغربية ، واستخلاص النظريات النقدية الشرقية من برائن الاكفان ومحاولة تلويحها بلون عصرنا ..

بل يعني ان تكون هذه المعركة نصب اعيننا دائما ، كشرفنا الاول ، واخص همومنا .. ان الارض النظيفة تسمح بخروج كل شيء ، وما دامت ارضنا تعوم فيها المستنقعات والبرك والجراثيم ، وما دامت الروح الشرقية تعيش هذا القلق العجيب ، الذي لاسميه مرضا ، لانه بحث جدي وعميق عن الهداية وعن الحقيقة ، ما دام الامر هكذا ، لنعمق هذا التيار الغصب بترك كل العقول تفكر كيفما شئت وكيفما ارادت ، ولن يتأتى ذلك التعميق ، ثم الوجود الجبري للنظرية الا في ظل حرية تسود هذه الارض ..

واذا فلتكن رسالتنا الشابة قبل : فلنترجم او فلنبعد او فلننقل او فلنلتفت الى تراثنا .. ليكن جوابنا شعارا ، قبل ان يكون هندسة منطقية مادام الشعار حماسيا الى درجة انه يوافق عواطفنا ..  
ليكن جوابنا : حرية الفكر ، او الموت ..

محي الدين محمد

القاهرة

<p>تقديم</p> <h2>قصّة التافريون</h2> <p>أحدث دراسة عن التافريون مروءة بالأسرار والفضائل التي تشكّل جميع المراحل التي سبقت ظهور التافريون</p> <p>١٧٥ صفحة - ١٩٥٥ ق.د. - ١٩٥٥ ق.د. - ١٩٥٥ ق.د.</p> <p>يطبعون بالأسر - دار الثقافة - ١٩٥٣ - ١٩٥٣ - ١٩٥٣ منه المئات الكهنة في عصر الحضارة العرفية</p>	<p>دار الثقافة بيروت مؤسسة فكرية الأسرة والكتاب</p> <h2>القافلة</h2> <p>قصّة الشرق الأوسط</p> <p>الأسرة والكتاب الأسرة والكتاب الأسرة والكتاب</p> <p>دراسة تاريخية وعلمية عن الشرق الأوسط</p> <p>يقع هذا الكتاب في ٥٥٠ صفحة منه القطع الكبير - طباعة انيقة - ورقه أبيض - ٧٠٠٠ نسخة - ٧٠٠٠ نسخة - ٧٠٠٠ نسخة</p> <p>يطبعون بالأسر - دار الثقافة - ١٩٥٣ - ١٩٥٣ - ١٩٥٣ منه المئات الكهنة في عصر الحضارة العرفية</p>
---	---

# وراعا... أيجها الأدب !

بقلم محي الدين سحبي



اساسه ، وحصرت نفسها ضمن حدود نظرياته ، وسواء افلحت ام اخفقت في تمثيل اتجاهها ، فانه مفهوم مستورد ، غريب ، مع العلم بان اكثر هؤلاء الكتاب اعتنقوا هذا المنهج لاسباب عديدة ... ليس من بينها معاناة الكاتب للمذهب . واقصد بكلمة « معاناة » تمرس الكاتب بمذاهب فكرية عديدة بغية الوصول الى قناعة بحقيقة ما ... حتى اذا تجلت له تلك الحقيقة اصبح صاحبها ومكتشفها . انه قد اكتشفها لنفسه على الاقل ! وبذلك تصبح جزءا من كيانه وتتكرب بلفح من حرارة قلبه واندفاعه حياته ... فاذا ما انتج اثرا ادبيا كانت الناظم الذي يسلك ضمنه كل اجزاء العمل الفني .. والا ظهرت الفكرة ملصقة بصمغ سيء على اثر الفني وظهر التوجيه فيها واضحا واستحالت الكتابة من فن الى منشورات ...

... وخالف الرابطة جيل جديد من الكتاب يجمع بينه الرفعي الماركسية ثم يفترق بعد ذلك في اتجاهات عديدة ، منها ما هو مقتنع برسالة الفن في توجيه الجماهير توجيها مباشرا نحو الاشتراكية العربية ، واولئك خلفوا سابقهم في كتابة الخطب والمبادئ ضمن الشيعر والاقتوصة ، ومنها ما هو مقتنع برسالة الفن غير المباشرة في توجيه الجماهير ، انه يريد اولا ايقاظ وعي وجودي في ضمير القاري ، ويريد ايضا فلسفة هذا الوعي وتحديد في سبيل توجيهه واستغلاله ، ويمثل الاتجاه الاول شريف الراس - على قلة ما يكتب - وبوسف الخطيب في بعض شعره ، كما يمثل الاتجاه الثاني مطاع صفدي فيها يسميه « القصة الاشكالية » ويدعي في مقدمة كتابه « اشباح ابطال » ان القصة الاشكالية هذه لا يمكن ان يفهمها الا قاري اشكالي !

ومن المعلوم ان الاشتراكية العربية ما تزال شعارا لم تحدد تخومه بعد لهذا يكتب المتحمسون لها عن شيء يتخيلونه ولكنهم لا يعلمونه حق العلم ... اما اصحاب الوعي الوجودي او ما شابه ذلك من مصطلحات فمن المعلوم لدى الجميع ان كل ذلك مستورد .. وان الذي يكتب عن بطل متوتر قرفان يعاني الغثيان .. كالذي كتب عن عمال الناجم ومصانع الفولاذ .. سواء بسواء ، كلاهما دخیل . كلاهما يستورد أزمة ويمط الواقع او يخاصه حسب مقتضيات افكاره المستوردة ونتاجه الهجين . ومن المعلوم ان الادب هو التعبير عن المطلق من خلال النسبي ، اي على الفنان ان يستطيع تحديد اطارات عمله واعطائه هويته .. فدوستوفسكي مثلا قدم الاخوة كرامازوف في أزمة بحث عن معنى الحياة ولكن ضمن ملامح محددة ونهاية لخصائص اسرة معينة في وطن معين وزمن مخصوص ايضا

حاولت فيما مضى ان ابين للقاري العربي العوامل غير الادبية التي تؤثر في ادب الاقليم الشمالي وتعيقه عن الازدهار ومسايرة النسم الاجتماعي ، فبينت ان تشكيل المجلس الاعلى - واخص منه لجنسي الشعر والنثر - هو تشكيل تاريخي . يضم افرادا تأخروا في مفهوماتهم الادبية عن المفاهيم الحديثة التي تطور اليها الشعر العربي الجديد ، وبذلك فهم ذوو تأثير رجعي .. اذا ما تدخلوا في مجرى الادب المعاصر . كما انني اوضحت كيف تتحول الجمعيات الادبية الى صالونات اجتماعية تتفق على كل شيء الا على تبني مفهوم ادبي وطرحه في انتاج مذهبية يحتفظ بالفروق الفردية ضمن نظرة موحدة .. وارى اليوم ان اختم هذه السلسلة من الدراسات بحدوث يحلل العوامل الادبية التي تؤخر الادب ، مازجا ذلك بذكر الظروف الشخصية التي تلعب دورا كبيرا في حث الاديب على متابعة انتاجه او انصرافه عنه .. مع اثباتي لبديهية لا يمكن فهم الحياة الادبية عندنا بدون اخذها بعين الاعتبار ، وهي ان الاجيال الادبية ، في الاقليم السوري ، نقطة تماما فيما بينها ، وانها لا تشكل سلسلة متصلة يتم فيها الجيل اللاحق اعمال الجيل السابق ، وانما هي حلقات متقطعة يبدأ فيها كل جيل من مفهوم وتجارب خاصة به حتى ينتهي ، لسبب او لآخر ، فيحل محله جيل جديد مختلف عنه كسل الاختلاف ! ولهذا نجد ان عبد السلام العجيلي لا يمت بصلة الى فؤاد الشائب وان نزار قباني بعيد كل البعد عن انور العطار ، وان زكريا تامر منقطع عن حسيب الكيالي وعبد السلام العجيلي .. وهكذا

ولعل تلك البديهية تمنح ادبنا خصبا وتلونا ، لكنها تفقده طابع الاستمرار والفهم المتعدد للتجربة الواحدة التي تواجهها مختلف الشخصيات الادبية : كل من وجهة نظر خاصة بها ، كما حدث للوجودية مثلا بين سارتر ومارسيل كامو وغيرهم .. وواضح ان السبب الاساسي لذلك هو فقدان اتجاه واضح في ذهن اي ادب .. او عدم امهال الزمن له كي يعبر عما لديه .. هناك مثلا طلائع فهم روعي عند عبد السلام العجيلي .. ولكن ما كتبه حتى الان لا يعبر الا بشكل غامض وغير كاف عن نظرته الشرقية للانسان . ولعل انعدام المفهوم ، او عدم وضوحه أزمة يشتكى منها الفكر العربي كله .. ولكن يستحيل نشوء ادب بدون فكر .. وما دام هناك ادب فهناك اذن فكر وراه يسيرجه ويصونه من التميع . ما هو مصدر الفكر في ادبنا ؟

ذلكم سؤال محرج .. والاجابة عنه تشعرا بالكثير من الخجل .. ولكن ما دمنا في صدد تقرير الوقائع ، وجرّد حساباتنا مع ثلاثين عاما من الانتاج الادبي ، فنقلها صريحة : « الاستيراد هو مصدر اكثر افكار معظم كتابنا » .. انها جملة طويلة ومعقدة بعض الشيء ولكنها صحيحة تماما .. وهي شاملة من حيث التاريخ ايضا .. وهنا لن نبتعد كثيرا ، فاول جماعة حاولت ان تصدر في كتاباتها عن مفهوم واضح محدد هي « رابطة الكتاب العرب » . ومن المعلوم انها اعتنقت المفهوم الماركسي وقدمت نتائجها على

... واين هي ملامح مجتمعنا في كل الكتابات السالفة الذكر ؟ واين هو العربي بين كل اولئك من ابطال وعمال وقرافين ؟ نعم يحدد لنا الكاتب هويته بان له كذا وكذا من الصفات.. ولكن هذا لا يكفي لاننا نحس بانطباع البطل بطابع هذه الصفات .. انها مجموعة ملصقة تخرج دمية لا انسانا حيا .

والقاريء حاكم متواضع .. لكنه ذكي وشديد الحساسية ، وهو يعاقب مهربي الافكار بالصمت وبالاغفال ... صحيح ان الزواج ليس مقياسا للجودة ، ولكنه دليل على التجاوب او النفور .. ولا احب ان يتهم القاريء بالسطحية لاننا اذا وافقنا على هذا الادعاء صغنا الواقع بضربات قاسية فكل النتائج الجيد قد نفذ من السوق واعيد طبعه مرات .. والدليل على ذلك مترجمات منير البعبيكي ! فاذا تركنا المترجم واتجهنا الى المؤلف وجدنا ان « الحى اللاتيني » اعيد طبعه مرات وان كتابات المجيلي تلاقي رواجاً ، اما دواوين «القبايني» و « ابو ريشة » فانها ما تكاد تظهر حتى تختفي .. وارجو الا يحاجني احد بالنكهة الجنسية في تلك الكتابات لان في كتابات المتمذهبين كثيرا من ازيز السرائر .

... ولو تركنا جميع هذه الاعتبارات ، ونظرنا الى الحياة الخاصة التي يعيشها الكاتب في اقليمنا .. - اي كاتب - لوجدناها حياة رتيبة مملة فارغة . انها خالية من التجربة .. ومن العلوم ان الحياة المليئة بالتجارب تزيد الكتابة زخما وتعلم السطور بجذور تشدها من شحوب التجريد والتخيل الى لزوجة الواقع وتعقيدات الحياة . ان الوظيفة هي السوس الذي ينخر موهبة كاتبنا ورغم كل العيوب التي ذكرتها ، فقد كان بالامكان ان يزداد خصب الانتاج لولا الوظيفة .. وفؤاد الشائب ذكر ذلك عن نفسه اكثر من مرة .. واذا كان بعض الشراهن من بعض ، فان امر الوظائف التي تستنزف حيوية ادبائنا الشبان .. هي وظيفة التعليم بما تقتضيه من تكرار وتبسيط وبما يشغل وقت المعلم من امر تصليح الوظائف وامثلة الذهن بكتابات الناشئة من المراهقين ، ولو استعرضنا اسماء الادباء في الاقليم الشمالي لوجدنا اكثرهم كذلك : رفيق فاخوري ، عبد الباسط الصوفي ، مطاع صفدي ، محمد حيدر ، جورج سالم .. وغيرهم كثيرون منهم كاتب هذه السطور ... واذا اجتمع وقار الوظيفة بوقار التعليم ، وروتين العمل اليومي بروتينية التدريس والتصحيح .. فافرا السلام على امكانية القراءة والكتابة فضلا عن امكانية التجربة والتمرس بالحياة . ورغم ان وزارة الثقافة ارادت لتخفيف من هذه الازمة باستحداث مشروع التفرغ ، فان هذا المشروع اذا طبق ، لا يحل مشكلا بل يخلق مشاكل .. ان توفير عمل غير مرهق للاديب ، كان يوضع موظفا في المكتبات او المراكز الثقافية او غير ذلك من الاعمال التي تضمن عدم اضطرابه الى التخلي عن مستواه الفكري ، ان ذلك لايفضل الف مرة من ان تظعمه الدولة لوجه الله ! ذلك افضل لانه حل وسط لايرهق الدولة ، لانها بحاجة الى موظفين يملأون تلك المراكز التي تتعق بالثقافة ، ولانه حل يمكن ان يشمل عددا من الادباء اكثر من العدد الذي يشمل قانون التفرغ . كما انني اعتقد ان العمل الذي يتلاءم مع مزاج الاديب ولا يمتص امكانياته خيـر واشرف واكرم من البطالة التي يوفرها قانون التفرغ ..

ان ادبنا مرهق مضغوط مسلوب من الحياة ، يعيش في دوامة تفاهات يومية تجعله يفقد صلته تدريجيا بالناس وبالثقافة وب نفسه فيضحل انتاجه ويضول ثم يموت .. والدلائل على ذلك اكثر من ان تذكر .. فهذا عبد الباسط الصوفي ، بالاس كان شاعرا ملء السمع والبصر ، له في كل موسم حصاد .. ومنذ عين معلما صمت ، والقصائد التي نقرأها في

الاداب من نتاج شهر قضاه في العطة الصيفية .. وها هو الان هارب الى غينيا ، وقبله خسرا محمد حيدر ، فقد كان منذ سنوات قصاصا منتجا ثم عين معلما فترك فن القصة الى كتابة « عرض حال » في مجلة الثقافة ، اما الابحاث التي قدمها لمجلة الاداب فهي ايضا من نتاج العطة الصيفية .. وقبلهما استحال رفيق فاخوري من شاعر رمزي قبل التعليم الى ناظم كلاسيكي ، وما يزال في تفهق مستمر .. اننا نتساقط ومعظمنا يتجمد او يهبط مستواه ، اي يحصل فينا بعكس ما يحدث لكل ادباء العالم الذين يبدون ثم يتحسنون .

فاذا اضفنا الى ذلك فقدان وسائل النشر وانحصار الجوائز المالية بالاغنياء الشيوخ من الكتاب ، في الشهر الماضي تناول طه حسين الفين وخمسمائة جنيه ، جائزة الدولة للادب ، فذكرت قول برنارد شو : « ان جائزة نوبل تشبه بتقديم المعونة لهرقلى الذين وصلوا الى الشاطئ » مع العلم ان الرئيس عبد الناصر حين كرم توفيق الحكيم منحه وساما ، وهذا هو المنطق والعقول - اذا ذكرنا كل ذلك ادر كنا كثيرا من عوامل تاخر الادب عندنا في الزمن الماضي ، واستطعنا التنبؤ بما ينتظر المستقبل الادبي من نضوب وجذب في الاقليم السوري ..

ان التدريس مهنة سامية وذات رسالة ، وان الدولة تميز المعلمين عن غيرهم في اعاملة ، ولكن هذه المهنة تريد استقرارا في الذهن وتفرغا تاما للعمل بها وتريد سرعة انتاج ولزوم حد معين من مستوى التفكير ..

وجميع ذلك يخالف ما يقتضيه الادب من تأمل وهدوء وتطور في المفاهيم كما ان ملاحقة الانتاج الادبي المحلي والعالمي يتطلب وقتا يتوفر في بقية الوظائف اكثر مما يتوفر في التدريس . كما ان الطفرات الذهنية والانقطاعات الظاهرية بين فكرة واخرى ، ومحاولة الاديب تكثيف نفسه وتجديدها .. امور تخالف التبسيط والتكرار الذين هما عماد التعليم .

✱

اكتب هذه السطور الاخيرة وعلى طاولتي الف ومائتا ورقة تنتظر التصحيح ، ولم اقرأ منذ اشهر سوى الجريدة اليومية .

- وبما انني اؤمن بان الثقافة هي الوسيلة الاولى لتطوير الاديب ، وبما انني اعتقد بصحة رأي همنغواي من « ان على الاديب ان يكتب وكأنه سوف يموت غدا » ، ولا اجد الوقت لشيء من ذلك بسبب مهنتي التي اضطررتني اسباب العيش لها .

- وبما انني مطلع على احوال ادباء كانوا اكثر مني ثقافة واغزر موهبة ثم تدهوروا حين مارسوا « التشقق » على اوراق الطلاب .

- وبما انني سمعت كثيرا من الوعود كانت نتيجتها اوضاعي الحالية .

- وبما انني احترم اسمي ولا اجد الجرأة على الكتابة بدون علم .

فاني اودع كل ذلك العالم الحلو الذي عملت فيه ومن اجله مدة خمس سنوات ، .. هذا العالم الذي طمعت في يوم من الايام ان اكون سادسا في معبده . وارجو الا يظن احد ان هذا المقال نداء او استجداء عطف بل هو كلمة لمن سوف يتساءل - ولو بعد الف عام - : « لماذا صمت وكان في ضميره كلمة تستحق ان يقال ؟ » . انني كتبت مقالتي هذه لمثل هذا السائل . انني اودع احسان عباس . اودع محيي الدين محمد ورجاء النقاش ... هؤلاء وغيرهم ممن هم خميرة الفكر والحربة فسي وطننا العربي .

فيا اخوتي ، يامن قرأت لكم وكتبت معكم ..

لن اقول : « الى اللقاء » ، بل اقول : « وداعا » .

محيي الدين صبحي

قرية درعا

# الغنمية العربية

« الى الشعب العربي الذي انجب الانبياء  
والحررين بالامس وينجب اليوم الابطال  
والمنقذين ..... »



الله تجسد في شعبي  
يا شعبا حضر اوربا  
يا أسمر  
يالون الصحراء البكر  
يا قلبا يحتضن الدنيا  
لا لن تفنى  
ما مات اله  
والنور الخالد لن يطفأ  
والشعلة في جوف الصحراء  
نور وردي يتلألا  
والراية في قبضة طارق  
شمس وضاءه  
والبحر سفين  
اشرعة بيضاء كالطهر  
كرمال الصحراء  
باسم الله المجرى والمرسى  
يا غرناطه  
يا بركة نور وضاءه  
يا فيضا من نور العرب  
لا لن أبكي  
اوراس تشور  
بن بلا في قيد الاسر  
بن بلا في كهف اسود  
يابن بلا ... يابن بلا  
يا صرخة جيل هداره  
ياروح الثورة

الراية عادت خفاقه  
« باسم الله واسم الوحدة ... »  
من اعماق الشعب الثائر  
دوت للعالم اغنيته  
ابناء عمان العربيه  
صوت يقرع باب الخلد  
عرب .. عرب .. لا لن نخضع  
والجبل الاخضر نار  
\*  
بغداد القلعه  
نافورة دمع ودماء  
« والاوحد » يفتال الثوره  
ويثر رصاص  
وتخر نجوم  
ويعربد مخمور في الحانه  
مات الله وعاش « الاوحد »  
والسور الاسود  
وعيون تلمع في الظلمه  
في حقل القضبان  
ولهى ترتقب الفجر الاخضر  
والشارع حنجرة تزار  
عرب .. عرب ... لا لن نخضع  
والشعب العملاق الاسمر  
لا لن يفنى  
قسما بالبعث ولن يقبر  
شفيق لكماري



# سلكي

## قصتي

بقلم مطاع صفي

### ١ - العجاج

وسمته ثانية يصرخ بعد كل ضربة من سوطه الاسود على جلدها المخملية :

- اللعنة .. تريد ان تكون جميلة بو حيرد .. جميلة الثانية .. واغمضت عيني . لقد كان الانين فاضحا كل شيء . يدهم حواسي كلها . فلا حاجة اطلاقا لان ازيد الحس بالرؤية . وشمرت بارتخاء اليم في مفاصلي ، فأتكات على قيودي ... ودوت الحروف فسي اعماقي تلك التي تؤلف اسم جميلة بو حيرد ..

كان ذلك عشية انصرافنا من الجامعة ، وقد وقفت عند الباب الخارجي انا وصديقي « حسين » نجمع التواقيع من الزملاء احتجاجا على تعذيب جميلة بو حيرد بيد انصاف الرجال من الفرنسيين ، عندما رايت سلمى مقبلة متمهلة فاترة ، تلوح بمحفظتها حسب ايقاع حالم في روحها ، ونسيجات الساء تحمل صمتا ورعشة وشرودا لقلوب الصبايا ، وقد خلت من هموم اليوم الدراسي .. توقفت عندنا قليلا ، تطلعت الى العريضة المزدهمة بالتواقيع . . وسقط نور الصباح على جبهتها الخمرية وقد غطت جانبها غرة كثيفة من الشعر الاسود القاتم .. وابتمت وهي تنحو بنظراتها على شيء مبهم يبدو لها مني :

- لم تنته مشاغلهم بصد ..

- الا توقعين ؟..

ولوحث بالحفظة جيئة وذهابا .. وصعدت بانظارها الى اعلى :

- لا ارى فائدة فيما تفعلون ..

وكاد حسين ان يقذف بغضبه السريع في وجهها ولكني سارعت بالقول :

- على الاقل ياآنسة سلمى نحن نبقى على مبادئ جميلة التسي

تتعذب اليوم من اجلها حية حارة في قلوبنا بهذا العمل الصغير ...

واطلقت آهة غريبة ادهشت صاحبي .. وسرحت ببصرها اكثر الى اعلى وغمغمت :

- ليتنا .. ليتنا نستطيع حقا ان ندرك عظمة تلك المبادئ .. نحن

هنا ، لا شيء سوى للتحرر .. ولامضاء التواقيع .

وكادت ان تمضي في طريقها لولا انني ناديتها :

- سلمى .. سلمى .. لماذا لاتساعدينا قليلا . تقفين لبرهة معنا ..

ولا بد ان نجمع تواقيع اكثر ..

وغمغم حسين اخيرا :

- صحيح .. زين والله ، لن يبقى شاب في الجامعة الا وسيوقع ..

معنا سلمى .!

وضحكنا للحظات . ولكن سلمى تمهلت قليلا قبل ان تقرر . ثم هزت محفظتها ، وارعشت غرتها بحركة سريعة من رأسها .. ومشت ، وخلفت وراءها عطرا غامضا غنيفا للشعر الاسود

وحشرج صوت حسين في اذني :

- ارايت .. اعتقدت انها تهتم لمثل افعالنا هذه .. سلمى ليست من عالمنا يا صاحبي .. كف عنها ، والا صيرتك يوما اضحوة لها فسي الجامعة .

واحترقت الرغبة في حلقي . لقد خدمت رعدتي ما ان تحركت تنورتها تنفخ علينا نسمة عيقة اثوية ، كنت اخشى حقا لو انها انصاعت ووقفت الى جاتبي . اكره ان احتمل ظل انثى . لست اريدها حقا .. انها تعذيب لذيد لي .. جنتي التي لن ادخلها ابدا .

- يقولون انها تعشق فارسا مجهولا . لديها ثروة يا صاحبي مسن مال الاب والام ، ومن سيل المعجيين .. مامحل امثالنا في حياتها .. دعك منها .. انت تعدو وراء سراب ساخر .. اتذكر استاذ الاقتصاد .. لا بد انها فتننت بشاربه الاشقر ، ولهجته العذبة في القاء دروسه . لقد سمعتها تقول له في نزهتنا السابقة مع الاساتذة : انك يادكتور تلقني شعرا ولا تلقني باحاديث مادية . فضحك الاستاذ الماركسي واجابها : ان القوانين الاقتصادية هي التي تعلم الشعر .! ومن ذلك اليوم وهي تجلس في المقعد الامامي ، وترفع له بعينيها الخيفتين .. ويلوب هو وراء منبره شعرا اقتصاديا ..

واجبته اخيرا : انا اعلم انها تعبت .. تعبت ، ولا شيء اخر .. وهي من ذلك الطراز الذي يختبئ وراء العبت والسخرية . انها تتعذب هي كذلك برغبة وحشية خفية .. رغبة ان تلقى مالم تلقه حتى الان .. - انت تتمنى ان يكون الامر كذلك ... ومع ذلك من يدري .. الا انني احب ان القي اليك باعتقادي .. هذه الفتاة يامجيد كنز لمن يمتلكها . ولكن هل اسعدت الكنوز دائما اصحابها ..

- كفى ..! انك ضد المرأة .. ضد الحب والجمال منذ القديم ، فلا قيمة لارائك ...

وصمت برهة ، أحسست خلالها باله . ولكنه ماعتم ان قال :

— هذا حق .. ولكن ليس مثلي احد يتمنى من صميم وجوده ان يصادف يوما جمالا انسانيا حقيقيا .. لاشيء في حياتنا ، حتى ماهو مادي منها ، الوجه والجسم واليد الصغيرة .. الا وهو بدون واقع ، بدون صدق .. انت تعرف كيف هجرت ..

وقاطعته بصرامة ، خيفة عليه ، انني اعرف ، اعرف فاجعته القديمة التي كررها على مسمعي عشرات المرات . ان هذا الانسان الضخم ، كصخرة مكدسة منذ الازل الى جانبي ، يئن من ثقب في صميمه . كما تئن الصخرة من فجوة ينبوع ، تعجب لانه القليل كيف استطاع ان يحطم جلودها ويثقب معدنها .. ولكن حتى هذا الينبوع قد جف ، وبقي قناة صماء مظلمة تصفر فيها الريح بدون جدوى .

قال حسين :

— هيا بنا .. طال وقوفنا هذه الليلة ، لا اريد ان انبه اعين « السعيد » علينا ..

وانطلقنا نحو المدينة . كنا مطرقين صامتين ، نسابق ظلينا على الرصيف .. وما ان ابتعدنا قليلا عن الجامعة حتى لحنا شبحا يتقدم منا .. وقف الى جانبنا :

— مجيد اعطني العريضة بسرعة .. سر بطريقك هيا .. غدا ساراك !.

✱

انهم يهولون ، وكذلك فانا اهول معهم . ولكن الارض التي تلمعها نعالني لن تقشط عنها غبار الاحذية القفزة ، وتكشف عن صخرها الاملس البارد ، بالسهولة التي كنت احلم بها وانا بعد طفل في العقيدة ، طفل في التطلع الى الغبار ، كيف هو مكس ، وكيف سوف اعدمه من ارض الفبار .

لقد كنت احسب السير في العجاج الرملي الذي يخترق شوارع المدينة فيوحد بين قذارة جوفها وقذارة سمائها ... والناس في هذه الساعات تمشي حواسهم ، فينكثون على انفسهم ! انهم يعيثون قليلا بالغبار المتراكم حول مشاعرهم . هناك يحلو الضجر .. فهو جرعة افيون تحيل ثقل العجاج الى حلم مرهق ، يشعر معه الانسان انه مذنب بدون جريرة ما . انه مسؤول عن .. لاشيء . ومع ذلك فهذا « اللاشيء » موجود بطريقة ما . وهو مصدر عذاب وسعادة من نوع دنيء وحشي .

وحملت عيناى ثانية في غرفتي العارية .. لقد تحولت احجارها الى كتل من الصقيع والسكون المعق واللامبالاة المحزنة . ولم اتابع كتابة الرسالة الى اهلي في « دير الزور » بسوريا .. لن احدهم عن عجاج احمر ، مثقل بالغبار القاتل . يعرفونه . وكذلك يعرفون ساعات الانتظار الشاقة خلف الابواب والنوافذ الموصدة باحكام ، يتشممون رائحة الهواء النقي بلا جدوى .

ولكنني اود لو اقول لهم ، فيما لو وصلت رسالتي اليهم ، ان العجاج في بغداد قد تحول الى مادة اخرى ، انه لايتينا من هناك عبر القفار والصحاري الموحشة من الانسان والعشب والحب اليتيم ، ولكنه ينبعث كنييا املس من حنايا الازقة ههنا . لقد بدأ يتصاعد العجاج من اقبيبة المدينة ياسلمى . وانه يطفو على هوائنا ، ويسبح بحشرات المجاريير فوق انفاسنا .

وانا هنا ، موصل علي ، يسجنني عجاج اخذ لونه يعمق في الحجرة المقبرة . اتملس الضياء والهواء ، وابقى مسجي على سريري اعانق ظل سجناني بدون حب ، بدون تلامس حقيقي ، الا تلامس الاختناق

والضغط المسعور .

لقد كان علي ياسلمى الا اراك الا قليلا بعد خروجي من السجن في عهد القزم التركي ذاك « نوري السعيد » . كنت اشفق ان تصيبك عدوى جنوني .. ان احدا في الواقع لم يكن يستطيع انذاك ان يبرر عاصفتي السمراء ، هذه النظرة الموحشة الفائرة الى قعر العالم .. لماذا انما محتد دائما ، اصمت برهات طويلة ، انفجر بدون سبب حقيقي ، اختفي اياما من الجامعة ، احيا الليل الطويل متسكعا على ضفاف دجلة ، على ضفاف بغداد المناسبة في حذر الاستسلام المخيف .. كنت اقف بعض اللحظات ارنو الى رموز بغداد وهي اضواء قليلة تنعكس على جبين دجلة — اواه ليتنا تحس ما معنى ان ينعكس ضوءها على الجبين ، جبين النهر الخالد — اقف واحملق في هذا المائع بدون شكل او حجم ، بدون وجه سوى انه انسياب اخرس طويل معتق ، كانه اقموان من نسوع اسطوري ، ليس له اول ولا اخر ، ولكنه يزحف بنعومته الثقيلة على بلاط بدون زمان .

اكاد احس ان نظراتي الى الكتل الجبارة من القوى المناسبة في حوض هذا النهر ، القوى النائمة المتصلصة الزاحفة في الاعماق ، نظراتي هذه تلهب البرودة هنا ، تجمد الحركة الكبرى الصامتة في القطرات المتزلقة على اديم بعضها بعضا .. اني اتحداك يا نهر ، اتحداك باسم اعماقك المظلمة الشهيدة تحت اثقال مياهك الرمادية ، اتحداك باسم الاضواء القليلة المترججة على جبينك ، اتحدى نعومتك وانسيابك البض الثلوج ..

وادور في الحي المتلوي . اطرق الباب في اوج الليل على حسين .. اوقفه ، يرتدي عباة السوداء ، يسير الى جانبي شبه نائم ..

— الا تحس يا حسين صمت هذه المدينة ..

— انت عاشق ! ما اخبارك مع سلمى ..

— انها تشبه بغداد .. تتجمع كلها في غموضها وغنفا المقتنع حول نهر يشق صميمها وتزحف فيه اسرار الوجود كلها .. واصمت برهة ثم اوقفه تحت مصباح ، احدث هدلات لحمة حول فمه المطبق من الازل :

— حسين اريد .. اريد شيئا غير المنشورات ..

— صبرا يا اخي .. اتدري لقد وزعت ، انت وحدك ، اكثر من نصف الكمية .. فمالك تلح هكذا علي ان اعطيك .. اعطيك .. ماذا بك ، اريد ان تحتكر العمل كله . كنا نحسب انك قد افرت طاقتك في سوريا قبل ان تأتي الى هنا !

— لو تدري يا حسين .. ان احدا من جيلنا الموحش لايعذب وجوده بقدر ما يعذب عدمه ، عدمه الازرق في صميمه ، ولهذا فلن تنضب طاقتة ، العدم لايفرغ ابدا .. اواه لكم تشيرني هذه المدينة المشقوقة الصميم بتدريد بارد مخيف ينقل ازل الارض ويزحف به بدون معنى .. بدون قوة تصعد الى الضفاف .

— قريبا تهطل الامطار في الاعالي ، ويهدر النهر ، وتصعد المياه .. تصعد ، تفرق الضفاف ، تفر الشوارع والازقة .. وتفصل نصف الانسان هنا .

— هل سيعم الطوفان ؟

— الطوفان .. الطوفان .. آه ، هذه هي الكلمة الرائعة !

واجبيه وانا اهول بعيدا عنه عائدا الى وحدتي :

— عجاج اخر من المياه .. عجاج اخر ، ليس كذلك ، اواه من يمكنه ان يكون البطل عندئذ : من يطير في العجاج ، او من يسبح في الطوفان !

مازلت انلثم بالنظرة ولحركة المسترربة من يدي ، من جسدي كله  
وانا اجلس على الكرسي الوحيد المتخلع في غرفتي ، وأأمل هذه  
التي احلوك ثوبها ، وانهدل هديها بحمل الفبار والحلم :

— ماذا جاء بك يا سلمى .. اخترقت العجاج، كيف اهتديت الى بيتي ..  
— انك تتحدث دون ان تدري عن كل الاجزاء ، كل التفاصيل التي  
تخص حياتك .. ومن يريد ان يعرفها فلينتبه الى حواشي احاديثك ..  
هوامشها .. عندما تدور .. تدور حول مالا تستطيع ان تعبر عنه ، فتلقي  
بكل الظلال المبعثرة الأخرى حول هذا الشيء المفقود ..  
واختصرت الغرفة واشياها وزواياها العارية بنظرة مهومة ثم فضت  
كيسا ورقيا في يدها :

— اليس لديك طاولة أخرى .. حسنا دعني ! سأنقل هذه الكتب الى  
الارض ، لآباس على مااعتقد ، احمل معي ..  
نقلنا طاولة الكتب الوسخة . مسحت الفبار ، بحثت عن جريدة .  
القتها بمنأى كغطاء جديد مترف .. ثم راحت تنشق الطعام فوقها :  
— جئتكم بعشاء لهذه الليلة .. طبخت هذا بيدي .. ذق ! انه طعام  
بفسدادي اصلي ..  
رحين لم أحر جوابا ، تناولت قطعة من الخبز وحمكتها من لحم السمكة  
الكبيرة التي أتت بها وقالت ضاحكة :

— ساكل معك .. لاتخش هذه السمكة الغريبة .. انها من دجلة ..  
الا تشبه سمك « فرانك » في دير الزور .. لابد ان كل الاسماك متشابهة  
ولكن الصيادين يختلفون .. اليس كذلك ..  
— او بالاحرى للطباخون !..  
وضحكت بجذالة متبشرة بهذه النكتة . فلعلني بدأت افارق جمودي  
قليلا . انها تدبر امرا .. تتبعني بنظرانها الحانية المبهمة .. حنواوبهام  
يفمران طلعتها ، كما عرفتها دائما . وهي منذ تلك الامسية عندما حاولت  
حمائتي أنا وصديقي من جواسيس « السعيد » فرجعت على درب الجامعة  
واختلطت مني العريضة ، منذ تلك المفاجأة المذهلة وهي لاتبرح تزداد حنوا  
وابهاما كلما جمعتنا صدفة لقاء عابر .. الى ان اضطرت اخيرا الى  
الاختفاء بعيدا عن متناول السلطات الشيعوية .. وقد مضى علي شهران  
دون ان اخرج الى النور .. وافلقت الجامعة وحل تموز .. وكان علي ان  
اعود الى سوريا ، ولكني بقيت احيا في ظلام بغداد .. اغوص في غرفة  
منفردة في احد الاحياء الفاصة بالناس . اعرق واتبلد ، وافكر ، والتقي  
بحسن والآخرين .. بينما يخنق النور والهواء في الخارج بالعجاج  
الاصفر الكثيف ..

وتطلعت الى الوجه الاثوي الطافح ثقة عريضة ، كان لونه الشمس  
والخمر ، معتقن برغبة الاستشهاد في نزوة واحدة ، كاملة الحياة والموت .  
وانا الذي حلمت بلحظات لالقي اليها بحمل الصمت في فؤادي ، لم  
ادر ماذا انتقي لها من كلماتي الخطيرة ، وقد جمعتنا هذه الغرفة ، وتوقف  
العالم هناك عى العتبة بزمانه وضجته وعجابه  
واستطعت اخيرا ان اقدفها بسؤالي العتيق :

— لماذا فعلت ذلك ..  
— ماذا فعلت ؟  
— اعني عندما ابيت ان تضمي امضاءك الى العريضة ، ثم رجعت  
واندرتنا برجال السعيد .. وما انت كذلك تقتحمين علي مخباي ههنا ..  
— ربما .. ربما كنت افعل ذلك حبا بالمفامرة .. بعض الناس ، الا  
تعرف ذلك ، مولعون بالطريف والغريب .. ولعلي أنا منهم !..

وضربت بيدي على الطاولة وقمت دون وعي:  
— ليس عملنا هواية يا آنسة .. وان كنت ممن يبحثون عن المفامرات  
فلقد ضللت هدفك تماما ..  
ودون ان يطرف لها هذب تمتمت بهدوء شل غضبتي كلها :  
— لم أقصد هذا .. وانما .. لا لن اقول الان شيئا ، وانما احب ان  
انبهك الى انه قد توجد كذلك مهمات أخرى لها خطورة مهمتك  
— انا اشك ان لك فعلا مهمة ما من هذا النوع .. لقد كنت تعبين  
بالشباب ، تلك كانت لذتك .. انت الهبة ، الهبة مفسدة تضللن الشباب  
عن اهدافهم الحقيقية .  
وقامت الى بعض الكتب ثقلها ، وقالت دون ان ترفع الي بعينيها  
— حدثني عن جميلة بوحيرد .. ألم تكن جميلة جذابة ، ذات كبرياء  
اثوي ، الم تحب ، الم تكن لها نزوات الفتاة .. الم تدخل معركة الموت  
والحياة من اجل رجل ...  
وقاطعتها وقد احتدم غضبي :  
— لا ياآنسة .. لا ابدا ! مثل هذه المرأة لن يمتلكها رجل ابدا .. هي  
وامثالها يصنعن قضية .. انها فوق العواطف ، وان كانت هي الحب كله !  
ومن خلال ابتسامه رائعة تقول بعنوبة شيقة :  
— لا تفضب هكذا يا مجيد .. كل ما احاوله هو ان اوضح لنفسي  
بعض نوازعي الداخلية . انا ما زلت اشك .. اشك في قدرة اي انسان  
ان يكون ما يريد حقا . فهل يكفي مثلا ان اسلك سلوك البطل حتى اكون  
البطل .. حتى اكون جميلة، جميلة بوحيرد ..  
وقلت وكأنني اوجه هذا القول الى نفسي اولا :  
— ينبغي ان تحيي الثورة لكي تكوني الثورة ، لكي تكوني البطل بدون  
ادعاء ولا زيف .. ارتبطي بالثورة ، كوني داخل الجحيم ذاته لكي تقدري  
بعد قيمة الاله والشيطان .. ان ارتباطك بالثورة هو الذي يبرر لك حتى  
اخطاها . واما وانت خارجها ، فلا يحق ان يكون لك ثمة قلق او شك  
واضطراب بشأن البطولة الحقيقية او غيرها .. اننا في النار ، ومن هناك  
لنا صرخاتنا ..  
واجابت وهي تمسح اناملها بمنديلها :  
— ومع ذلك فيجب ان اعترف بانني اذا كنت سارتبط يوما ما بالثورة  
فلا بد ان يجذبني اليها اولا شيء حي .. انسان ما .. هذه مشكلتي يا  
صاحبي فانا لا استطيع ان اؤمن بحقيقة مجردة ، فان كنت اريد الثورة  
فلا بد لي من نائرا اعرفها بواسطته ..  
— لا تقولي هذا يا آنسة سلمى .. انك تبشحن عن رجل .. عن رجل  
وكفسي !  
— قد يكون هذا صحيحا ، بل انه صحيح فعلا ، ولكن لا بد ان يكون  
هذا الرجل هو الثورة ذاتها ..  
قالت ذاك وهي تودعني خارجة من الغرفة على ان تأتي لي بطعام  
في اليوم التالي ..  
— ساراك كل مساء .. سابدا بهذا الواجب الصغير .. ان اطعم شابا  
صغيرا ثوريا ... وبعد سئرى ..! والى اللقاء!..

✱

كان حسين يلرز الغرفة جيئة وذهابا ، بينما راحت سلمى تشغل  
نفسها بجمع بعض الاوراق .. قالت :  
— انك تكتب بشكل رديء جدا يا مجيد .. والرفاق لا بد لهم من  
قاموس خاص لحل رموز حروفك .. ان اوامرك هذه يجب الا تكتب كذلك



بخط ثوري .. أهذا ضروري ؟

ولكن الصمت ما زال مخيما على الغرفة ... وتوقف حسين فجأة :

- يا مجيد ! أعتقد ان ثورة الشعب يجب ان يحققها الجيش دائما ؟  
وضرب مجيد المنضدة بقبضته مرة أخرى :

- اننا نعمل فوق طاقتنا ... تظاهرات ومناشير واجتماعات سرية ..

- وكذلك يفعل الشيوعيون ..

قالت ذلك سلمى بلهجة لا مبالية ، فانقذف مجيد نحوها صائحا :

- ومن اين عمت ذلك .. اهو استاذ الاقتصاد الاشقر .. اهو استاذ الاقتصاد الشعاري الماركسي دعاك الى احدى هذه الاجتماعات ...

فاجابت مصطنعة الهدوء :

- هون عليك يا صاحبي .. ينبغي ان نقدر كذلك منذ الان قوى  
الآخرين .. اننا نهيه لثورة ، ولكن هناك من ينتظر الثورة ليستولي على  
مكاسبها كلها

وتدخل حسين قائلا بثقة عجيبة :

- لا يهمننا هذا ... الشعب معنا ، عندما نحقق له ثورته ، سيعرف  
حينئذ من هم ابطاله الحقيقيون ..

وسمع حينئذ قرع متان على الباب ، وفتح حسين ، فدخل شاب شديد  
السمر والنحولة ، تقدم عيناه بنار دائمة ، التي نظرة على الجميع ثم  
تطلع لحظة الى مجيد ، تلاقت عيناهما ، وهز له الاول برأسه هزة خفيفة .  
التفت مجيد الى الجميع وقال بلهجة رهيبية :

- حسنا ايها السادة .. لقد حلت ساعة الصفر .. سنتلاقى غدا مع  
ضباطنا امام قصور الطفافة .

ولم تفهم سلمى جيدا ماذا يعني هذا الكلام المشحون بالرموز فقالت :

- هل هي مظاهرة جديدة ؟!

وابتسم مجيد :

- نعم ولا .. انها المظاهرة الاخيرة ..

## ٢ - الطوفان

عيناك يا سلمى غاب من النور الاسود ، وأنا افجع من ضاع في غاب  
عينين ، مدينة ... احساس متوحد مصلوب عليه العالم ..

اعتقد انني عفيف متوحش ، وعيناي تحلان الوحشة حيثما وقعنا على  
وجه او قلب او شارع تتكرم فيه كائنات .. من نوع غريب استوري . لا  
نخشي شيئا يا حبيبي .. لا تعيدي اليك ذكرى تلك الظهيرة . لقد طافت  
بغداد فجأة .. خرج الاسود والشعالب معا من اوكار المدينة المخيفة .

كان هناك قتل . كان هناك اعداء لنا يموتون شر ميتة ، لقد بدأ الفل ..  
لا نهولي الامر يا سلمى .. اه .. انلمحين في ذلك بداية الطوفان ..  
وصاح بي ، من اعماق دوامتي ، رفيقي الذي كان يسير الى جانبي على  
الصفة ...

- حذار انك تخوض في الوحول .. الفدارة !.

انه شاعر ، يتأمر دائما ضد الحقيقة .. انه طفل عجيب ، يلقي على  
العالم من طفولته الثرة وبحسب انه يكسب الوجود اديما جديدا حالما  
تتجسد نشوته في قصيدة عذبة حاملة . ولكنه مع ذلك كان يكتشف الرعب  
بطريقة ما ، فتراه يتبهنى الى وحول الصفة ، الى الفدارة ..

ورحت اتحدث بصوت عال

- سلمى يا « عاكف » نحس معنا الرعب ، بل نحسه افجع منا ، انها  
نصرخ بي دائما ... ماذا فعلنا لكي نسيطر على الطوفان .. سلمى بانسه  
لا ندرك فوننا .. نحن ابطال الشعب . لقد ازلنا عدوه الاعظم ، لم يبق الا

ان يهتدي الى طريقه الايجابية الجديدة ..

وسمعت الشاعر يرقص الى جانبي :

- نحن بسطاء .. بسطاء ، ابرياء ، نسكر الفجر على جبين الارض  
فتلتهم الصحاري بكنوز انوارنا الضائعة ..

- ولماذا تصبغ انوارنا يا صاحبي ؟

- لانها انوار .. انوار .. يا للحقيقة العارية ، انها ستظل عذراء رغم  
عقول الفلاسفة كلهم من سقراط الى سارتر ..

وتمتت بخنر مأخوذ :

- لقد اصبحت مخاوف سامي حقيقة . بدأ الرعب يكشف عن وجهه  
الشوه من بين الزوايا والظلال .. رأت اليوم وجها جديدا للطوفان ..  
كانت تسير مع مظاهرة كبرى لتحية الزعيم الاوحد . فسمعت صوتا ينادي  
بحياة عبد الناصر قائد الوحدة ، والمظاهرة كلها تردد النداء ، ثم يصرخ  
صوت اخر : لا زعيم الا كريم ! فاذا بالمظاهرة تردد الشعار .

وصاح الشاعر :

- ولكننا نحن صنعنا الثورة ، نحن قدنا رؤوسنا الى الحتف ، نحن  
هيبنا باعصارنا وبددنا سحب المجاج فوق مدينتنا ومن رثات شعبنا ..

- ولكن حل يا صاحبي الطوفان محل المجاج !.

- الشعب يعرفنا .. فلا خوف ...

- ونحن لا نعرفه بعد .. فلنخف اذن !

- انهم يضلون ، انهم يتأجرون بسداجته ، يزبنون له الجحيم باوهام  
من النعيم .. انهم اعداؤه الحقيقيون

- كفلك سداجة يا هذا ... ينبغي ان نتهم انفسنا ، نحن ابطال !

صحيح . نحن صنعنا الثورة ! نهن هدمنا صرح الطفيان ، ولكن نحن لم  
نعمل على استمرار الثورة فتحولت الى فوضى ، الى طوفان ، نحن كشفنا

## صدر عن دار بيروت للطباعة والنشر

٤٠٠ القومية العربية ترجمة عبد اللطيف شراره

٣٥٠ فن الشعر طبعة جديدة للدكتور احسان عباس

٢٠٠ فن القصة طبعة جديدة للدكتور محمد نجم

٢٠٠ فن المقالة طبعة جديدة للدكتور محمد نجم

٢٥٠ غاندي والمرأة ترجمة بهيج شعبان

٥٠٠ السباحة والغطس تأليف الدكتور زهير الشربجي

٢٥٠ البيت الكبير ترجمة بهيج شعبان

١٥٠ معنى الثورة طبعة جديدة للدكتور جورج حنا

اعدنا الثورة ولكننا لم نهى للمجازر ، ستكون لنا ثورتنا العربية دائما  
وستكون لهم مجزرتهم الحمراء ..  
- انه طوفان احمر يا حبيبي ونحن سنفرق فيه شئنا ام ايينا ..  
- طوفان نعم .. ولكننا سنستعمله لخير هذه الارض ، لابد من تطهير  
طويل ..

- ا يكون التطهير من نصيبنا وحدنا !  
- سننالم اليوم وحدنا ، ولكن غدا سيتالم الشعب معنا .  
لم اكن واثقا مما اقول في البداية . ولكن استرسالني على هذه  
الثرة ، جعل لكلماتي صدى عميقا في نفسي . وبعد ان كنت اكساد  
انفجر حثقا وارتاباكا عاودني صبري وهديني . اننا في قلب الكارثسة  
فلماذا نفر من مواجهتها ؟

و ذات ليلة ، وكانت سلمى قد رجعت الى عاداتها السابقة ، تأتي لسي  
بالطعام كل مساء الى مخبائي الجديد في احد الاحياء الشعبية ، رأت  
عندي رفيقين لا تعرفهما جيدا وان سبق ان التقت باحدهما من قديم  
قبل الثورة ، في مثل هذه المناسبة .

كان احدهما يبعث بقلم على ورقة امامه . انامله للمرة الالف وكانسي  
اراه جديدا . انه شخصية عملاقة ضمن قالب صغير . يمزق حدوده  
ليتنبأ بنظرات صاعقة ، بكلمات حادة جازمة كحد موسى .. وراح يتابع  
دون ان ينظر طويلا الى سامي :

- ماذا قلت يا مجيد .. حسنا ! لقد كانت عقيدتنا دائما هي ان يحرق  
كل قطر عربي ذاته بذاته من الحكم الرجعي والاستعمار .. ولكن ماذا  
نقول عن وحدة النضال العربي . نحن اليوم في القعر .. معزولون  
وحيدون في هذه الواحة الوحشة ، وحولنا القفر والصحاري تفصلنا عن  
رفاقنا .. انهم ينسوننا .. نحن نوحنا ، لوحنا نواجه اكبر عملية  
مكر تحالف فيها جميع الشياطين ، شياطين الارض ، ضلنا ..  
وتدخلت سلمى فجأة بنبرة حادة مرعبة :

- لماذا تطلبون المساعدات دائما .. لقد انتظرت في الثورة الماضية  
حتى قام الجيش بمغامرته الاولى ، دون ان يكون لكم اعدادكم الكامل ..  
ففرقنا بالفوضى ، وضاعت معالم الثورة كانها لم تكن في يوم من الايام ..  
واليوم تنتظرون ثورة اخرى من قبل الجيش او انقاذا من وراء الصحاري .  
حسنا ايها الاصدقاء .. ابشركم : لقد قامت الثورة في الموصل .. وهذا  
جهاز الراديو اتيت به لكي تستمعوا الى هذه المفامرة البطولية .. البطولية  
دون عقل .. دون روية .. ماذا تستطيعون ان تفعلوا لكي تؤيدوا ثورة  
الموصل انتم هنا في بغداد !

واستمعنا الى صوت الشواف ، يدوي في فضاء البلاد .. ومستم  
عبد القادر ، هذه الشخصية العملاقة المحشورة في قالب صغير نحيف :  
- هذا هو الجنون بعينه .. ولكنه الطريق الوحيد لانقاذ البلاد ...  
ينبغي الا نتردد ابدا ، فلنعمل شيئا هنا . ينبغي ان نتحرك بفساد  
بسرعة .. والا ضاعت فرصتهم الاخيرة .. علينا ان ندمع ابطلسال  
الشباب ..

وكان هناك في زاوية بعيدة عن مصباح الطاولة يجلس « فيصل » ..  
انه عملاق كبير ، يسبح وجهه في موجة دائمة من الطيبة والمرح البريء .  
لم يتكلم شيئا منذ زمن . يستمع اليانا لنور في امكنتنا مع اصدااء الصوت  
الناثر من الشمال ، و ارفع صوته الجهوري بعد قليل :

- كنا ننتظر مثل هذه الوثبة ، ولكننا لم نعرف عنها شيئا ، مى واين  
وكيف .. وها نحن نفاجأ .. هذه النزوة الجبارة سائرة نحو الفناء

عن الينابيع ، فجرنا الصخور والقواب ، ولكننا لم نحفر الجرى الواحد  
الحقيقي ففاضت كنوز الينابيع والقلوب وتحولت الى طوفان ، يطفئ  
على كل شيء ، يتبعثر ، وينتشر تدريجيا ، يبدد قواه ، يذيب حجمه  
العظيم ، ويصير اخيرا الى وحول ومستنقعات ، نفرق فيها ببطء العفن ..  
نحن اصحابه !

ونظر الي الشاعر مشدوها :  
- ماذا ؟ تريد من الابطال ان يصبحوا فلاحين .. ان يقسموا الارض  
ويزرعوا الطين ! ..

- الابطال يا صديقي ليسوا هم الهدامين فحسب ، ولكنهم البنائون ..  
والا استحالوا الى قتلة مجرمين .

ودعت الشاعر . دخل الى الجريدة . تابعت طريقتي . لن اكتب هذه  
الليلة حرفا واحدا . لن اوزع اوراقا وكلمات من اعلى . يقول رئيس  
التحرير ان علينا ان نوجه الشعب ، ان نكتب الاف الصفحات . هنالك  
معركة توجيه بيننا وبين المضللين . انهم يفرقون السوق بالصحف ، بالاف  
الكتب والمجلات ، يوزعونها مجانا ياتون بها من جميع عواصم الشر ما وراء  
الحدود . هنالك عقول وعوم ونظم واموال والات جبارة تعمل الى جانبهم .  
ونحن لا نملك .. الا بطولة البراة !

هذه الكلمة .. هل ساسخر منها يوما قريبا . اواه يا الهي ، كيف  
يمكن ان تلغي شخصية شعب بكامله ، كيف يمكن ان يخدر ، ان ينتزع  
منه وجدانه وعقله ، ان يهجن ، يتهم بهويته .. وتشنق د ريته فوق  
راسه !

✱

بلغت غرفتي . كانت سلمى تلهث من نشيج طويل :  
- اتيت اخيرا .. هذا فظيع . لن استطيع ان احدثك .. اواه يا ربي!  
قل لي اين تخبأ هؤلاء السفاحون .. انهم يهود ، نازيون ، تتر .. لقد  
رايتهم بعيني .. الطلاب .. رفاق حسين

- ماذا حدث .. ماذا حدث .. ماذا فعلوا بحسين ، قل لي ..  
- سحلوه يا مجيد ، قالوا عنه انه جاسوس ناصري ، تالبوا عليه من  
كل جانب في اروقة الجامعة ربطوا عنقه بالحبل وجروه الى الخارج ، الى  
الشوارع .. والناس ، الناس الطيبون ، الذين طالما احببت وجوهمهم  
السمراء وبسمانهم العذبة ... هؤلاء من تسميهم الشعب ، كانوا يعصفون  
ويهجون ويعدون وراء القليل ..  
وتهاويت على السرير .. لقد بدأ الطوفان حقا .. بدأنا نفصوص  
والوحوول ستبتلع فجرنا الوليد .

وقامت الي شرسة مجنونة ، تهزني بعنف منعظم :  
- اخبرني ماذا ستفعلون ، ايها الابطال .. هيا ناد عبد الناصر ، ناد  
الرفاق من الجمهورية ، من كل انحاء الوطن العربي .. الواحد ..  
الواحد هاها! انهم سيفترسوننا واحدا بعد واحد ، وفي كل مرة ستكون وليمة عظيمة  
للشعب . لم يعودا يفرقون بيننا وبين اعوان العهد البائد .. انها  
مصيدة كبيرة .. لقد اصبحنا خونة ، لاننا ننادي بالوحدة .. اصبحنا  
مخترمين ، لاننا نقول ليس هناك عراقي وسوري ومصري .. ليس هنالك  
الا زعيم لاهرب واحد .. ليس للمركبة الا قائد واحد .. قل لي كيف  
ستقابل القتلة .. ينبغي ان نرد القتل بالقتل .. لم يبق الا طريق  
الدم ، طريق الدم .. اواه .. اواه يا حبيبي ماذا فعل بنا الوحوش ؟ ..  
- لن نكون وحوشا مثلهم ، لن ننفذ لهم كامل خطتهم . لقد رموا بنا  
الى الغاب ولكننا سنغني غابهم بانسانيتنا . لن يدفعونا الى القتل ، نحن

قريبا .. وستنقلب مصيدة لنا .. ولكل الإبطال ، انها مناسبة لتدميرنا الى الابد فلنحناذر ..

وطرق الباب شاب اخر ، اقتحم الغرفة صائحا دون ان يتمهل حتى يرى الوجوه الجامدة المتعلقة بشفتيه :

- هيا .. ماذا تفعلون هنا .. الشباب في غليان مريع .. ينتظرون فراركم .. بفداد فارغة ، بفداد تنتظر ، ستشور مع من يشور ، ستصفق للمتضرر .. الطواغيت تقهقروا الى جحورهم .. ولكن هذا لن يدوم. ان اذاعة بفداد تخلق الرعب والبلبة في نفوس قادة الجيش والشعب انها تنذر وتتوعد ، تشن حرب دعاية مريعة . الناس حول المذيع في كل مكان .. لابد من حركة صغيرة اولا ثم تعم بفداد بسرعة النار في الهشيم. لنحتل الشوارع الرئيسية ، لنخرج من بيوتنا ، هدفنا اولا دار الاذاعة .. لابد من قرار سريع .. هيا لاتضيعوا الوقت ..

وصاحت سامي :

- الليلة سيتقرر مصير البلاد لامة طويل ..

وتتم عبد القادر :

- المظاهرة ستكون انتحارا ساذجا ان لم تتحرك الجماهير ..

واجبته :

- الجماهير تنتظر قائدا مقدما .. علينا ان نفعل كل ما بوسعنا .. وان كنا موافقين باننا نسير الى حتفنا بظلفنا ..

ونظر الي العملاق فيصل وهو يهم بالخروج :

- لقد اتخذت قراري .. لم تكن انتصارات الشعوب نتيجة تفكير بارد في قوى الدفاع وقوى العدو .. اننا نتيج لانفسنا الان فرصة ان نعرف من نحن فعلا . نحن لانحب الموت ، ولكننا ندرك تماما ما قيمة الحياة بدون موت حقيقي .

واتمت سلمى قائدة :

- كنا نتناقش قبل قليل في عزلتنا .. ان البطل معزول ، ولو كان بين جيش من الإبطال يحيطون به من كل جانب .. البطل معناه اليأس من الآخرين ، من كل القوى الا قوته هو .. ان عبد الناصر والرفاعي الآخرين وراء الصحاري ينتظرون بطولتنا الخاصة كما فعلوا هم من قبل في دمشق .. وفي القاهرة .. علينا ان نعرف من نحن حقا .. هذه فرصتنا ...

وقفنا جميعا ، لم نقل شيئا ، كان علينا ان نتجه نحو الباب ، وان ننغم في ظلام الشوارع الموحشة .. وان نملأ بفداد الموحشة المقفرة .

٣ - أنياب الآلهة

لم يكن يفريك يا حبيبتى ما يفري الصبايا في مثل سنك .. لقد كان المساء أبلج الجبين ، وكذلك احاطوا بك من كل جانب ، وكذلك نظرت الى بقية الضوء على جبين السماء . ولكنهم انتهروك فلقد كنت رافعة الرأس ، بينما كان الآخرون يقنعون وجوههم بعتمة نصف الظل ، يكومون رؤوسهم بين اكتافهم ، ينظرون الى الارض .

لقد خدعنا في الماضي منك كبرياء العزة ، والنظرة الشذراء ، ولفته الكتف المتعالية في زوايا الطلاب ، والبسمة الغاضبة ، وقد شنت على بياضها ألوان رغباتهم السوداء . ما كنت عابثة ، ولكنك تطلعت الى اعماق فسخرت من كل شيء موجود . من معاني حياتنا اليومية ، ومن برنامج اماننا الزاحفة ، ومن تطلع ذليل نحو مثل لانعرفه . كنت تبحثين عنك . وكنا نبحت عننا ..

وكان لكل منا درب من السطح ، من جانب ، من زاوية مسروقه من

نور الشمس . ونهرب من الفضيحة . ننكس على صرخاتنا الصغيرة ، نكبث فيها روح الالم الحقيقي . كنا جنباء دون الالم الحقيقي ، واعظم من ان نرقص في حلبات القرح الفارغة .

وانت تدورين بعيونك ، غابة النور الاسود ، بين اشباحنا ، فلا تثبت على جسد قائم .. كنا نتهاول .. ولا بد ان الحب الذي ادعاه بعضنا ، النضال الذي تجمل به بعضنا ، الثورة التي تاججت من ندائنا ، من شعاراتنا ، ومن لهبة عارمة في زوايانا الطفولية ، لم تكن اكثر من مناسبة للامل .. وانت عرفت كيف تكتشفين ، في العديد منا ، جرحنا المستور ، هذا النزيف نحو داخل ..

هيهات ياسلمى ان نحقق البطل ، ونحن على هذا القدر من الثقة بانني بطل ، وبانه بطل ..

كان اعصار الغضب ، الحقن ، كانت الغابة السوداء من الضوء الاسود تلتهم في جوهر العيون الصارخة عندما سالوك :

- اهذا خطيبك ؟

- نعم .. هذا بطني .!

وجمعت نظراتك علي . كنت اتركى على فيودي . كان القبو ممتلئا . وانفاس رجال بلا وجوه تقدر الهواء وسمعت قلبي وحده يقدم ايقاعا خافتا لهذا الصمت .

دعي عنك هذه النظرات ياسلمى . انني مازلت اتركى على فيودي . وتأرجح في المسافة الضوئية بيننا ذلك الطافية الطويل النحيل ، وتقدم مني ، كان عودا أجوف ، دودة طويلة تصل بين السقف والارض .

- يامجيد .. عثرنا عليها اخيرا ..

وصاحت هي من هناك ، من الضوء الاسود في عينيها :

- وماذا في ذلك .. لن تاخذوا منه كلمة واحدة ..

وقبض عليها طاغوتان ، دفعا الطويل من شعرها مسافة قدمين او اكثر. علقها . اسقطها فجأة . لم يقس عليها بعد . رفسها الى الارض ، انكبت على وجهها . جلس على ظهرها . كان يضغط نهودها بالارض ، بالحجر البارد . ادارها . ما زالت العيون تشع بالضوء الاسود .

اتجه نحوي ، تعلق فوقى ، وراح يهتز بفجاجة وبدق .. دودة :

- ستتكلم .. ستتكلم .. اين رجولتك ، أنتحب تعذيب النساء ...

وسمعت لهجة قاصفة من هناك ، من البقعة من الحجر التي تكومت فوقها :

- لم اعد امرأة .. نحن سجناء جميعا وكفى .!

وقامت وقفة واحدة ، واندفعت الي ، حنت عينيها علي ..

قالت هامة :

- مجيد .. لم يقبضوا علي . انا استسلمت لهم ، جئت لارى الرجال .. كيف هم الرجال الصامدون ، اذا ما عذبت نساؤهم امامهم !!

ورفعها احدهم من شعرها ثانية ، وقذف بها الى الزاوية المقابلة لي ، وسمعت ارتطام اللحم بالحجر والظلمة ..

وعندما اعادوني ، لم يرجعوني الى زفاتي الاصلية المفردة ، بل حشرت مع آخرين في زنزانة اكبر . وما ان اعتادت عيوني ظلمة المكان حتى عرفت وجهين احاطا بي ، عبد القادر وفيصل .. وكان هناك شبح ثالث قد اتكا براسه على الحائط ويبدو انه كان نائما ، انه عاكف . انهم بارعون ، هؤلاء الذين درسوا فلسفة التعذيب على اساطين اعداء البشرية .. في الشمال ، في البلاد الباردة ، حيث حنطت القلوب فى الثلوج الابدية . لن اكون لوحدي ، سيعيش رجال آخرون تعذيبية طيلة هذه الليلة ، لقد دخلت مسرحية الالمان فصلا جديدا ، فلم لا يكون الآخرون

القبو وحشته الاولى ، منذ ان كان تجويفا مدلهما في اعماق التراب  
الكثيف .

✱

قبض عاكف على قضبان النافذة . مشدودا كوتر اخرس . وظل  
فيصل مستندا بظهره الكبير الى الحائط . كان يضغط شيئا ما في  
عروقه يكاد ينفجر به وبالعالم حوله . وكان عبد القادر قابضا على  
راسه بكلتا يديه ، يحاول ان يشل دماغه عن التفكير . واما مجيد فقد  
بقي هادئا ، لا يستطيع الجلوس ، ولكن استمر شاخصا الى نقطة ما  
في الفضاء المظلم حولهم ، يحاول ان يتابع الصدى ان يتسلك نبراته  
المنقطعة بحركة معاكسة لترداده ، وان يتحد بينبوع مصدره .

كان ذاك صراخا مريعا ، يتعالى من شق في هذه الارض ، ليس بعيدا  
عن مكن الرجال . وكان ذلك يتصاعد من لحم سلمي ، فلقد اصبح لكل  
عرق فيها صرخة خاصة ذات نبرة بالم جديد .

وسمعت فيصل يردد ثانية :

— سلمي تصمد .. سلمي تصمد ، لو وقفوا عند هذا .. الحد .  
لو اكنفوا بتعذيب جسدها .. ونحن نصمد كذلك ..

سلمي تصمد لو!

سلمي تصمد لو!

ونحن نصمد معها كذلك .. لو !

واندفع عبد القادر اليه فجأة مقربا وجهه من لهائه وراح يهزه من  
منكبيه :

— فيصل .. نحن نصمد ، نحن الذين نصمد وحدنا .. واما هي .

— التتمة على الصفحة ١٠٨ —

## مجموعة راث العرب

٢٦٠٠٠	اسان العرب مجموعة كاملة ٦٥ جزءا
٨٠٠٠	معجم البلدان مجموعة كاملة ٢٠ جزءا
٨٠٠٠	الطبقات الكبرى مجموعة كاملة ٣٢ جزءا
٣٦٠٠	رسائل اخوان الصفاء مجموعة كاملة ١٢ جزءا
٦٠٠	البخلاء للجاحظ
٧٥٠	مقامات الحريري
١٢٠٠	مصارع العشاق جزءان
٢٥٠	تاريخ الائمة الاثني عشر
٦٠٠	مجمع البحرين لليازجي
٧٥٠	تاريخ ولاه مصر للكندي
٥٠٠	مشارك انوار القلوب
٠٠٠	رحلة ابن جبير

دار صادر — دار بيروت

قرب عيني ، لصق انفاسي ، يحاوروني ، يفتضحوني عند ذاتي .  
ولكن يبدو ان المعركة كانت محتدمة من قبل قدمي .. راح عبد  
القادر يمس جبين الشاعر قائلا بلهجة لم ادرك انها ساخرة مرضية  
الا متاخرا :

— حسنا يا صاح ، لا تبتئس هكذا ، لا تجعلهم يشعرون انك مريض  
حقا .. انهم يتربصون لنا ، يتابعون شقاءنا ، يحصون علينا كل آهنة  
جديدة .. هذا اوان التحدي الاكبر . اما كنت تحسن ظنا بالانسانية ؟  
نحن اطفال ! نحن ابرياء بسطاء ..! نريد الحرية لشعبنا ، فهل لهذه  
الدعوة يشقوننا ، يعذبوننا ، يشحنون انيابهم على عظامنا .

ويتمتع الشاعر من وهده :

— شعبنا عظيم .. لن يتركهم يشوهون حريتنا . نحن اذانتهم  
الكبرى ..

ورفع راسه واتجه اليها :

— آه .. لم اكن اعلم انهم انو بك يامجيد انت الآخر ..

ولكنه تابع ما كان يريد ان يقوله دون ان يعبا بي كثيرا :

— اتعلمون يااصحابي ؟ لقد ادركت اخيرا انه بقدر ماكون مبادئ الانسان  
بسيطة حقيقية يقدر ما تقوم عقبات العالم كلها دونها .. ان يتحرر  
شعب ، ان يتوحد شعب ، ان يقيم العدالة بين افراده .. ما ابسط هذه  
الافكار ..

ويصيح عبد القادر مقاطعا :

— ولكن لماذا تحققت هذه الاهداف البسيطة دون تلك العقبات فسي

مصر وسوريا ..

ويجب فيصل من صدره الضخم :

— لقد كانت لهم عقباتهم هناك كذلك ..

ويتابع عبد القادر صرخته :

— ولكن لماذا هنا .. هنا بالذات في العراق .. تقوم كل الشرور في

وجهنا ؟...

وقمت من مكاني وقد اكتشفت لنفسي تمة حقيقيتي لهذه الليلة :

— هذا لان العراق كان دائما بالنسبة للامة العربية عقدة الحياة او

الموت .. فيه حريتها الكبرى وعقبتها الكبرى .. هنا النصفية الكاملة

لكلا الطرفين معا .. محك لامكانية الانبعاث لدى الامة ، وقضاء نهائسي

على الشرور المزمنة المحيطة بالامة .. كان على عرب الاسلام الاولين ان

يخلصوا العراق من الفرس لكي تقوم دولتهم فعلا ، وحين سقطت بغداد

بايدي الشعوبيين من حكام بني العباس انهارت وحدة الامة ، وحين

غمر التتر وجه بغداد العربي انتهت حضارة اخرى للعرب بكاملها ...

وهذه هي التجربة الثانية .. العراق يقوم ثانية بدوره .. فما هي قوى

الانبعاث ، ما حقيقتها لدى جيل الوحدة والحرية .. هذا هو المحك

الذي يجابهها اليوم في انتكاسات العراق .. في بحرانه وعذابه وتاريخه

المضني الشاق !.. ان الامة تتحدى بنا مصيرها .

وبيشر غامر رشيق اندفعت الكلمات من فم عاكف وحركانه البريئة

الطفولية :

— الم اقل لكم . الى اقل اننا بسطاء .. ولذلك تشرق علينا الحقيقة

مباشرة . مجيد يتكلم بروحنا جميعا ..

ولكني قلت وانا اجلس القرفصاء على الارض العاديه :

— بغي امر ايها الرفاق .. لقد انوا بسلمي هذه الليلة ..

وارتمى كل واحد في مكانه . وساد السكون فجأة . وعادت السى

# سلمى

— تنمة المنشور على الصفحة ٤٠ —

واما هي فلقد استشهدت ، استشهدت وانتهت ..  
واندلعت صرخة اخرى شيطانية تخر لها آلهة الوحشة ، وحشة  
الارض والعالم قبل الإنسان ، قبل سوط انسان ولحم انسان تحت  
السوط .

تشبث بي عاكف ، بحث عن عيني ، وقف هناك :  
— صديقي .. وددت لواكون مكانك .. ولكنني ساقول لك كيف تبدو  
لي هذه الازمة .. ازمنا جميعا .. سلمى تتحول تدريجيا يا صديقي  
من مجرد انسان عادي عابر ، الى رمز .. ارى من خلاله الامة بكاملها  
.. انها تحتل كل ذنوب اعدائها لكي تدفع بنا وبامثالنا الى خلق مصيرها  
الحقيقي .. سلمى لم تعد حبيبتك وحدها ، لم تعد فتاة سمراء مناضلة  
من اعماق العراق البائس .. سلمى تصنع لنا معجزتنا .. سلمى ..  
وصرخ عبد القادر :

— اصمت ايها الثرثار .. دعنا نصفي بصمت اليها وحدها ...  
وكانت آهتها .. تتجاوب اصداؤها في انحاء القلوب كله ، لم تكن تضعف ،  
ولكنها تشتد وتتفجح . ليست عذبا . انها تحد ، تحد كامل ، للوحوش  
كل الوحوش ، انى اختبأوا في انحاء الارض .. الوحوش الذين يحفرون  
التراب تحت الانسان ، يحيلون ارضه كلها الى قبور مستترة ببراقع



الديانات الحديثة ، المبادئ الحمراء .. هذا التهجين السعور لكل  
الحقائق البسيطة في ضمائر البشرية .  
ودوت الصرخة والصرخة والصرخة . والرجال محشورون وغضبهم  
في جحر تحت التراب الكثيف الرطب .  
وراحت كلمات رتيبة عارية من اي معنى ، تنصب من فم عبد القادر  
وهو مطرق الى الارض :

— كفى .. كفى .. كفى . يضربون البسالة المكبل .. كفى بحق  
الايالسة . يحاصرون الجسد النحيل الخمري .. كفى .. كفى ! ما  
هذه السعادة الشيطانية التي تفرم الجلادين وقت الذبح ..  
ويقول فيصل :

— الجسد هو الذي يصيح .. واما هي .. سلمى فالامها بسدون  
صوت ..  
وانتفت الي :

— مجيد هل تعتقد بانها في حاجة اليها هذه الساعة .. هل يمكن  
ان تغفر لنا فيما بعد ..  
— اوه .. هذا وقت لا غفران فيه ولا اله له .. وقت قفر من  
القيم .. من الآخرين . الالهة الصرخة المندلعة من اعماق الاقبيبة لكسان  
جديد ، يتحدث بلغة لا قاموس لها .. سلمى الان لا شيء ..  
واندلق الشاعر بعاطفة لزجة :

— ماذا تقول ! اجننت ، سلمى لا شيء ؟  
— نعم ايها الاحمق ..! انها لا شيء .. هل تستطيع انت مثلا ان  
تقول عنها اية صفة الان ، لفظة ، اية قيمة مما اعتاد انساننا الحقيقير  
ببسالة ، الحالم بجراة اللص يسترق السعادات التافهة من كسوى  
السماء المطبقة عالية كقبة من الرصاص المبرقش بلمعات باردة .. هي  
كل نوافذ حلمه الجبان ..

وغلفت السذاجة الواهمة سيل كلماته :  
— اتعني انها انسان جديد .. اتكون هي العالم المجهول الذي نناضل  
من اجل .. آه .. احسب انها غفراء مسيحية اخرى .. انها كنيسة  
التضحية الكاملة .. ترى كيف سيكون اتباعها .. من هم العبيد الجدد  
لديانة الجديدة ..

وقبل ان اجيب هذا الصوت قليلا ، ثم سمعنا خبط اقدام على حجر  
الامر الضيق . فتح الباب . امتدت يد . جذبتني من قميصي . جررت  
في المرات .

قذفت اليد بي الى وسط غرفة . نظرت حولي ، فاذا بي محاصر من  
الطواغيت وقد تحلقوا حولي ، واسقطوا الضوء على وجهي اينما حولت  
وجهي ولكنني كنت ارى اشباح قلماتهم ، وبريق عيونهم ، ولعسان  
اسنان بعضهم .. تقدم مني احدهم ، اطل علي بوجه دائري معمم (اللامع .  
ولكن كانت له شفتان غليظتان تتحركان باستمرار  
ولما وعيت على كلامه كان قد قطع شاوا عظيما في عنقه :

— سنشوه وجهها نسمع ، سنشوه وجهها ، حاول ان تتصور اللحم  
الاحمر الممزق المكوم في جهات ، السائل من جهات اخرى .. في وجه  
زوجتك .. زوجة المستقبل .. واذا لم ترجع عن عنادك انت واصحابك  
سوف نحيلها الى .. انت تعلم طبعاً ، لدينا رجال كثر هنا بدون نساء ..  
— وماذا تريدون منا ؟

- ان تعترفوا بانكم حاولتم قتل الزعيم .. وانكم مدفوعون من قبل  
الجمهورية العربية المتحدة ..

- حسنا ! واذا فعلنا هل سيصدقكم الشعب ، هل سيصدقكم العالم  
الذي يتداول اخبار وحشيتكم كاساطير القرون المظلمة ..

- نحن نعلم ماذا نفعل .. نحن شيوعيون ، نحن مثقفون .. نحن  
سنقود العالم .. ولو اقتضى الامر ان يموت نصف العالم ... نحن  
علماء سنزرع البشر ونولد المجتمعات كما نريد .. الافراد لا قيمة لهم ..  
العالم .. العالم هو هدفنا ..  
وصحت به :

- اذن تق يا صديقي انكم قبل ان تخرجوا الى العالم ستنالون  
حتفكم هنا في الصحراء .. وبإيد سمراء عربية .. الامة العربية هي التي  
قدر لها ان تفصح زيف العالم .. وانتم اكبر مهرجي الزيف .. لقد  
جرتكم حماقتكم الى ارضنا هذه .. وهنا تحت شمسنا اللاهبة  
ستتبخر الجمودية التي زحفت بها من الشمال .. وبعد فالعالم سيعرف  
ان العرب قد كشفوا قناعكم الاخير ، فاذا بكم ورنه الاستعمار بافزع  
ادوات الاستعمار .. القتل الجماعي .. الابادة القومية الكاملة ...

وصاح صوت :

- لا تقربوه . ستنال حبيته نصيبه ..

وصاح صوت اخر :

- لآخر مرة قل انكم قتلتم باسم عبد الناصر ..

- عبد الناصر لا يتأمر .. عبد الناصر ونحن لا نتأمر ضد الحشرات ..  
اننا نسحقها بنعالنا سحقا . ليس القتل من شريعتنا ايها الجلادون ..  
ان زعيمكم مقتول كل لحظة ، وانتم ميتون كل لحظة .. ولا حاجة للابطال  
ان يدنسوا سيوفهم بدمائكم السوداء ..

- سنشوه وجه حبيبتك .. سنهرق ( الشرف العربي ) .. سنلقي بها  
الى الرجال ..

- افعدوا بجسد سلمى ما تشاؤون .. واما سلمى الحقيقية فقد تحررت  
من اغلالكم .. خرجت من حمة دمائكم السوداء .. انها الان تسكن في  
كل قلب عربي .. فلن تناولوا منها شيئا بعد اليوم ..  
وصاح صوت :

- انت مثالي اجوف .. نحن نعذب جسد حبيبتك ، نشوه وجه  
حبيبتك ، نستبيح عرض حبيبتك .. أنفهم .. أنفهم ..  
- نعم انني افهم .. افهم امرا واحد .. انكم لا تفعلون ذلك بها الا لان  
سلمى لم تعد بين ايديكم ..

✱

حذار يا صديقي يا مجيد ، انك تحتك بالاحجار الكالحة اكثر مما  
ينبغي . انها تمتص منك حرارتك . ستصبح حجرا عما قريب . والفجر  
لن يطلع بعد هذا المساء ، انه معلق في اعلى القبة الرصاصية . لن  
يهبط على الارض . لقدعم الدنس الارض . والهوام بدون قوام وشكل ،  
نفرت من الثقوب ، وملأت اديم البساتين والشوارع . وعششت في لحى  
الرجال وشواربهم . وفيصل العملاق بالقرب منك ما زال يزحم الجدار  
بمنكبيه المريض دون جدوى . والشاعر ذاهل كمادته . انه يبني  
جناحا من طين هذه المرة . وعبد القادر يظل ينتفض كقالب حي دائما

ولو في جوف هذا الصدر .. القبو الاسود الصقيعي ،  
وسلمى لم تعد تتابع الصرخات . لقد تلاشى صدى اخر صرخاتها  
من زمن طويل . ان الليل يضم الان آفاق الصدى . ينقله الى جوانب  
القبة الرصاصية . حيث سيظل هناك يرن يرن .. ثم يتهاوى ثانية  
الى الارض ، موطن الهه الحقيقي .

وعندما راح يشرق مطلع النور الرمادي على كوات السجن ، كان فيصل  
يهز الشاعر :

- عاكف .. عاكف .. ماذا عراك .. قم يا اخي .. اغلق عينيك  
... يا الله .. ما هذه الصفرة .

وعندما فتح السجان باب الزنزانة خرج ركب من نوع غريب . كان  
هناك في المقدمة عملاق ، يرتدي قميصا ممزقا عن نصف صدره وظهره .  
وكان ورائه شابان يوقعان على حجر المر خطوات متمهلة عميقة ..  
كان على ذراعي العملاق مسجى الشاب النحيل ..  
كان الشاعر على يدي العملاق .

كانت عيون الطواغيت خلف الجدران السميكة تتسلح بالظلمة والحجر .  
ومع ذلك كانت تشهد ركب الشاعر الميت مع طلائع النور الرمادي في  
الفجر .

كان الشاعر على يدي العملاق .. ووهج النور الرمادي يطبق على  
المرات الضيقة شيئا فشيئا .

مطاع صفدي

دمشق

## مجموعة ديوان العرب

١٠٠٠	ديوان المتنبي
٥٠٠	ديوان ابن الفارض
٤٠٠	ديوان عبيد بن الأبرص
٤٠٠	ديوان امرئ القيس
٥٠٠	ديوان عنترة
٦٠٠	ديوان عبيد الله من قيس الرقيات
٣٠٠	شرح المعلقات السبع
٦٠٠	سقط الزند لابي العلاء
٧٠٠	ديوان ابي فراس الحمداني
٣٥٠	ديوان عامر بن الطفيل
٣٥٠	ديوان الخنساء

دار صادر - دار بيروت

# الحقد والفولاذ

من رسائل جميلة ( \* )

الليل ، والغربان ، في بيتي  
يا فعوان الحقد ، يا صمتي  
تخنقني اصابع ، أطبقت  
وامتصنتي الدهول ، من بردي  
وفارت الديدان ، محمولة  
حولي ، ونزى الفتن في لحدي  
وعالم ، يشحد فولاذه  
ما هزه حس ، من الوجد  
يا فعوان الحقد ، يا صمتي  
تأكلني مقتا ، على مقت  
لعابك المر ، تجرعه  
مغمسا ، بالدمع والسهد  
جميلة ، خرساء زنزانة  
ومعصم ، في بارد القيد  
تغلغل المسمار ، في كفها  
واختلجت ، في سكرة الموت  
يا فعوان الحقد ، يا صمتي

\*

الليل ، والغربان ، في دربي  
ورقصة الاشباح ، والرعب  
والف ذكرى ، أجهشت ، والتوى  
حس ، رهيف النصل ، في قلبي  
تغلغل المسمار ، يا بغضي  
يا لهبا أصفر ، في أرضي  
أيقظ فحيح الجمر ، يا أكلا  
من عصبي ، القوت ، ومن نبضي  
يا فعوان الحقد ، يا صمتي  
يا غارقا ، في لجك الزيتي  
وانسج خيوط السم ، مقصودة  
زرقا ، وخيط كفن الحب  
وكن الها ، في كهوف اللظى

\* رسائل من جميلة مجموعة قصائد من ديوان يعد للنشر بعنوان «أبيات ريفية».

كن مارد الاهواء ؟ كن ربي  
تغلغل المسمار ، في قلبي  
ولوئنتني ريشة الموت  
يا فعوان الحقد ، يا صمتي

\*

الليل ، والغربان ، في سجلي  
وصحوة الفناء ، في جفني  
يا عنكبوت الحقد ، عشعش هنا  
في هوة السرداب ، في الفتن  
تضحكني الجدران ، مقرورة  
صخرية ، سوداء ، كاليأس  
تقبع ، في أنين أبوابها  
لم تغتسل ، في مولد الشمس  
تضحكني الجدران ، كم رحلة  
لي أوغلت ، مع الدرى السمر  
في معصمي القيد ، وفي جبهتي  
ما يرفع الشموخ ، من كبر  
أنا ارتحال ، أبدي الهوى  
من فرحة ، يمضي ، ومن لون  
لم احترق ، في حماة الضغن  
ولن يعيش الحقد ، في حزني  
تغلغل المسمار ، في قلبي  
ففجروا صبحا ، بشريانه ،  
وانسل خيط ، من دم الشعب  
جميلة ، في خرس صلبانهم  
ضحية الانسان ، والحب  
وباركتها رحمة الموت  
يا عنكبوت الحقد ، يا صمتي

\*

لينفخوا ، في جيف ، مجدهم  
وليخرجوه ، رمما ، من قبور  
ليشحدوا ، صقع فولاذهم

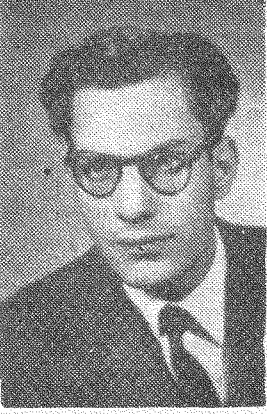
لا رعشة ، لا خلجة من شعور  
أختي ، ببغداد ، يجر ونها  
جامدة العينين ، مذبوحه  
أختي ، على الاشجار ، عريانة  
وفي رصيف القدر ، مطروحه  
رعاع بغداد ، ودهماؤها  
في بركة الدماء ، مجنونه  
وينصب الجلال ، أعواده  
ويغمد السفاح ، سكينه  
أختي ، تشدد الجرح ، مهزومه  
قد خلقت « يافا » وشطآنها  
وغادرت حقلا ، من البرتقال  
تدفن ، في الظلام ، أجفانها  
مد شيعت ، في « صفد » كرمه  
وهوئمت ، تبحث عن خيمه  
والسل ، يمتص صدور الرجال

\*

تأوه الفولاذ ؟ يا جوعه  
يا عريه ، يا فقره ، من غرور !!  
أختي ، على « الاوراس » بين الصخور  
تزرع قلب الموت ، نارا ونور  
أختي يدان انهدنا ؟ فانفرط  
يا قيد ، واقلع يا جناح النسور  
يد على الجرح ، وأخرى على  
زنادها ؟ أختي حطام يثور  
في معصمي القيد ، وفي جبهتي  
ما يضفر النصر ، من الورد  
وأخوتي ، صرخاتهم حركت  
ما في ضمير الشعب ، من وقد  
ليشحدوا الفولاذ ؟ لن يطفئوا  
توهج الحياة ، في صوتي  
جزائرية ، وفي قبضتي  
تمرد البعث ، على الموت

عبد الباسط الصوفي

حمص



# معنى الأرب عند سلامه موسى

نقدم عالمي ساري

الاديب اثناء انتاجه هذا العمل الفني ، و « النص » وحده ، هو الفنان والظروف والحكم جميعا . ولا دخل للنقاد - في رأيهم ايضا - بمواقفه الذاتية ، ولكي يصبح موضوعا امينا يجب ان يتجرد عن ذاته واهوائه .

★

وسارت المدرستان زمنا ، في خطين متوازيين ، غير انهما تقاربا حينما ، واختلفا احيانا . وتولد عن هذا التقارب والاختلاف مدرسة وسطية جديدة ، اتخذت لنفسها خطا ثالثا يجمع بين النقيضين . (١)  
وما ان بدأت العلوم الحديثة تزحف اليها ، حتى تعددت المدارس والاتجاهات . وتنازل بعض من رواد المذاهب القديمة عن موازينهم ، وآثروا مسيرة التقدم . فكان منهم من تعلق باهداب علم النفس وراح يفسر العمل الفني بروح فرويد وغيره من علماء السيكلوجيا . ومنهم من استنار بعلم الاجتماع في الكشف عن الحقيقة الاجتماعية للنص الادبي . ومنهم من اكتفى بتسجيل انطباعاته الشخصية وحدها ، لانها - في رايه - المقياس الوحيد الصادق . ومنهم من اتبع منهجا تاريخيا في النظر الى انتاج الاديب .

وهكذا اضطرب المحيط الادبي في مصر ، بموجات نقدية ، مضت في خطوط امامية مستقيمة ، لا تقبل التقاء مع خطوط اخرى .

ولم يكن عيب هذه المدارس جميعا ، الا انها لم تكتشف همزات الوصل الموضوعية بين مناهجها . واحساسها بهذه الانفصالية هو صورة لما كان عليه مجتمعنا وتفكيرنا . لان حقيقة الامر ان هناك ترابطا وثيقا بين الاتجاهات الادبية المختلفة ، ما دامت تعبر عن مجتمع واحد .

غير ان هذا الترابط ، ما كان يفهم ، حسب نظرة ميكانيكية للامور ، اي اننا لا نقصد بما نسميه الصلة الوثيقة بين المدارس المتباينة ، انه يمكن الجمع بينها في طبق واحد . وانما استهدف القول : بان رؤية هذه الصلة الموضوعية ، كانت في حاجة الى منهج علمي متكامل .

وعندما صدر كتاب سلامه موسى عن الادب الانجليزي الحديث ، لمحا السمات الاولى لهذا المنهج . لم يكن تخطيطا نظريا ، وانما كان تطبيقا على لون من الادب الاوربي ، يمكن القول بانها عانت « التطور » الذي رسمه سلامه وفق منهجه الجديد .

ولم يكن غريبا ، ان يقابل هذا الكتاب - بما ينطوي عليه من منهج يفاير المناهج السائدة - بالتجاهل المطلق من جانب النقاد ، وبالتغافل

(١) راجع في هذا الموضوع « الأسس الفنية للنقد الادبي » للدكتور

عبد الحميد يونس .

حين صدر كتاب « الادب الانجليزي الحديث » لسلامه موسى عام ١٩٢٣ ، كان تاريخنا الادبي قد اذن بصفحة جديدة في تراثنا النقدي المعاصر .

ولو وعينا الخطوط الرئيسية التي انتظمت الحركة النقدية في الادب العربي عند بداية الربع الثاني لهذا القرن .. لاكتشفنا انهما خطنان يتيمان غالبا على وجدان ادبائنا في محاولاتهم المتعثرة ، لايجاد ميزان تقويمي سليم .

اما الخط الاول ، فهو المدرسة السلفية ، التي ارتاحت الى احكام التقاليد والدين ؛ فيما يأتيه البشر - ومنهم الادباء - من اعمال واستمد اقطاب هذا الاتجاه موازينهم من بلاغة القرآن والاحاديث والكتب القديمة ، واستلهموا بنائها الفني في تطبيق اسسه على ما ينشره الادباء المحدثون على الناس . ولم يعتبر بناء هذه المدرسة في ارسائهم قواعد الفنون ، الا بجودة السبك والاسلوب المطهر ، من حيث القالب والاطار .. وبتعاليم الدين وامثال السلف ، من حيث المضمون والمحتوى .

ولم يكن رواد هذا المذهب ، الا تعبرا صادقا ، عن طبيعة المجتمع الاقطاعي الذي عايشوه . وما نظرتهم الخلفية الى اشكال الادب القديم ، الا احساس مخلص ، بما اجتمع بين مناخ الثقافة السالفة ، ومناخهم الحديث ، من اوجه التشابه وقرابة النظام الاجتماعي .

والمدرسة الثانية ، لا تختلف عن الاولى ، بمعنى انها ارتاحت اليه استيراد القديم . وما بينهما من خلاف ، ان الاولى ارتمت بين اذرع العرب ، بينما الثانية ارتمت بين احضان ثقافة الغرب .

فالخط الرئيسي الثاني في خريطة نقدنا الحديث ، هو ما استوردته ادباؤنا من قواعد الادب الاوربي واصوله النقدية ... لا في اخر مراحل تطوره ، بل في بداية هذا التطور . وكانت المناهج العقلية - او المنطقية - هي السائدة على ذلك الطور المتخلف من النقد الاوربي - بصفحة عامة - والادب الانجليزي بصفة خاصة . وربما راينا هذه المناهج « مسخا » بعد ان نقلت اليها ، على ايدي ادباء راوا فيها مرآة جاهزة لما يعتلج في صدورهم وما يمور في مجتمعاتهم ، ونسوا انها عبرت - اخلص تعبير - عن مجتمعات اختلفت ظروفها عن ظروفنا ، وسبقت اطوار نموها الحضاري ، خطوات تاريخنا .

ولكنهم في فورة حماسهم ، وكرد فعل لاتجاهات المدرسة الاولى - راحوا يشدون الاحكام الحاسمة على الانتاج الادبي ... دون اعتبار لمعاطفة ذاتية ، وانما « العقل » هو الناقد الحقيقي ، او « الحكم » الموضوعي ، ولا دخل للنقاد - في رأيهم - بآية ظروف او عوامل احاطت



من قبل الادباء .

ذلك ، ان المناخ الاقتصادي والاجتماعي في ذلك الحين ، لم يكن يسمح بشعار غريب يؤكد بان التجديد في الادب لا يعني شيئا سوى التجديد في الحياة (١).

فقد كانت الحياة العربية ترزح آنذاك تحت عبء الاستعمار الاجنبي ، والاستبداد الداخلي . والقوى الروحية لمثل هذا المجتمع ، لا بد ان تنبع من صميم الازمة المادية التي يعانيها . ومن ثم كانت القيم الفكرية السائدة ، هي ظلال الاوضاع الاجتماعية المسيطرة .

واذا جاء ناقد يقول : الحق ان التجديد في الادب يشبه التجديد في الفلسفة . فقد كانت الفلسفة القديمة تترفع عن درس الحياة الدنيا ، وترصد نفسها لدرس كنه الاشياء ، والفرق بين ما نعرفه عن الشيء ، وماهية هذا الشيء . وكانت تبحث الغيبات ، اي ما قبل الوجود وبعده وهي في ذلك كله تبتعد عن الناس ومعايشهم . ولكن الفلسفة الجديدة تدعو الى الكف عن البحث في كنه الاشياء ، وتقنع باستخدامها لمصلحة الانسان (٢).

اذا جاء ناقد يقول هذا الكلام ، فاننا ندرك اية ثورة قد اعلنها على « اقدس » القيم الفكرية . لان مجرد الاهتمام « المادي » بوجودنا الانساني ، يشر علامات استفهام كثيرة ، حول النظام الاجتماعي الذي يمزق كيان البشر ، ولا يؤمن مستقبلهم ، ويدعهم نهبا للحرة والشك والقلق . بعد ان كان هؤلاء « البشر » في هدوء المخدرات التي يتعاطونها مع الفن الذي « يسمو » بهم الى فضاء الخرافة ، ويعلو بـ « ارواحهم » الى سماء الازهام .

جاء سلامه موسى ، اذن ليقول « ان الاديب التقليدي يعني مثلا ، بأسلوب الجاحظ يحتذيه ، ولا يعني بأسلوب الفلاح المصري في العيش فينقده ويطلب اصلاحه . وهو يكتب عن العرب وتاريخهم ومجدهم . ولا يكتب عن نكباتنا الحاضرة ، وما نقاسيه من مظالم اقتصادية او سياسية او اجتماعية ، ولذلك فان ادبه سلفي ، وهو ادب الكتب الذي يجعله يعيش وهو في عزلة عن الوسط الذي يحيط به كانه برج عاجي . وهو هنا يشبه ادباء القرون الوسطى في اوربا »

واحس دعاة الادب في مصر ، بان الكتاب ليس بحشا في الادب الانجليزي ، وانما هو بالتحديد « منهج » يمكن تطبيقه على ادبنا المحلي . وتتحدد خطورته بانه :

اولا : يتطلب من الاديب وعيا خاصا بظروف مجتمعه وتاريخه ، اي انه سيضطر الى مضاعفة الجهد في الدراسة والاستيعاب . وهو ما كان في حاجة الى مثل هذا « التعقيد » حين كان يحتذي في بساطة ، اسلوب الجاحظ والخنساء والزمخشري .

اما الوجه الثاني لخطورة هذا المنهج ، فهو « التغير » الذي يمكن ان يحدث في جماهير القراء ، ومن ثم في « المجتمع » .. وحينئذ ينتهي « قلق » الادباء ليبدأ قلق « السلطات »

وعندما احس ادباؤنا ايضا - وهذا هو المهم - بما يتضمنه المنهج من « خطر شخصي » على كيانهم الاجتماعي ، راوا « من الحسن » ان يتجاهلوه على التو ، ويهملوا من شأنه ، ويعملوا على اخفاء اثره .

وبالفعل ، نجحت خطتهم الى حد بعيد ، بصفة مؤقتة . فان ناقدا واحدا او باحثا او ادبيا ، لم يشر الى الكتاب بحرف واحد .

(١) الادب الانجليزي الحديث ص ٣

(٢) المصدر السابقة ص ٤

ومضى من التاريخ ، عشرون عاما ، تبدلت خلالها كثير من الاوضاع الجذرية للمجتمعات العربية . ولم يكن سلامه موسى اثنائها ، باكيا او راقد . وانما كان « مؤثرا » اساسيا في كل تطور اجتماعي او ثقافي .

ومنهجه الذي اعتقد ادباؤنا انهم شيعوا جنازته ، كان الثقاب الذي اشعل الفتيل في كل مكان . لان هذا المنهج لم يفارق صاحبه لحظة ، بل رافقه في جولاته العديدة .. بين اروقة الاداب الاوربية حيناً ، وفي زحمة آدابنا العربية احيانا .

وكان في هذه الجولات جميعها ، يطابق بين فلسفته والواقع المحلي .. اي بين منهجه وانتاجنا العربي . زمن ثم تبلورت معالم المنهج الرائع الذي حمل مشعل جيلنا ، في كتابه العظيم « الادب للشعب » . هذا الكتاب الذي صدر مع ميلاد مجتمعنا الجديد ١٩٥٤ ، وكان « انشودة النصر » التي جاءت بها اعظم قصة كفاح .

وفي « الادب للشعب » لا تجد جديدا ، عما قرأته فسي « الادب الانجليزي الحديث » من حيث الخطوط الاساسية . ولكننا نكتشف الاضافات الحية الخلاقة ، التي اضافها التطبيق المحلي على منهج سلامه ، فزاده غنى وثراء .

وقبل ان يحدد لنا سلامه موسى في « الادب للشعب » منهجا علميا متكاملا .. لم تكن نستطيع ان نفرس تاريخنا الادبي ، تفسيرا موضوعيا سليما .

فالدكتور طه حسين ، يرر لنا الصور المتكررة في الشعر الجاهلي ، بتكرار صور البيئة المحلية فقط (١) . ويعمل بعد الادب العباسي عن الالتصاق بالحياة الطبيعية ، بالميل المفرط الى « ليالي الطرب والانس » التي لا تتوفر الا للخاصة (٢)

والعقاد يحلل بلاغة الادب العربي في صدر الاسلام ، لكونه تائر بلغة القرآن ، وبعض بساطة اسلوب الادب الحديث ، لانه « انساق فسي تيار عصر السرعة » (٣)

اما سلامه موسى ، فقد لاحظ علاقة حية بين المرحلة التاريخية التي يعيشها الفنان ، وبين ما ينتجه من فن . ولذا تسأل : ما هو الادب العربي القديم ؟ واجاب (ص ٦) : « هو ادب كان يؤلفه الكتاب والشعراء لاجل الخلفاء والامراء والفقهاء . لان جميع هؤلاء كانوا « الدولة » . ولم يكن للشعب وجود في اذهان الكتاب . وكان ادب الخلفاء والامراء نوادر وقصصا واشعارا تسلي وتذهب بالسام ، اي وسام البطالة .. بطالة المترفين . وكان ادب الخلفاء احيانا تواريخ تؤيد دولتهم ، وثبت حقوقهم في تبوء الحكم ، وكان ادب الفقهاء شروحا وتعليقات على الدين والمذاهب . ولما ظهرت الدولة الفاطمية التجارية في مصر ، وظهرت الدول المستقلة في المغرب والاندلس ، وكثرت السياحات ، ظهر ادب يكاد يكون شعبيا في قصص الرحلات . بل صار شعبيا خالصا في كتاب الف ليلة وليلة مثلا . ولكن الشعوب كانت لا تزال في التراب . فلم يرتفع هذا الادب عن التراب »

وتوضح لنا هذه الكلمات حقيقة هامة . فالادب والفنون تتصل - بشكل معين - بالنظام الاجتماعي القائم . ولكن اذا تساءلنا : ما هي طبيعة هذا الاتصال ؟ ما هي العلاقة بين الفن والمجتمع ؟ لن نجد اجابة

(١) راجع « في الادب الجاهلي » للدكتور طه حسين .

(٢) راجع « حديث الاربعاء » للدكتور طه حسين .

(٣) العقاد : مجلة الشهر عدد ١٥



### سلامه موسى

بكلمات الخبيث والفساق واللعين ، اعتبر هذا ايها القارئ . رجل عربي يدعى علي بن احمد هتف به الشرف ، فحمى قلبه وارتفع روحه وصلى وركع للانسانية ، فوجد الانسان يباع بالدرهم والدينار ، ويوضع في السوق ، ويفحص عن اسنانه ، وتدس الايدي بين افخاده ، ويجر لسانه ، ثم يضربه البائع بالعصا ، فينطلق وهو عريان يمدو للامتحان . ثم يقدر ثمنه فيباع ويسلم سلعة للمشتري . رأى علي بن احمد هذا الهوان فقال : هذا لن يكون ! ثم جمع العبيد في البصرة ، وثار على الخليفة العباسي يريد تغيير هذا المجتمع . ولكن الخليفة هزمه بجيوشه التركية الاجنبية . ومثل هذا العظيم ، هذا الانسان الكمالي ، هذا الرائد للحرية ، لم يجد من اديب «الافاني» سوى انه خبيث وفساق وكافر ولعين» (١)

وليس تعبير «الادب الملوكي» تعبيراً بلاغياً ، وانما هو يحمل فسي طياته - كما يقول المؤلف - معنى هاماً جديراً بالتأمل .

■ فادب الملوك يحتاج الى ان تكتب عن التاريخ القديم ، لانك بهذا الموضوع تفر من الواقع الحاضر ، وتسلي وتسامر .

■ وادب الملوك ، هو ان تلغي دعاة الافكار الجديدة لانهم يفلقون الشعب في استقراره ، وهو استقرار الفقر والجهل والجوع .

■ وادب الملوك ، هو ان تلغي الثورة ، وتدعو الى التقاليد ، لان التقاليد لا تتفق مع الثورات .

■ التاريخ القديم ، والتقاليد ، والعقائد ، تؤيد النظام الملوكي ، فايما

(١) ص ٤٢ - الادب للشعب -

تفصيلية في «الادب للشعب» لان مؤلفه لم يناقش الامور يوما ، الا على مستوى فكري ، اي انه يرسم التخطيطات العامة ، ويدع التفاصيل الدقيقة للمتخصصين ، ممن يتوفرون على هذا النوع من الدراسات . غير ان سلامة ، اجاب على اسئلتنا في حدود ذلك الاطار . اي انه اوضح لنا العلاقة بين الفنان ومجتمعه ، حين استطرده في حديثه عن الاديب العربي القديم ، الذي «كان ينشد الحكمة خلفه وليس امامه . . وكان يكتب للخاصة ، بل اخص الخاصة» ، فقد قال (ص ٢٧) «واخص الخاصة هذه كانت تلتفت الى الماضي . لان حقوقها التاريخية كانت تستند الى هذا الماضي ، والى احترام عاداته ولفته . فجذبت اليها الادباء الذين يؤيدون سلطانها»

الحقوق التاريخية ، اذن ، هي الخيط الذي يشد الفنان الى الالتحاق الحميم بالمجتمع .

ونحن حين نصمم خريطة مجتمع ما ، نتخيله هرما كاملاً ، قاعدته هي النظام الاقتصادي والاجتماعي وظروفه البيئية والتاريخية . وقمته هي المثل الفكرية ، والقيم الروحية ، المنبثقة من صميم الكيان المادي لهذا المجتمع . . اي هذا الهرم .

وليس هذا البناء تكويناً جامداً ، لان التفاعل الدائم بين القاعدة المادية ، والقيمة الروحية ، يؤثر - بطريقة حية متطورة - في مضمون ذلك المجتمع ، وبالتالي في شكله البنائي ، اي ان كافة المثاليات النابعة من قاعدة البنيان الاجتماعي ، تتحول الى «قوة مادية» تؤثر في القاعدة من جديد ، ويتولد عن تفاعلها الدائب المستمر ، خلخلة عميقة في الجذور المادية للمجتمع ، ومن ثم يتبدل التخطيط الاقتصادي والمحتسوي التاريخي ، وينسج المضمون الجديد لنفسه شكلاً جديداً ، ويفرز المجتمع الوليد قيماً فكرية تغاير المثل القديمة . وتعود هذه الفكريات وقاعدتها يتفاعلان من جديد . . وهكذا ، يصبح التطور هو السمة الوحيدة لحركة التاريخ .

والناقد العلمي ، يرصد الدورات التاريخية ، مستكشفاً بوعي ، الدور الحي الخلاق الذي اسهم به الفن في حركة التاريخ هذه ، وما اضافه الى التراث الإنساني السابق ، من لبنات غالية .

وكتاب «الادب للشعب» لا يرسم - كما قلت - الخريطة الدقيقة لهذا المنهج - ولكنه يكتفي بالخطوط الرئيسية دون الايفال في الدقائق الصغيرة .

وسلامه موسى - في المستوى الفكري الذي يناقش به الادب - يشك في ان كلمة «الشعب» ذكرت في اي كتاب من كتب الادب العربي القديم بمعناها المعصري «ذلك لان كتب الادب العربي هي كتب الملوك والامراء . . وهذه الاجزاء العشرون او اكثر من الافاني ، هي قصص السادة ملوكا وامراء ، ومن كان يرتفع الى مستواهم من رجال الدين والحرب والسياسة . ولست هنا انسى قيس ولبنى وامثالهما . ولكن هذه القصص لا تبلغ جزءاً من مائة من صفحات الادب القديم . ونستطيع ان نقول ، لهذا السبب ، ان الادب القديم كان ملوكياً يحافظ على التقاليد ويؤيد مذهب الدولة ويكره الثورة بل لا يعرفها . ولذلك يحدثنا مؤلف الافاني عن القصور والخمور والمفنيات والموائد المطهمة ، والفروسيية الحربية ، اما الشعب فلا وجود له عنده . بل ماذا اقول ؟ ان في الافاني شخصية واحدة ، شخصية عظيم من عظماء العرب ، يدعى علي بن احمد ، حاول ان يحرر العبيد ويرفعهم الى مقام البشر . ولكن مؤلف الافاني الذي كان يجهل الاهداف الانسانية والروح الديمقراطية ، كان يصفه

كاتب يخرج عليها انما يخرج على العرش . وهو لذلك يجب ان يطارد فمن دعا الى التيسير في اللغة للوصول الى العامة ، يعد عدوا . ومن دعا الى تطور ، يعد عدوا . وكل هذا معقول عند الملوك ، ومن التسف حولهم ( ص ٥٥ )

وسلامه موسى ، يرى في الادب ولاء للانسان وليس ولاء للتقاليد ( ص ٢٨ ) ومن هنا كانت ثورته على ادبائنا المحدثين الذين يأخذون بأساليب القدماء .

والحق ان الاديب لا يحيا على هامش المجتمع ، وانما هو ينمو ويتنفس ويعيش في قلب المجتمع ، ومن ثم : اصبح تأثيره مباشرا في تقدم هذا المجتمع او انتكاسه .

والفنان الصادق ، هو الذي تتيح له ظروفه الموضوعية ، بصيرة علمية ، يضع بواسطتها يده على نواويس تطور الحياة والكون والانسان . وبعد ان يعي حقيقة الصراعات المتباينة داخل اسوار مجتمعه ، يتخذ لنفسه موقفا محددا حاسما وسط هذا الصراع . فهو ، ما ان يقف الى جانب الاطوار المستقبلية في تاريخ البشر ، ويلتزم حينئذ بمسئولية القلم الذي يمسكه ، ويسهم في اشرف معركة انسانية ، مهما اصابه من ضرر ، واما ان يتخذ موقفا هرويا ، بان يزعم الحياد والحرية ، او يحدد لنفسه موقفا رجعيا ، للمحافظة على « حقوقه التاريخية » .

وهو في الحالة الاولى ، لا يتمسك بأساليب القدماء وطرق تفكيرهم ، لان تلك الاساليب كانت تخدم مجتمعا لا يتشابه مع مجتمعا . وفي الحالة الثانية ، يحيط فنه بضبابية معتمة ، لا تنير طريقا ، بل تدعنا نتمتع بلا امل . وفي الحالة الاخيرة ، يتمسك بمحاكاة القديم في القالب والمحتوى ، لان التشبه بالمجتمعات المتخلفة - في اساليب حياتها وتفكيرها - هو « تجديد » للأنظمة الرجعية القائمة في المجتمعات . ثم اننا « يجب ان نذكر انه ما من ابتكار في الادب ، الا ويعود الى خلاف القدماء ، واولئك الذين يكبرون من شان القدماء ينسون انه كان لهؤلاء القدماء قدماء اخرون انكروهم وخالفوهم وشقوا اساليب جديدة في التعبير والتفكير » (١)

اي ان اسلافنا من بناء الفكر العربي القديم ، حققوا خطوات تقدمية في مراحلهم التاريخية . والوقوف عند اعتابهم وحسب ، هو الجمود والخلفية . لان الماضي ، مهما كان مجيدا ، لا يحمل بشائر التفاؤل والحياة ، وانما هو يخدر حواسنا عن الاعتراف بالواقع المر الذي نعانيه . والاعتراف بهذا الواقع ، يجزنا غالبا الى التفكير في تغييره . بل هذه هي مهمة الادب الانساني . (٢)

واذا كان سلامه موسى يؤكد اننا نهرع الى المثاليات القديمة : « عندما تخدم الحياة او تهمد في الشعب ، فهي تثير ذكرياته في اشتياق ، كما لو كان يشتاق الى الموت . لان في الماضي كثيرا من سمات الموت . بل هو موت . وهذا الماضي يشيع في نفوس ابنائه عقائد في حين ان المستقبل يطالب بالنطق والعقل والالتزام بالحقائق » ( ص ٨ ) .

اذا كان هذا صحيحا ، فانه يصبح صحيحا لدرجة اكبر في تطبيقه على الفكر الروماني . لان السبب الرئيسي الاول في تشبث ادبائنا بتقاليد الادب القديم ، هو « حقوقهم التاريخية » التي اشار اليها المؤلف . فليست فنونهم وآدابهم الا دفاعا فكريا ، او تعبيرا روحيا عن

( ١ ) سلامه موسى « الادب للشعب » ( ص ٨ ) .

( ٢ ) الادب يجب ان يطربنا ، ولكنه يجب ان يغيرنا ، سلامه موسى

( ص ٢٣ )

هذه الحقوق التي يمكن تسميتها ( بالمصلحة التطبيقية ) . ذلك ان الادب القديم ، هو الفن الاقطاعي ، الذي صور المجتمعات العربية في ظل الاقطاع . ولا يمكن لاديب صادق ان يتخذ من هذا الفن نموذجا له ، الا اذا رآى ذبوعه « تحصيلنا » لكيانه الاجتماعي .

فاللوم ، اذن ، لا نوجهه الى ادبائنا القدامى ، الذين اخلصوا في التعبير عن مجتمعاتهم ، وان كانت قلتهم النادرة هي التي اخلصت بشكل ايجابي فعال - وانما اللوم الحقيقي يوجه الى ادبائنا المعاصرين ، الذين يعودون بنا الى الخلف . رغم ان الادباء القدماء انفسهم لم ينظروا الى السوراء .

ومن يتأمل ابن سينا ، وآبا العلاء ، وابن رشد ، وابن حزم ، وغيرهم من مفكري وادباء العرب ، يجد ان ابصارهم قد جابت افاقا بعيدة المدى ، ابعد كثيرا من افاق مفكرينا وادبائنا المعاصرين ، حتى ان سلامه يقول ( ص ٢٢ ) : « انني احس اني اقرب الى التنبي مني الى شوقي . لاني اجد في الاول صورة الكفاح بين العرب والرومان في عشرات من قصائده الرائعة . اي ان له قيمة تاريخية عندي ابصر بها حركة التاريخ . اما بعد هذا ، فهو وشوقي سواء في نظم الاكاذيب التي كان اولهما يمدح بها سيف الدولة ، والثاني الخديو عباس » .

هل معنى ذلك ، انه يمكن الاستغناء عن تراثنا القديم ؟

وللاجابة على هذا السؤال ، يجب ان نحدد المعنى العلمي لكلمة الثقافة . « اذ لاعتقد ان احدا يقول بانها « حصيلة معارفنا العصرية » لان هذه المعارف ليست وليدة اليوم . وانما هي نتاج القرون والاجيال . وثقافتنا المعاصرة هي طور جديد فحسب ، من اطوار نمو تاريخنا الثقافي .

ومن نقطة الانطلاق هذه ، نحس « بالضرورة الحتمية » لدراسة التراث القديم .

\* فان معالم هذا التراث في اذهاننا مشوشة بفضل المناهج غير العلمية ، التي سيطرت على مؤرخيه . ومن ثم ، فدراسة تراثنا بمنهج علمي ، هي عملية « غريبة » تتبع لنا نتيجتها صورة حقيقية لهذا التراث .

\* ثم اننا نغيد من دراسة تاريخنا الثقافي ، ان نضع ايدينا على قوانين تطور هذا التاريخ ، ونواميس العلاقة بين ثقافتنا القديمة ، والمجتمعات التي عبرت عنها . واذا امسكنا بمفاتيح تطورها ، لارب اننا نستطيع التقدم الى امام بوعي . بعد ان كنا نسير بطريقة عفوية وعيونا بعيدة عن منظار علمي .

وهكذا يبدو لنا واضحا ، اهمية « الدراسة » الواعية المستنيرة لادبنا القديم . واقول كلمة « الدراسة » للمرة المائة . لانها تعني شيئا اخر تماما غير « المحاكاة » و « التقليد » وما يفعله سائر ادبائنا « المحافظين » ولذا وصف سلامه الثقافة القديمة ( ص ١٦ ) بانها « تراث بشري عظيم لا يهمله الا مغفل . ولكن يجب ان نميز بين قديم وقديم . ذلك ان هناك قديما ، قد يفصل بيننا وبينهم الف سنة او ثلاثة الاف سنة . ولكنهم قديما معاصرون . اي يشتغلون بهمومنا البشرية او الاجتماعية العصرية » وهؤلاء يختلفون - قطعا - عن الذين يغفلون التطور البشري ، وينهجون سبلا قديمة ، تغمض بصائر الناس عن حياتهم وواقعهم . وحين يدعونا مؤلف « الادب للشعب » الى محاكاة الادب العربي القديم ، فلان هناك ذهنا اجتماعيا وذهنا انفراديا ، وانه تغلب على المجتمع العربي في السياسة والادب تلك النزعة الانفرادية ، دون النزعة الاجتماعية ( ص ٨٢ ) ونحن الان نقيم صرح مجتمع جديد لا يقوم على « الفردية »

لان التكوين الجذري لمجتمعنا قد تغير من النظام الاقطاعي الى مرحلة اكثر تقدما . ولا بد للفن - اذا اراد ان يحتفظ بدوره القيادي في حياة الناس - من ان يصور هذه المرحلة التقدمية في خط سيرها الامامي . اي نحو المثل والقيم الفكرية ، التي تبعد بنا عن النوازع الفردية التي تنبعث من صميم البنيان الاقتصادي والاجتماعي ، للنظام الاقطاعي القديم .

وفي نقاط التحول دائما ، تصبح النزعتان واضحتين - كما يقول سلامه . ( ص ٢٨ ) - في السياسة والادب على حد سواء « فتشرشل زعيم اليمينيين في المحافظين يمثل النزعة الانفرادية في السياسة الانجليزية . في حين ان بيفان ، زعيم اليساريين في حزب العمال ، يمثل الى حد ما ، النزعة الاجتماعية ، ولذا كان تشرشل - الاديب - قيثارا يتقن بامجاد « الامبراطورية » القديمة ، كما كان الشاعر «(رديارد كبلنج)» مزمارا في اعناق الضباط الانجليز وهم يتوغلون في الهند وجنوب افريقيا » .

وهكذا لانستطيع « الفصل الحاسم » بين الفن والمجتمع . وهكذا ايضا لانستطيع ان نقف « محايدين » ازاء « الماضي حين ينشب ظافره في حاضرننا » ( ص ٩٠ )

وربما برزت الان جبهتان متحدتان في اهدافها الرجعية :

✳ محاولة بعث الافكار القديمة الضارة بمجتمعنا الجديد في اثواب « التجديد » و « الاحياء » .

✳ الاصرار من جانب معاصرنا على النظرة القديمة للادب .

ففي الجبهة الاولى نظم بلا شك ابا نواس - مثلا - حين نزن ادبه بالوازين المصرية . ولكن مادامت اشعاره تطبع وتقرأ في عصرنا . وقد يقرأها شبانا وفتياتنا ، فان من حقنا ان نزنه بالوازين المصرية . ثم يقول سلامه موسى ( ص ٦٨ ) : « اننا يجب ان ندرس الادب العربية القديمة . ولكن ، لا لتقتدي بها في اهدافها واساليبها ، وانما لنعرف منها تاريخنا الثقافي » .

اما في الجبهة الثانية ، فان دورها يصبح اشد خطرا من الاولى ، لان روادها احياء بيننا يرزقون . وهم لا يكتبون ادبهم لسكان الكواكب الاخرى . بل هم يطعموننا فكرياتهم ، ويفدوننا مثالياتهم ، بطريق مباشر ، دون لف او التواء .

واداب العالم كلها ، تشهد بان الذين اتخذوا من النظرة القديمة للادب ، منهجا للحياة ، ما كانوا يطبقونها على الفن فحسب ، وانما على شؤون مجتمعهم ايضا . اي اننا لا نستطيع ان نفصل بين الفنان والانسان في الادب الواحد .

فمكسيم جوركي ، مثلا ، لم يكن في مقدوره ان يكتب روايته - حسب نظرة ما - ويمضي في معترك الحياة ، حسب نظرة اخرى . هناك «الانتحار» في حياة الاديب بين « الفكرة » والعمل ومادة « الانتحار » بين الفكرة والعمل هي « المنهج » .

وهل يمكن الفصل بين نظرة الشاعر الانجليزي المعاصر « ت.س. اليوت » للحياة ومنهج في الفن ؟ ايمن ان تقوم بنفس الامر مع زميلين « د.ه. لورنس » و « الدوس هكسلي » لقد احسوا بالحضارة العلمية على نحو غير علمي . فقد ( راوا ) فيها خطرا على الانسان ، ومن ثم لم ( يفعلوا ) سوى الهروب من هذه الحضارة ! لم يتكفلوا عناء البحث الجاد في حقيقة « الازمة » التي يعيشونها .

ولم يفعلوا بالتالي ان ( النظام الاقتصادي والاجتماعي ) هو المسؤول

الاول في هذه القضية وليست الحضارة والصناعة والعلم ، الا متهمين ابرياء .

فاذا جاءت اشعار اليوت واعمال لورنس وهكسلي تصور هذا «الهروب» ... افلا نؤمن بان منهجنا واحد ، اذا ( نظرنا ) الى الادب ، او ( عملنا ) في المجتمع ؟

وهل يمكن - كما يتساءل سلامه ( ص ١٨ ) - ان نكتشف تفسيراً للدواوين (١) « الفاروقية » التي توجت ذلك الطاغية بصفات الالهية حيناً وبانه « فيلسوف (٢) حيناً اخر الا بوحدة المنهج في نظرتهما للفن والحياة .

الحق انه اصبح في مقدورنا « بما ثقفتنا من المعارف السيكولوجية ، نعرف انه حين يصدر الاديب كتابا للشعب فانما يصور نفسه » ( ص ١٠ ) . ولكن الثقافة السيكولوجية وحدها لا تحتم علينا الربط بين الفنان وحياته الفردية والاجتماعية .

ويخيل الي ان ( الخطأ ) في التطبيق عند سلامه موسى ، بصدد هذه النقطة ، جاء نتيجة حتمية لتأثره - لفترة ما - بفرويد .

اذ نجد ( ص ١٧٠ - ١٧١ ) يرير الاتجاه الايديولوجي للكاتب بما حفرته الاحداث الطفولية الاولى في وجدانه . وحقا ، هو لا ينكر الظروف الموضوعية التي اسهمت في خلق هذه الاحداث . ولكن هذا التفسير يعتوره القصور ، اذا عدنا الى قواعد منهجنا العلمي ، وعرفنا طبيعة العلاقة بين الفنان والمجتمع . فاذا بها علاقة حية تتناسب طرديا مع تطور الفنان اجتماعيا وثقافيا في موازاة التطور التاريخي لمجتمعه . فهو اذا كان ينتمي الى الطبقة الاقطاعية مثلا - وانتوى مرافقة طبقة اخرى في كفاحها . لا يجب ان نعود الى الجذور السيكولوجية الاولى في حياته ، لان التمرد الطفولي والشنوء عن الجو العام في لاسرة ، او تلقيه العنت والاذلال في سن مبكرة ، لا يخلق بالضرورة مفكرا يساريا ، لانه - في امكانه - ان يخلق مجرما عبقريا . واذا فلا مجال للنظرة الفرويدية ، هنا . اما تبرير النظرة العلمية لهذا الموقف اليساري ، لكاتب من ابناء الطبقات الكبيرة فان الفهم العميق للمنهج العلمي ذاته ، هو الذي آثره

(١) على الجارم (ص ١٠٠) : حينما انتهز فضيحة هروب الجمل الى فاروق ليغيثه من الذبح : فقال :

عابدين كعبة مصر دكنها حرم : للخائفين اذا خطب بهم نزلا

تهدى اليها وفود الارض ضارعة : ترجو بها الامن او تزجي بها املا

امر وعاه بنو الانسان وحدهم : فمن بريك قل لي اخبر الجملا ؟

(٢) العقاد ( ص ١٠١ ) : وجد عباس العقاد الذي يقول فيه :

« انني لم اسعد من قبل بفرصة كهذه الفرصة الواسعة لاستجلاء طلعة المليك عن كتب والاصفاء الى جلالته على انفراد في جو لا مثيل له بين اجواء اللقاء والحديث .. لانه جو الملك والديمقراطية ممثلين نفسي شخصه الكريم اجمل تمثيل ، مجتمعين في سماعه وكلماته وارشاداته احسن اجتماع .

لقد سمعت في هذا الحديث الواحد كلام فيلسوف ، وكلام وطني غيور . كلام محدث ظريف . وظاف بخاطري ذكر الايمان وذكر الوطن .. »

ثم ينتقل الى مدح فاروق فيقول :

وما اتخذت غير فاروقها عمادا يحاط وركنا يؤم

ولا عرفت مثله في العلا صديقا يشاركها في القسم

فدته البلاد وفود البلاد بغالي التراث وغالي القيم

ملك يلوذ به عرشه وكم ملك بالعروش اعتم

ذلك الاديب ، حين رصد بوعي حركة التاريخ ، ورأى من الخير ان يقف الى جانب الطبقة المستقبلية . اما « رؤية الخير » هذه فلا تناسي بهذا جزافا ، وانما هي تعبير حاد عن (مدى اقتناع الاديب بالمنهج العلمي) . ولو تخيلنا ، ادبيا من ابناء الطبقة الارستقراطية . قد اتصفت حياته في الصغر بشتى ألوان العذاب ، ولم يلتق طيلة حياته بنظرة علمية تتحدث عن التضامن الكامن في اعماق المجتمع الطبقي ، وان التطور الحتمي للتاريخ يؤكد هذا التناقض كأم طبيعي للوصول الى شكل جديد للمجتمع . لو انه لم يلتق بمثل هذه النظرية .... اما كان يتجه في حدود مصلحته الطبقية ، وغاية الامر انه يكون نائرا - في سلبية مطلقة - على الحواجز النفسية التي اعتافت طفولته يوما ؟ بل - ونذهب الى ابعد مدى ممكن في القضية - لو ان هذا الاديب الارستقراطي ، التقى فعلا بهذه النظرية ، ولم يقتنع بها - تبعا لمستواه الثقافي واستعداده الذهني - او انه - وما زلنا نذهب الى بعيد - رأى فيها خطرا يحرق بمستقبله الاجتماعي ... الا يقف الى جانب طبقته ضد المصلحة التاريخية للطبقات الاخرى ... اي ضد التطور ، وبجانب الجمود ؟ الا يحدث ان تتحول « منفضات » طفولته الى ( طاقة هدم ) يعوض بها آلام الصبا ، بان يحقق انتصارات اخرى .. ويرى في كيانه الاقتصادي حصنا يقيه الهزيمة ؟

الا يمكن حدوث هذا كله ؟

لا يمكن ، إذن ، ان تكون « الكروب » النفسية الاولى في نفس الاديب ، هي التي تحدد موقفه الاجتماعي . وانما هو « الاقتناع الكامل » بتطور التاريخ والمجتمع الانساني ، هو الذي « يزحزح » فنانا من طبقته العالية ، الى الكفاح من أجل تطور تاريخي جديد . ولما كان هذا « الاقتناع » نادرا ، فانه يندر ان نجد ادبيا « يضحى » بالاقطاعات والعزب ، من اجل مستقبل البشر .

ونفس « النظرة النفسية » الخاطئة ، تنطبق على ادباء الطبقات الشعبية ، اذ ليس من الضروري ان يقف الاديب - الذي ينتمي الى طبقة متواضعة - الى جانب طبقته . لان ظروف موضوعية جعلته ينساق في تيار « الرجعية » . واذا به - دون وعي - يساند طبقة اخرى ضد طبقته . ومن البديهي انه ليس مجرد التعبير عن الطبقة الشعبية ، يجعل من الاديب شعبيا ، وانما « طريقة التعبير » او « المنهج » الذي نظر به الفنان الى هذه الطبقة . وربما يتخصص احد الادباء في تصوير الطبقة الاقطاعية . ولكن منهجه في التصوير ، ونظرة في التعبير ، لا تدع منه ادبيا « اقطاعيا » وانما تحوله الى فنان « انساني » يتخذ موقفه الى جانب مستقبل الانسان .

والادباء العرب « المحافظون » لا يعينهم مستقبل الانسان العربي ، وانما يعينهم مستقبلهم « الطبقي » .

وحين قال المؤلف ( ص ١٢٦ ) ان الانفرادية السادية هي التي عمل بها هتلر في سجنه مع كل من خالفه بالتعذيب . والانفرادية السادية ايضا هي التي تبث هذا الروح العدوانية وتبصق على وجه الزنجي كانه ليس انسانا « كان هذا التعبير امتدادا للمنهج الفرويدي الخاطئ ، لان افران هتلر التي استضاف داخلها البشر ، كانت تعبيرا للقيم النازية ، التي كانت بدورها تعبيرا عن النظام الاجتماعي في الامبراطورية الالمانية . اما احتقار الاستعمار الامريكي والاوربي للزنج ، فليس قائما على « اللون الاسود » وانما هي طبيعة الاستعمار الذي يعتبر قمة النظام الرأسمالي في الاستثمار والاحتكار ، والسيطرة على ظهر افريقي فسي

جنوب القارة السوداء او القارة لجديدة ، هي نفس السياط التي تتلقاها ظهور « العمال » البيض في امريكا وبريطانيا . والفرق بينهما درجي فحسب .

ولا شك ان المنهج - اي منهج - لا يتكامل الا بممارسة التطبيق الدائب المستمر . وما « الذبول النفسية » التي لحقت بمنهج سلامه موسى ، الا تعبير عن مرحلة الانتقال التي يعاينها منهجنا في الحياة والمجتمع . والقيمة الثورية في منهج « الادب للشعب » تكمن في الخطوط الرئيسية كما سبق ان ذكرت . وهي كونها اشارات البدء للمضي في طريق شاق طويل مليء بالاشواك .

والخط الرئيسي الثاني في هذا المنهج المضيء ، هو تفسيره للحركة الرومانسية ، التي لم تكن مجرد « رد فعل » للحركة الكلامية ، لان « ردود الافعال » السيكولوجية لا تخلق مرحلة جديدة من مراحل التطور الاجتماعي او الثقافي .

والحركة الرومانسية لم تقتصر على الاداب والفنون . وانما كانت المجتمعات نفسها ( تفل ) بحركة رومانسية ، بمعنى انها كانت تنتقل من مظاهر الحكم الاقطاعي ، الى النظام الرأسمالي الناشيء . « فالحرية الفردية » ، و « الطموح » و « الاحلام » وغيرها من شعارات المجتمع الجديد ، وهي بعينها مكونات الفن الرومانسي .

والرومانسية لذلك - كالكلاسية - ليست مذهبيا معينا يمكن اتباعه في القرن العشرين مثلا ، وانما هي « نظرة » للمجتمع والاشياء من حولنا في مرحلة معينة من تاريخنا ، وهي نظرة « ثورية » في حينها ، بمعنى انها كانت صادقة في تصويرها لذلك المجتمع الجديد . وليس علميا ، إذن ، ان يتبجح فنان ما ، اذا رأينا انتاجه غارقا في الاحلام

## دراسات قومية

من منشورات دار الاداب

\*\*\*

معركة المصير الواحد ميشال عفلق

دروب القومية العربية عبدالله عبد الدائم

القومية والانسانية عبدالله عبد الدائم

دار الاداب

ونَهضة الادب لاتمني شيئا اخر سوى نهضة الحياة ، اي نهوض الانسان والمجتمع . ينهض بالثورة . وينهض بالعلم . وينهض بالصناعة ، وينهض بالثقافة ، وينهض بالحرية » ( ص ١٠ ) .



كيف يصبح ادبنا انسانيًا ، وينشد هذه الاهداف ؟ يعالج الادب للشعب هذه النقطة ، بتعريف الادب الانساني اولا . ولقد عشنا زمنا نخلط بين « العالمية » و « الانسانية » في الادب . والحق ان كلمتي « الادب العالمي » لا تعنيان شيئا محددا يمكن مناقشته على مستوى علمي . اما ان يكون الادب انسانيًا ، فهي قضية جديرة بالتأمل والدراسة .

ولاول وهلة ، يمكن القول ، بان الفنون الانسانية ، هي - قطعا - التي توجه عنايتها وجهودها الى « الانسان » وحده . وحين قال سلامه موسى ( ص ١٩١ ) « الولاء للبشر هو مذهب الاديب » لم يكن قد اتى بحل حاسم للمشكلة ، اذ لا مفر من مواجهة سؤال هام : من هو الانسان ؟ ولا بد من الاجابة على هذا السؤال ، قبل ان نتصدى للحديث عن الادب الانساني . ومن قبيل التكرار - المهم - ان نقول ، بان نظرة الانسان « للانسان » تتغير دوما في محاذاة التقدم الذهني والتكنيكي للبشر . اي ان الادب في المجتمع الاقطاعي كان يبصر « الانسان » على نحو يفاير نظرة الفنان « البرجوازي » . والفكر الاشتراكي يتناول القضية حسب « مفهوم » يتباين معها تمام التباين .

ولكننا حينما نسال - في النصف الثاني من القرن العشرين - عن ماهية الانسان وعلاقته بالاديب ، فنحن لانحيط الفنان بأسوار علم الجغرافيا ، وانما نحيطه في اصرار - او هذا مايجب - بأسوار العلم فقط !! اي انه لايعطينا الوجود المكاني للكاتب ، بل يعطينا في المقام الاول « وجوده الانساني » : اين هو من نظرة « العلم » للانسان ؟ هل هو قريب تماما من هذه النظرة ، ام ان ظروفه الجغرافية والتاريخية حالت دون ذلك ؟

ان الفرق الوحيد بين الفنان والفرد العادي ، ان الفرد العادي ، قد يحس بازمة ، دون ان يملك واسطة التعبير عن هذه الازمة . اما الفنان فهو اللسان الرائع الذي القيت على عاتقه هذه المهمة .

يقول سلامه (ص ١٧) « ليس الادب الانساني ، ان نؤلف القصص ونكتب القصائد كي نبعث في الاثرياء العطف على الفقراء والتصدق عليهم ، وانما هو ان ننظر بالعين الفنية للمشكلات الانسانية والاجتماعية . ولكن من موقف الشعب نفسه ، اي من الموقف الانساني ، وليس من موقف الاثرياء . فلا نطلب التصديق . وانما نكافح للمعدل والمساواة »

« والصدقة » كانت فهما ( انسانيًا ) لطبيعة العلاقة بين الافراد في ظل المجتمعات الاقطاعية .

وقد صلحت « انسانية الصدقة » هذه في التعبير عن تلك المجتمعات . اما نحن الذين عاشنا تطوراً جذرياً في مجتمعنا ، فان هذه « الانسانية » تصبح غير ذات موضوع ، لو بقينا في تطبيقها . اذ تبقى حينذاك في اسر المفاهيم الاقطاعية ، وقيودها الاجتماعية .

« والمنحة » التي كان « يهبها » الاقطاعي لمبيده الارقاء ، يجب ان تمحو الى مستوى « الحق » الذي يجب ان « يكافح » هؤلاء المبيد لاسترداده .

وهكذا - حتى الكلمات - تتغير حين يتبدل المفهوم القديم للانسانية . ويصبح الادب الانساني ( ص ١٥ ) « هو ان نحس احساس الشعب ، ونكافح كفاحه وننكلم بلفته ، ونمرخ صراخه ، ولا نلقى عليه كلمات - التمتة على الصفحة ٨٥ -

والورود الزرقاء ، بان يختم خلف اسوار الرومانسية ، لانه في هذه الحال ليس « رومانسيا » تماما - وانما هو ( كلاسي ) اذا شئنا الدقة في التعبير ، بمعنى انه ينشد العودة الى الورد ، فهو ( رجعي ) لم يتطور ، وبالتالي ، لم يتورنا نحن معه .

ولذا قال سلامه موسى ( ص ١٤٥ ) « نحن نجد في هذه المائة من السنين التي تقع بين منتصف القرن الثامن والتاسع عشر احداثا يحدث كل منها في ميدان يوهنا البعد عن الآخر . ولكن عند التأمل يتضح لنا انه مرتبط به . ففي الميدان السياسي نجد طرد الملوك والطفة وتحطيم العروش وايجاد النظم الجمهورية والبرلمانات الشعبية ، بل نجد الاحزاب العصرية والحركات الشعبية . كما نجد انهيار النظم الاقطاعية في اوربا . ثم في الميدان الادبي نجد انه بزوال الاقطاعية والملوك والامراء ، وبزوال العقل المريض الذي يلتزم التقاليد ، وايضا بظهور طبقة جديدة هي الطبقة المتوسطة القارئة ، بزوال هؤلاء نجد النزعة الرومانسية في الادب » .

اي ان الفنان يخضع لشكل « ماض » من التعبير الفني ، اذا تمنى - بقصد او بغير قصد - بقاء الشكل الاجتماعي لهذا الماضي . ولذا اسميناها ( امنية رجعية ) لانها تعتمد اساسا على « التكوين الجذري » للفنان . وفي صميم هذا التكوين تدخل اعتبارات مصالحه الطبقة الخاصة .

ففي نقطة التحول التي اجتازها الادب المصري الحديث ، يسجل المؤلف ملاحظتين ( ٧٤ ) : اولاهما : انه قد طبع ونشر لابي نواس مايزيد على سبعة كتب ، استطاع ان اسميها كلها مؤلفات اقطاعية . فقد كان ابو نواس يعيش في مجتمع اقطاعي ، يأخذ بميزانه الاخلاقي وينشد فيه ، والذين احيوا ذكرى هذه المؤلفات ، نسوا - او لم ينسوا - انهم يحيون تلك القيم . والملاحظة الثانية لسلامه هي : تلك القصص الجديدة التي يكتبها الادباء الشبان في حرارة الحب للشعب ، اذ انهم اثروا التفاهم معه بلفته ، وحينئذ استهدفوا آماله ، وغايات مستقبله . والتناقض بين الظاهرتين في غير حاجة الى الدهشة اذا كنا ( ٧٥ ) نعيش في عصر القلق والتردد بين حياتين واسلوين . ذلك اننا ننتقل من القيم الاقطاعية الريفية في نظام العائلة ، والاخلاق العامة وفلسفة الحياة واسلوب العيش ، الى القيم المدنية الصناعية في كل هذه الاشياء . ومع اننا نهفو الى ماضيها الاقطاعي ونحب ان نستبقى عاداتنا العاطفية ، والذهنية القديمة ، فاننا نرئو الى مستقبلنا الصناعي وننشد اهدافه ، وننزل مضطرين على قوانين العلم وحقائقه ، والعلم هو لغة الصناعة . ذلك اننا متفقون باننا لن نحقق الرخاء لبلادنا والاستقلال لوطننا والفهم للحياة الا بالعلم » ( ١ )

واذا كان ادبنا المصري الحديث ، لما يزل مهتما - اشد الاهتمام - بالطبقة المتوسطة ، فلان هذا تطور طبيعي يسير تاريخنا . وان كانت المناية بطبقة ما ، ليست مجردة من نظرة الكاتب لها . اي ان المهم هو منهج الكاتب في تناول الطبقة الاجتماعية نفسها . ولو تأملنا ظروفنا لوعينا الحوائل التي تقف بين الطبقة العاملة مثلا وبين التعبير عن غدها . فاقصر الثقافة على الطبقة الثرية ، كان عاملا حاسما في تأخر التعبير الكفاحي للطبقة العاملة . ولكنها بدأت - بعد دخول مجتمعنا في مرحلة تقدمية من تاريخه - تعوض مافاتنا ، وتستعد لجولتها القادمة .

( ١ ) « اعتقد ان اعظم ماسوف يدل على التغيير في مجتمعنا ان تتغير

اغانيه وموسيقاه وادبه » س.م. ( ١٢١ )

## معنى الأدب عند سلامة موسى

- تنمة المنشور على الصفحة ٤٨ -

الرحمة ، كما نلقي للجائع لقيمات الصدقة »

وفي البلاد العربية ادباء كثيرون يفهمون الانسانية في الادب على غير هذا النهج . الانسانية عندهم ان « نمتع » الانسان باحلام الربيع ، واخضرار الحب ، ونشوة الجنس . حتى ان شاعرا عربيا مشهورا كتب يقول انه في دهشة من الذين يكتبون للشعب عن الكفاح والموت والدموع في حين ان عمالنا وفلاحينا ، عندما يقادرون مصانهم ومزارعهم في حاجة الى الكلمات الحلوة التي تروى عن كفاحهم ، لا الى الكلمات الخشنة التي تزيد اعباءهم ثقلا .

والواقع ان هذا الشاعر العربي ، قد صور مأساة ادبنا « الانسانية » اروع تصوير . فهو يرى ان العمل المجهد في حاجة الى « منديل رطب » يجفف به عرقه ، ولست ادري : لماذا نسي قليلا من العطر ايضا ، يعبق المنديل برائحة جميلة ، تخفف من وقعة التعب التي يستشعرها العامل المسكين ؟

اجل . ان عمالنا وفلاحينا مساكين ، لان تاريخ بلادهم الادبي ، قد ابتلى بمثل هذا الشاعر . فتحن لانريد ياسيدي لهذا العامل ان « ياخذ راحته » و « يرطب جبينه » وينام سعيدا « مع شجره العميق الهادي » اننا لانريد له ادب « الويسكي » و « ورقة التوت » لان هذه المخدرات تقتل حواسه ، فيطمئن ويرقد على مستقبله . ادب المناويل هذا يستهلك الطاقة الكفاحية عند هؤلاء المكودين ، ويمتص قواهم الثورية فينامون على الشوك ، ولا يحسون بنزيف دماهم ، لانهم شربوا عصير « المناويل » وتأهوا في غابات الاحلام . ادب الورود الزرقاء والنهود الدجاجة ، هو « حقنة بنج » ترسل المريض الى متاهات بعيدة عن حياته وواقعه والامه المرة .

ولكن ايدري ادباؤنا الكرام ، ان آثار المناويل والخمر والبنج جميعها تزول ، ويبقى شيء واحد هو الالم !

هذا « الالم » هو الخامة الاصيل للفتان « الانساني » . لانه اذا كان صاحب مقدرة « كوميدية » استطاع ان يرطب حلقه بالضحكات ، وان تركت في نهايتها مرارة العلقم فهذه المرارة وحدها ، هي « المصل » الذي نستعيد به صلابتنا ، ونسترد بواسطته مستقبلنا . واذا كان الفنان صاحب لون « جاد » استطاع ايضا ، ان يكشف لنا بوعي ، عناصر المأساة الانسانية التي تشكل مصيرنا على غير ما نهوى .

يلزم ان نقبض على هذا المصير .. لا على الايدي الناعمة ( ١ )

ان قلق العامل والفلاح ، وعدم طمأنينتهما ، اشرف بكثير من سعادتهما « الواهمة » .

ليس الادب الانساني هو « الكوكاين » وانما هو « النوشادر » الذي يفيق به الانسان على حقيقة وجوده الراهن . ومن ثم يبادر الى تغييره . ولهذا كله ، قال سلامة موسى هذه الكلمات المضيئة ( ص ١٩٤ ) « لاعتقد اني احتاج الى ان اشرح النزعة الانسانية في الادب . ولكن

( ١ ) « الايدي الناعمة » مريحة لتوفيق الحكيم ، يثبت فيها ان السلام بين اصحاب الارض « الاقطاع » وبين الفلاحين لابد ان يسود ، اذا التقت الايدي الخشنة مع الايدي الناعمة !!

عندنا كثيرون ممن يزعمون انهم ادباء كبار ، وكل تقاليدهم من الادب مدائح المتنبي لسيف الدولة ، وقبائح ابن الرومي الجنسية البرازية ، وخمرات ابي نواس ولوطياته ، ونحو ذلك . ولهؤلاء اقول ، ان الانسانية في الادب تعني مكافحة الظلم والجهل والفقر . والاديب الذي يتخذ هذا المذهب الانساني تعود حياته نفسها ادبا لانه مكافحة .

وفي عصرنا الحاضر ، تتمثل هذه النزعة الانسانية في المذهب الاشتراكي الذي يحاول انصاف المظلومين باغناء الفقراء ومساواة الجنسية ومحو التعصبات العنصرية ، سواء كانت دينية أم طبقية ، واستخدام العلم لاشعاع النور في الاذهان ، والرؤية في المدن والقرى ، وتحطيم القيود التي تحد من الحريات سواء كانت قيود الخرافات ام قيود الحكومات ..

هل معنى ذلك ، الا يصبح الجنس والحب والمرأة من موضوعات الادب ؟

غير صحيح ! وما نطالب به هو ان تتناول هذه الامور جميعها حسب « منهج علمي » . والنظرة العلمية للجنس والحب ، لن تدعمها موضوعين شائهي في الادب الكفاحي ، وانما يسميان في مستوى الضرورة والاهمية . هذه هي « الانسانية » التي تغلذ الادب ، وترفعه الى المستوى العالي بين انتاج العالم . والخلود هنا بمعناه النسبي ، وليس ذلك المعنى المترسب في اعماقنا ، منذ قليل بان فنون الادب « موهبة من السماء » . وبالتالي « خلوه » من وهج العبقريّة التي هي منحة الاله !

« ان قيم الادب ، مثل سائر القيم ، تتغير كلما تغيرت الظروف . واذا كان الجمال يتسلط على الاديب ويشغل ذهنه حتى ليتوهم انه خالد ، فان هناك ماهو « اخلد » منه وهو الانسانية » ( ص ٩٢ )

ولا شك ان الوحدة الحية بين القلب الفني للعمل الادبي ، ومحتواه الانساني ، يتناسقان كلاهما في ابراز المضمون او الهدف الذي يقصده الفنان .

ومن هنا تبرز قيمة الصياغة الفنية ، ويتضح دورها في توصيل ما يستهدفه الكاتب الى قلوب الناس وعقولهم وكيانهم ووعيهم .

فالبقاء النسبي للعمل الادبي ، لا يعتمد على « عظمة » ما يحتويه من قيم رفيعة ، لان هذه « العظمة » لاتتحدد معالمها الا في الاطار البنائي الناجح . اما نسبة هذا البقاء - او الخلود - فلانه « قد توجد ظروف تدعو الاديب الى ان يحارب ملكا سافلا او عقيدة فاسدة او طبقة طاغية او استعمارا او استبدادا ، فهو يستقطب الصمود على موضوع معين كي يبرزه ويحرك العقول والقلوب بشأه . وقد يزول السبب الذي كتب والف من اجله . فتزول قيمة ماكتب وما الف . لان الغاية قد تحققت . ولكن تبقى بعد كل هذا النزعة الانسانية ، في الاديب ، لان حرفة الاديب وعنوانه وموضوعه انه انساني » ( ١ )

كيف يتطور الادب الى هذا المستوى من الانسانية ؟ والجواب ، انه لايمكن للاديب ان يصبح انسانا في حدود ذلك المعنى الرائع ، الا اذا حدد لنفسه مفهوما علميا للطبيعة والمجتمع . لانها خاتمة الفن والادب ، وكافة اوجه النشاط الانساني .

ولا يستطيع ان يحدد الاديب هذا المفهوم العلمي ، الا اذا استبعد كل الاتجاهات المنافية للعلم ، وان تمسحت به للايهام والتضليل . ولا يتحدد هذا المفهوم ايضا في اطار مدرسي جامد ، وانما بالاستقرار الذاتي لجوانب الحياة ومظاهر المجتمع ، اذ بعد مايتسلح الفنان بمنهج علمي

( ١ ) « من أعان انسانا فقد أعانني » هوابتمان .

يبدأ دوره الخلائق ، في تطبيقاته الثابتة على الواقع المحيط به .  
وسيدور له - على الفور - ان الحيات الزعوم لا قدر له من الصواب  
وسط هذه الصراعات المتباينة . « لقد عشنا في مجتمع مصري لا يسته  
ظروف استعمارية واستبدادية . والكاتب الذي وقف بعيدا لا يكتب عن  
هذه الظروف لمصلحة الشعب او الذي كتب في مدح المستبدين  
والمستعمرين لا يمكن ان يوصف بأنه كان امينا للانسانية والمجتمع » ( ١ )  
( ص ١٥٤ ) .

ودعوات الحيات ، دائما لا تثبت الا في ارض مضطربة . والموقف  
الحيادي نفسه موقف مضطرب . لانه ليست هناك فلسفة ايجابية تقول  
بالا يصبح للناس فلسفة . بمعنى انهم لا يتمتعون بوجهة نظر . والفلسفة  
الاجابية لا تقف بلا حول ولا قوة ازاء الاحداث الدائرة حولها .  
والادب المصري الحديث ، عرف نفرا من هؤلاء الذين تشدقوا بـ  
« الحيدة الموضوعية » ، فلم يجسروا على عبور هذا الموقف « المتجمد »  
الى طريق الحياة العريضة والانسانية . قال هؤلاء ، في دعواهم ، ان الفن  
يجب ان « يعلو » على مستوى الصراع الاجتماعي ، لان مجاله الحقيقي  
هو « الحياة الوجدانية » للبشر . وقالوا ايضا ، بان الاديب « الحر »  
هو الذي ينفذ عنه قيود المجتمع ليظهر في اجواء « علوية شافية » .

والحق ان هذه الحيدة الزعومة ، هي حيلة واهمة ، لان « اللاموقفية »  
هنا ، هي « موقف » واضح وصريح وحاسم . والشعوب دائما تردد « من  
ليس معنا فهو علينا » اي ان الذين يهربون من المعركة يؤيدون - بطريق  
غير مباشر - اعداء المستقبل للبشر . « وايماء اديب لم يثر على  
الاستعمار والاستبداد ، وايماء اديب يحس النار تاكل احشائه ، بل  
اكاد اقول ايماء اديب لم يفقد وجدانه ويشس الحذر وزج في السجن  
وهو يكافح ظلام الانجليز ونذالة الخديويين والملوك في مصر ، لا يمكن  
ان يوصف بالشرف .. ( ٢ )

ذلك ان ادبنا كان يجب منذ ١٨٨٢ ان يكون شعبيا ثوريا يكافح بالفكرة  
والكلمة هؤلاء المستعمرين والمستبدين . وكان يجب ان يكون على الدوام  
مع الشعب يقف الى صف الفلاح الذي يحمل الفاس والحدوي الذي يسوق  
فرسه . والصانع الذي يصوغ الاثاث ، والطالب الذي يعجز عن اداء  
المصروفات ، والموظف الذي يعمل طوال النهار لقاء جنيهات لا تكفي طعام  
اولاده ..

وهكذا لم يكن في مقدور الفنان المصري حينذاك ، ان يقف مكتوف  
اليدين صامتا كالتلميذ المؤدب . وقليلون جدا هم الذين رفعوا هذه  
الايدي في وجه الاستبداد والاستعمار . وان نجح هذا الاخطبوط الاسود  
في تحطيمها . وسلامه موسى مثلا - كان واحدا من هؤلاء القليلين حين  
قال في جراءة « ان في مصر من يعيشون بالف جنيه في اليوم ، وفيهم من  
يعيشون بثلاثة قروش ، واحيانا لا يجدونها » ( ٣ ) ، ولم يكن نصيبه  
حينذاك الا نوما هادئا على اسفلت سجن الزبكية !

ألم يصبح الادب كفاحا ، والكفاح ادبا ، كما يقول برنارد شو ؟ ليس  
حراما ان يكون بيننا « كتاب شهداء » كما نادى سلامة ، وليس غريبا  
ان يصرخ بزملائه في شرف الكلمة وقداصة القلم ( ص ١٦ ) :

« افيقوا يا ابناء مصر وافهموا وتعلموا ان الادب للحياة والانسانية  
والمجتمع ، وانه ليس تكتة بدعية ، او بيتا رائعا ، وانما هو ارتقاء

( ١ ) « الادب هو التعبير عن الضمير الانساني » ( ص ٩٣ ) س.م

( ٢ ) « اذا غاب الشرف عن الادب فقد غاب كل شيء » ( ص ٥١ ) س.م

( ٣ ) « حرية العقل في مصر » - دار الفجر - ١٩٤٥

وتطور وكفاح لقيم الخير والشرف والاخاء والحب » .  
والاديب العربي الذي لم يقف الى جانب شعبه ، سواء اعلن ذلك صراحة  
او احتفى داخل اسوار النظريات الرجعية في الفن ، لا يملك الا ان يكون  
ذلك الرجل . فقد تطوعت ظروفه الموضوعية ، بان ينطوي على نفسه ،  
ويتوقع داخل ذاته ، ليلد - في نهاية الامر - هذا الادب المتعفن  
اللسرج .

والمدارس الادبية في اوربا حين عنت بـ « الجمال » الفني وحده ،  
كمعصر يتيم للفن ، كانت تصور مأساة تاريخها الاجتماعي ، قبل ان تلخص  
مأساة تاريخها الفني ، بهذه الانعزالية المطلقة . فقد بلغت اوربا  
حينذاك ، اعلى مراحل الازمة الاقتصادية والسيكلوجية ، في آن واحد ،  
بعد الحرب . اذ تمزقت اوصال تكوينها الاقتصادي ، بفعل الخسائر  
الرهية التي استنزفت دماها في الميدان . وتمزقت ايضا ارواح بنيتها ،  
بعد ان صهرت نفوسهم في بوتقة التناقض الجذري العميق ، بين المثل  
العليا فوق صلبان الحرب ، وبين اتون هذه الحرب . احسوا بتناقضات  
اخرى بين اخلاقيات المجتمع البرجوازي ، وبين القيمة الحقيقية لهذه  
الاخلاقيات ، وبين دعائها ورافعي راياتها من جانب ثالث .

ومن ثم كانت الدعوة الانعزالية هنا ، احتجاجا ادبيا على « فوضى  
الاجتماع الجديد » ( ١ )

وفي مصر ، لم تثبت الحركات « البرجوازية » الا من صميم الاضطراب  
الجذري في ارض المجتمع .

وحقا لاتشابه بين « الفوضى الأوروبية » واضطراب مجتمعنا . ولذا  
اختلفت السمات التفصيلية بين رواد « الفن للفن » في اوربا ، وبين  
رواده في بلادنا . ولكن هذا الاختلاف لم يذب العالم الرئيسية . ومن  
يتأمل تاريخنا الادبي - بعد الربع الاول من هذا القرن - يكتشف  
التناقض الجذري في التكوين الاجتماعي لهذا التاريخ . ولا يلبث ان  
يعثر على نقائص ثانوية صغيرة كثيرة .

والتناقض الحاد الحاسم في مجتمعنا آنذاك ، تمثل في الصراع بين

( 1 ) Plekhanov : Art and Social life P. 48

صدر حديثا

## تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام

تأليف

الدكتور شكري فيصل

يطلب من جميع المكتبات في البلاد العربية

الثنى ٧ ليرات سورية



طبقاتنا الشعبية ، والاقطاع . وما زاد حدة هذا التناقض اتساعا ، هو ان الاحزاب السياسية ، في جميع أنحاء العالم ، هي في صميمها (تلخيص) لاجتاهات طبقية . اي ان حزب المحافظين مثلا ، هو حزب الطبقة الاقطاعية من لوردات وكونتات وباشوات . ويليها مباشرة احزاب « الوسط » وتمثل الطبقات الوسطى بشقيها « الصغيرة والكبيرة » ثم احزاب العمال اليسارية .

ولكن مصر - دون العالم اجمع - اصرت تحت ضغط ظروفها الموضوعية - ( ١ ) ان يقود اغلب احزابها ابناء الطبقة العالية . حتى ما سمي بالحزب الشعبي ( ٢ ) كان قادته عامودا فقريا للنظام الاقطاعي . اما حزب العمال المصري ، فكان يرأسه احد « النبلاء » ( ٣ ) !! هذه الفوضى السياسية ، التي يرعاها القصر من جانب ، والاستعمار الاجنبي في الجانب المقابل ، خلقت بدورها ، الفوضى الاقتصادية والاجتماعية والنفسية . وبرزت الاتجاهات الحيدية في الفن ، احتجاجا - لاوعيا - على بشاعة هذه الفوضى .

يقول سلامة موسى (ص ٩٥) « ليس العالم في فترة تاريخه الحاضرة في استقرار . فاننا نعيش في وسط يحوي من الحضارات والثقافات والاهداف الاجتماعية ، بل يحوي من الوان الاستعمار ، والاستقلال والرجعية ، في الشرق والغرب ، ما يحمل كل انسان انساني على ان يتعرف مكانه من هذا الاضطراب او هذه الفوضى ، ويعينه . وعلى أن ( يجتهد ) حتى يميز بين الحسن والسيئ . ثم عليه بعد ذلك أن يعرف جبهته وهدفه ومعسكره فيدافع عن موقفه ويجهد للوصول الى هدفه (على كل انسان ان يفعل ذلك اذا استطاع . والاديب اولى الناس بان يفعل ذلك ، اذ هو يرى اكثر ويفهم اكثر » .

وهو - بهذه الكلمات - .. دق ناقوس الخطر ، فمن كان بغير وعي ، ينمزل عن الناس وحياتهم ومشكلاتهم ، اصبح لا يملك سلاح « الجهل » . ومن تشدق « بعلوية » الفن عن هذه « السفاضة » أحس انها ليست كذلك ، بل هي ضالته الوحيدة . ومن رأى في الاتجاه الجديد ، عدوا لمصلحته الخاصة وكيانه في المستقبل ، لم يتعد عن الشعب ، بل جال في صفوفه ، مغربا ، وداعيا للزمية والفشل . والذين اطمأنوا على ( حقوقهم التاريخية ) فيما مضى ، وكانوا مستقرين في هدوء البال ، امسوا قلقين ، ياكلهم التوجس ، والخوف والحذر . وتغير ادبهم ، بالتالي ، فبعد ان كان « ترفا » و « متعة » اصبح كفاحا نشيطا ضد اهداف الشعب (٤) . « وفي ظروف الاستقرار او الركود او الطمانينة يفشو ادب الترف واللذة ، بل ربما على الدوام يكون مؤلفو هذا الادب انفسهم من المترفين الذين استقروا وارتضوا حالهم الاجتماعية السائدة . فكهوا التغيير ، وقنعوا بلذة مستقرهم ونسوا الانسانية » (ص ٩٤) لذة « الاستقرار » اذن ، هي الهدف الكبير الذي ينشده دعاة المتعة ،

( ١ ) كان التعليم والثقافة قاصرين على ابناء الطبقات الثرية .

( ٢ ) الوفد .

( ٣ ) عباس حليم

( ٤ ) اشتهر كاتب مصري ( اشير الى اسمه بحرف ت ) بالقصص الرومانسية والجنسية زما . اما هذه الايام فهو يكتب روايات (شعبية) في السياسة والمجتمع ، ولكنه « يشحنها » بحقده على مستقبل الشعب وكرامته لمستقبله المأمول وغده الشرق . لقد ترك ادب « اللذة والمتعة » الى الشعب .. وان سار في طريق مظلم !

في المجتمع « المستقر » على مصالحهم وكيانهم . اما حين يتزلزل هذا الكيان ، فانهم يتحولون بسرعة الى ادب الكفاح ... الكفاح المظلم ! ودعاة التحليق في فضاء الفن « الاصيل » ايضا ، على غير فهم واضح بطبيعة الفن . لان الاديب ليس مخلوقا هلاميا لا يتأثر بما يحيط به خلال عملية الخلق الفني . لان الفنان هو قطعة من الانسانية ، بما يتجمع فيها من تراث تاريخي واجتماعي وبيولوجي . اي ان الاديب - كإنسان يعيش بيننا - هو جماع تاريخي واجتماعي وبشري لفترة زمنية معينة ... وهو حين يكتب لا يتجرد من هذه الخصائص المكونة لانسانيته ووجوده . لان تجرده منها بمثابة تجرده عن جسده البشري وعقله الانساني وكلاهما تعبير عن تكوينه العضوي والسيكولوجي والذهني .. هذا التكوين الذي يتعاون في تناسق اثناء عملية الخلق الفني . ومن هنا يبدو واضحا اننا لا نستطيع ان ننزل الفنان عن حيانه (١) .

وكثيرا ما يتوه هذا المعنى عن ادمغة الكثيرين من ادبائنا وفنانينا . لانهم يؤثرون تعريف « الموضوعية » بانها التجرد من كل عاطفة ذاتية . ولو كانت الوظائف التي يعنونها هي الكراهية الساذجة او الحب الساذج ، لاسرنا بموافقهم .. ولكنهم يقصدون بالوظائف شيئا اخر هو « البيل » الى مبادئ معينة دون اخرى ، رغم انه لا يوجد انسان في العالم بلا مبادئ اي بلا فلسفة . والفنان - ايا كان يناقش الحياة والكون والانسان « بما تكون له من فلسفة بشأن الانسان ومجتمعه . ولا يمكن ان يكون هناك اديب بلا فلسفة » ( ص ٩٣ ) ، وسواء تم ذلك بوعي او بغير وعي ، فانه لا يلغي القضية .

ولذلك تسأل سلامة موسى ( ص ١١١ ) : ما هو اعظم ما يؤلفه المؤلف في الادب ؟ واجاب « هو حياته ، كيف عاش ؟ كيف ارتزق ؟ ما هي الاحزاب السياسية التي انضم اليها ؟ ما هي الثقافة التي اثرت بها ذهنه ؟ ما هي علاقته بمجتمعه ؟ هل سعى لخيره ام لضره . بل ما هو كفاحه في هذه الحياة ؟ »

ثم يقول « ايها القاريء ادرس الكتاب الاول الذي افه المؤلف . وهو حياته . بل طالبه بذلك حتى يخرج كتابا يبين فيه المبررات التي حملته على ان يسلك سلوكا معيناً في السياسة او الاجتماع او الاستعمار او غير ذلك »

ان دعوة سلامة هنا تلخص - بشكل رائع - منهجه في فهم الادب . هذا المنهج الذي اهداه لنا مركزا في كتابه العظيم « الادب للشعب » لنستعين به في حياتنا الادبية الجديدة .

واول الابعاء التي يلقيها الرجل على عاتقنا ، هي ان « نعي » موقفنا في الحياة والفن ، بدلا من ان نسير هكذا في « عشوائية » تتميز بروح المفامرة ، لا بروح الكفاح الجدي المنظم .

ولقد وقع سلامة موسى ، شهادة غالية لابناء الجيل الجديد حين قال ( ص ٢٥ ) « اني اعلم واكافح كي يتغير هذا المناخ . وسيتغير لا بمجهودي انا وحدي ، بل بمجهود هؤلاء الشبان الجدد الذين راوا النور وتحروا من استبداد التقاليد وعملوا لتطور الفكر في مصر » . وهي ليست شهادة ، بقدر ما هي وثيقة . انها مسئولية ثقيلة ، ان تتحمل عبء تطوير مجتمعنا .

✱

ما هي مسئولية الادب الجديد ؟

ان السؤال - رغم بساطته - يشير لفظا اذ تناوله البعض - كما يحدث

( ١ ) ان اعظم مؤلفات طه حسين هي حياته ٢٠٠٠ - ص ٥٣ -

بالفعل - على طريقة الحماس العاطفي المفرط . . لكل ما هو جديد .  
ولكني اقول ان الفرق بين القديم والجديد ، لم يعد فرقا زمنيا .  
وانما هو - في اقرب المعاني واولها - فرق اجتماعي وسيكولوجي . بمعنى  
اننا لا نمقت تراثنا القديم ، بل يجب ان ننكب على دراسته في تألف  
وفهم وحب . و « ليست العبرة في الادب والفن ، بالقديم والجديد ،  
وانما العبرة بقيمة هذا الفنان والاديب، قيمته الانسانية والاجتماعية التي  
يحميها ، ونحم اليه بها . فنتبادل واياء الفكرة في حنان وانتشغال  
انسانيين » ( ص ٧ )

الفنان القديم ، يستحق الدراسة ، ومن يتشبهت بافكاره واسلوبه  
« يستحق الاغفال » ، والحق ان الاول - الفنان القديم - اكثر تفتحاً  
وتقدمية ، من الفنان الجديد الذي يرسف في اغلال القيم القديمة .  
« والواقع الذي لا ينكر اننا نجد في الادب العربي الحاضر : طائفتين ،  
احدهما تلك التي تلتزم القيم القديمة . ولا تكاد تختلف عن ادباء العرب  
القدامى من ان الادب لذة ومتعة وترف ذهني ، وانه للخاصة الممتازة . .  
وليس شك ان هذه الطائفة تمثل العقلية الاقطاعية الريفية ، او تمثل على  
الاقل رواسبها المنحدرة لنا من القرون الماضية . والذي لاحظته ان  
هذه الطائفة صادقة الايمان بمنهجها كما نجد في تناسق عقيدتها الادبية  
هذه مع عقائدها الاجتماعية الاخرى . لان جميع الادباء في هذه الطائفة  
يكرهون اللغة الشعبية في الادب ، كما يكرهون مساواة المرأة ، بالرجل  
في الحقوق الدستورية والمدنية ، كما يكرهون ما يمكن ان نسميه  
« الاسلوب الديمقراطي » وهم يهفون على الدوام الى الماضي يكتبون فيه  
ويقارون عنه .

ثم هناك الطائفة الثانية ، طائفة القيم المصرية التي تنبع من الوسط  
الصناعي المدني والقيم العلمية . وهي تنضم الى سواد الشعب فسي  
الادب وتقول انه ، اي الادب ، للشعب . فيجب ان يكتب بلقته ، وان  
يكون كفاحيا في مذهبه لان الشعب يكافح من اجل حقه في الحياة  
الكريمة . وان مشكلة المرأة هي رف لجميع المشكلات الاجتماعية . ولذلك  
يجب ان تكون مساواتها بالرجل بؤرة الكفاح . وهي تنتهي من هذا  
الموقف الى ان الادب يجب ان يكون انسانيا في نزعته ، اشتراكيا فسي  
برنامجا وان ديمقراطية الدولة يجب ان تنطوي على ديمقراطية المجتمع  
والصنع والزراعة والبيت » ( ص ٨٧ ، ٨٨ )

ابناء الطائفة الاخيرة هذه ، هم الذين يحملهم سلامه موسى « الامانة »  
وليس من بينهم على وجه التأكيد هؤلاء « الشبان » الذين يتمسكون  
بالقيم الخلفية .

## الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة فنية

بقلم  
وديع ديب

السعر ٣٠٠ غرش لبناني

وهؤلاء ، لا يقتصر نشاطهم الرجعي ، على الدعوة الى المثل القديمة  
فحسب، بل هم يعثون هذه المثل من مرقدها . لا بقصد الدراسة كما نريد  
- وانما بقصد الاستهواء والتطبيق (١) .  
واذن ، فالادباء الجدد ، هم الذين درسوا مجتمعهم ، وتبينوا حقيقة  
الصراع العميق بين متناقضاته ، ومن ثم آثروا الوقوف الى جانب الاطوار  
الجديدة النامية من تاريخه .

وعلى هذا الضوء ، فهموا كلمة الشعب فهما جديدا ، لانهم بدأوا  
يحسون ان الشعب هو الجندي المجهول الذي يجب عليهم ان يرفعوه الى  
المستوى الفني والاهتمام الذهني في القصة والشعر والرسم والنحت  
ويكتبوا عن حياته ويرسموا اهدافه وما فيه من عبقرية او انسانية «  
( ص ٢٢ ) .

والشعب - بهذا المفهوم - ليس خاصة باهتة ، لا ترى الا من خلال  
نظارة خاصة ، وانما هو كيان مادي ملموس ، يعيش وينمو ويتنفس ،  
وادب الشعوب لذلك ، هو الادب العضوي « من حيث انه يؤدي في  
الجسم الاجتماعي خدمة معينة كما تؤدي اليد او القدم خدمة معينة  
للجنس البشري وبمعنى اخر ليس هو ادب الترف او التسلية الذي  
يمكن الاستغناء عنه . اي ليس هو ادب البلاغة كما فهمنا معنى هذه  
الكلمة في كتب البلاغة العربية . فهو لا يبالي تلك الثبرات والنفحات  
الا بمقدار ما يستطيع ان يؤدي بها خدمة عضوية في النشاط الاجتماعي،  
فالبلاغة هنا وسيلة وليست هدفا » ( ص ٢٣ )

والحق ان الوسيلة والهدف - في الادب الحي الجديد - اصبحا كلا  
واحدا لا يقبل التجزئة لان الوحدة العضوية التي تجمعهما لا تحتل فصلا  
حاسما بين عناصرها .

والعلاقة بين الاطار الفني للعمل الادبي ، ومحتواه الانساني ، لم  
تعد علاقة ميكانيكية يمكن الحكم - على هداها - بان البلاغة في اللفظ ،  
دون المعنى ، او العكس . لان الاعمال الفنية في حقيقتها - كائنات حية  
متكاملة . ولم تكن هذه الاعمال ، على غير هذا النحو من قبل . وانما  
كانت هناك نظرة آلية ، خلقت هذه التجزئة . ولذا كان « الاديب الجديد  
الاديب العضوي ، هو الذي يدرس الحياة ، ويحاول ان يجد نظرة جديدة  
لشؤونها اعماق واوسع من النظرة المألوفة » ( ص ٢٥ ) .

والنظرة الجديدة ، لا تسقط هكذا من السماء ، انها تنمو في احشاء  
النظرة القديمة ، وتولد من حميم التناقض الكامن داخلها ، وعملية الولادة  
هذه ، تفترض البقاء المؤقت ، لقوة النظرة القديمة ، لان النظرة الجديدة  
لم تكن من القوة بعد ، ما يمكنها ان تعيد صياغة المجتمع والفكر  
على نحو جديد . . مرة واحدة .

وهكذا كان على الادب في مصر « ان يضطلع بضغ سنوات بمحاربة  
القرون المظلمة وهدم الاسوار التي تعوق حرية الفكر ، هذه الاسوار

(١) يجدر بنا في هذا المقام ان نثبت كلمات مضیئة لرجل « قديم »  
حسب المفهوم الخاطيء للقديم والجديد - ان الاستاذ احمد لطفي السيد،  
كتبت في مجلة « الثورة - ديسمبر ١٩٥٤ » يقول : « ارى ان يكون نشر  
الكتب القديمة في نطاق محدود ، وبعد فحص دقيق، ذلك ان كثيرا منها لا  
يخلو من اسفاف يترك اثرا في اخلاق شبابنا . . ودواوين الشعراء  
المليئة بالكذب والتضليل لا احب لشبابنا ان يقتنوا اثرها ، واثر  
هؤلاء الشعراء ذوي الاسماء الطنانة ، على حين ان الواحد منهم لا يساوي  
عشرة قروش »

التي كانت الحكومات المأجنة ، بل المجتمعات الماضية ، تعرض على استبقائها وحمايتها لأنها تؤيد الوانا من الرجعية تحتاج إليها لاستبقائها نظما الاقطاعية ، اي يجب على الاديب ان يهدم دون ان ينسى البناء » ( ص ٣٩ ) .

واسلحة الفنان في معركته الجديدة ، تصنع ارض المعركة نفسها ، فاذا كان هو يغوص معركة شعبية ، وجب ان تكون لغته - مثلا - هي لغة الشعب . لان اللغة تعين الاسلوب والمنهج ، اذ هي تدخل في التركيب العضوي للعمل الفني ، وليست « وسيلة للتعبير » كما يتوهم البعض . كان دعاة اللغة العربية - وما زالوا - يقولون في ميثاقهم ان اللغة هي اداة التعبير . واذا وجد الفنان المصري انه لا يستطيع ان يصل افكارنا بالناس ، الا بواسطة هذه الاداة فلنا ان نحترم ارادته ومقدرته . بل اننا يجب ان « نرفع » الشعب الى مستوى الادب « الرفيع » واجاب الادباء الجدد ، على المبدأ الاول القائل بان اللغة اداة ، والفنان له مطلق الحق في استخدام الاداة القادرة على التعبير عن احساساته ومشاعره . وقالوا انهم يجدون في اللغة الشعبية المصرية اداة اكثر توفيقا في نقل خلتانهم ، واقدر تعبيراً عن اهدافهم . ثم استوردوا بانهم « ينزلون » الى الشعب بلغته ، بدلا من العكس . وفي هذا « الارتفاع » « والنزول » يتضح مدى الخطأ في كلا الدعوتين - لانهما اغفلتا هذا الفهم الجديد للغة . وهي انها « عنصر حي » في التركيب العضوي للعمل الادبي .

وحين نقول بادب مصري ، لا يصح ان يتوه عن بالنا ، ان من غير المعقول ان يصبح هذا الادب كائنا عضويا حيا متكاملًا ، وفي بنيانه العضوي ذراع من الصين - لان هذا - فوق انه مستحيل - يؤدي الى تشويه الكائن الحي . وكذا نفس الامر في العمل الفني ، ما دمنا نقول بانه اللغة « عضو » ، هي في جسمه الحي ، ولا يمكن بالطبع ، ان تستغني عنه بعضو اخر مماثل في جسم اخر ، ولو كان شقيقا توأما . ومن اعباء الناقد الجديد ، ان يرافق الفنان الجديد في خطواته الجديدة . بمعنى انه يلتزم بهذه النظرة الموضوعية للعمل الفني . فالاوروبيون « ينظرون الى ادب الكاتب كما ينظر احدنا الى المبنى الكامل بكل ما يحتوي من حدائق وطبقات وموقع وما يدل عليه من فلسفة المهندس الذي وضع تصميمه واشرف على تشييده . ولكن الناقدين عندنا يقفون عند احدى اللبئات ويقولون : هذه رخوه او هذه في غير موضعها » ( ص ٥٣ ) .

وكلمات سلامه هنا توضح العلاقة بين الناقد والفنان . فليست هناك حاجز حاسمة بين مهمتهما في المجتمع الوليد . انهما يشتركان في المنهج الواحد ، و « النظرة » الواحدة . ولذا ، فعلاقتهم ، هي علاقة اليد باليد الاخرى اثناء البناء . وانجلت بذلك الوظيفة الحقيقية للناقد .

وعندما قرر مؤلف « الادب للشعب » ( ص ٩١ ) : ان النقد السديد للادب هو النقد الاجتماعي . اي يجب ان نسال عن قيمة الاديب ، ما هي خدمته للشرف او للانسانية ، كان تقريره ، بمثابة رد فعل ، للحركة النقدية القديمة التي تدرجت في فهمها للنقد من انه « ابراز العيوب » الى « ابراز العيوب والمحسنات » وتوقفت عند هذا الحد . وما كانت تعني بالعيوب والمحسنات الا اللفظيات اللغوية ، والتركيبات النحوية وما اليها . ولم تشر يوما الى العيوب الاجتماعية او محاسنها في العمل الادبي . حتى لا يتحول الادب في زعمهم عن هدفه الاصيل .

ولما تغيرت مفاهيم الاديب حسب نظراتنا العلمية اليها ، تدرج النقد

في خطواته الامامية الى ان ( كشف عن قيمته الاجتماعية ) ( ١ ) . ولكن هذه القيمة - كما قلت - لا تصيب مرامها الا اذا توازنت مع الفن الناجح ، ولذا خطأ النقد العلمي ، خطواته الجديدة ، بان تقدم الى العمل الفني بسؤالين :

■ الى اي مدى تناسق الشكل البنائي مع المحتوى الانساني في ابراز قيمة العمل الفني ؟

■ ما القيمة الانسانية لهذا العمل ؟

واصبحت الاحكام الحاسمة وسيلة غير مجدية ، للاجابة على هذه الاسئلة ، وانما هو « التشريع العلمي » للنص ، الذي اصبح الطريق الجديد للناقد . . يرافق معه الفنان وعمله ، مرافقه منيرة كاشفة . والناقد الجديد ، هو لذي يعرف لادب بانه « دراسة الانسان في جملته . وهذه العبارة تعني ان ندرس الانسان في اقتصاده وامراضه وثقافته واتجاهاته الذهنية والعاطفية واهدافه المستقبلية » ( ص ١١ ) واذن فالاديب « الذي لا يعرف علل الفقر والمرض ، لا يجهد الاقتصاد فحسب ، وانما يجهد الادب » .

والترابط الموضوعي بين المعارف الانسانية ، هو الذي حدد للاديب تعريفه العلمي للعمل الفني . هذا الترابط الوثيق ، هو ما تحسه في « تشابك » اتجاهات العلم الواحد ، وبين العلوم المختلفة ، ولا يمكن فهم هذه العلاقة الشبكية الا حسب منهج علمي . بل لا يمكن التصرف على هذه العلاقة ، وتفهم دقائقها الا اذا حصلنا على هذا المنهج . ومسا الاخطاء النظرية والتطبيقية ، التي يقع فيها الكثيرون من ادبائنا ، الا لانهم يدرسون احد جوانب الحياة معزولا عن بقية الجوانب الاخرى ، غير واعين بالرابط المادية والروحية التي تضم جوانب الحياة جميعا . وحتى لو عثروا على هذه الرابطة ، فان منهجهم العقوي لا يدلهم على حقيقتها الموضوعية .

وعلى ضوء النظرة العفوية هذه ، رأت الانسة سلفياهم في سلامه موسى ( ٢ ) « مفكرا للبرجوازية ، وقت ان كان الاقطاع متسما كراسي الحكم ، ثم اصبح مفكرا للطبقة العاملة فور انهيار النظم الاقطاعية ، وتولي السلطات البرجوازية الوطنية مقاليد الحكم » .

والخلط الذي وقعت فيه الناقدة الانجليزية ، هي انها كانت تمزق مراحل التطور الفكري لسلامه عن بعضها .

ولو انها اجهدت نفسها قليلا ، لرات في سلامه « مفكرا ثوريا » ناصر البرجوازية - الثورية - الصاعدة ، حين تالفت مع الطبقات الشعبية لتحطيم الاقطاع ، وظل « مفكرا ثوريا » حين وقف في صلابه الى جانب الطبقة البازغة النامية ، بعد ان تحولت البرجوازية الى قلاع ضخمة في وجه التطور ، اي ان ثورتها تجمدت كما هي عاداتها التاريخية ، فاصبحت عدوا بعد ان كانت صديقا . ( ٣ ) والدراسة العلمية لمجتمعنا ، توضح

( ١ ) النقد السليم للادب هو النقد الاجتماعي اي ان الناقد يسأل : ما هي قيمة هذا العمل الادبي في المجتمع ؟ ( ص ١٣٥ ) ( س . م . )

( ٢ ) مقال في التاييمز ، واذيع من محطة لندن ، علق عليه س . م . في « المرأة ليست لعبة الرجل » ( ص ٦٧ ، ٦٨ )

( ٣ ) « لقد كنت وما زلت اكتب لاولئك الشبان والموظفين ، والمحامين والكناسين ، والاطباء ، والحلاقين ، وعمال المصانع المتفهمين ، والنساء الجذريات العاملات ، وجميع اولئك الاشراف الذين لا يعيشون سدى ولا يكسبون قوتهم بالباطل . . وانما يتعبون ويكدون ، كي ينتجوا سلعة ، او يؤدوا خدمة » ( ص ٥٨ )

ولكن ليست المناهج الفيزيائية وحدها هي صاحبة هذا الاتجاه السلبي في ادبنا الحديث . وانما هناك مناهج اخرى اكثر خطورة ، لانها تسمح بالعلم ، وتقتصب اسمه في تقديم مبادئها . فالالاتجاه الطبيعي « الفيزيقي » - مثلا - يقول انه يستخدم العلم - كما يخرج توا من المعامل (٢) - حتى يخرج العمل الفني مزودا باحدث مكتشفات العلوم ، ويصبح اقرب الى المنطق والعقل .

وليس هنا مجال البحث في نشأة مدرسة زولا هذه ، ونكتفي ان نذكر السبب الرئيسي والهام في نجاح هذا الاتجاه عند نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . الا وهو الانتصارات العلمية الحاسمة في مجال البيولوجيا . والتي غيرت ما كان سائدا حينذاك من قيم وتقاليد . فقد اصبح الناس ينظرون الى « الوراثة » على سبيل المثال نظرة جادة . وصاح زولا ومن ورائه الادباء الطبيعيون « لقد وجدتها » وكان يعني الوراثة اذ رأى فيها عاملا حاسما لا يمكن تغييره . وقرأنا قصص الطبيعيين فاذا بالوراثة في ادبهم ، تقتصب بابا مغلقة في وجه الانسان وتقدمه .

وهكذا لم نجد اختلافا حاسما بينهم وبين رواد المدرسة « الميكانيكية » القائلة بان ظروف الانسان فقط هي التي تشكل مصيره . ولاحتلنا كذلك فنون هذا الاتجاه ايضا ، مجلة بالسواد والقائمة . ولكن حين نعود الى الجذور البعيدة التي انبتت هذا الاتجاه نعرف ان ( ضربة جاليلو للارض التي جعلتها تدور ) (١) ( وجاذبية نيوتن - من بعده - التي اعطت لهذه الدورات معنى ) (٢) هي الاسباب الموضوعية لشيوعه .

والتفسير العلمي لنشأة هذه الاتجاهات ، يفيدنا في ان نتعرف على ظروفنا الجديدة في تباينها مع تلك الظروف البعيدة . ومن ثم يدعنا تفكر : ما هو اتجاهنا الحقيقي ، النابع من صميم ظروفنا الموضوعية ؟ وليست ظروفنا بالطبع قاصرة على ( ارضنا المحلية ) وانما اقصد بها ظروف عالمنا المعاصر التي تختلف بالتأكيد - عن ظروف القرن التاسع عشر التي انتجت هذه الاتجاهات .

ولهذا كله ، كان الادباء العرب الذين يقتفون بآدابهم وفنونهم آثار الاتجاهات الميكانيكية ، او « الفيزيائية » من دعاة التشاؤم والرجعية (٣)

(١) « ان الادباء الفيزيائية القديمة ، كانت تحملنا تبعات وتطالبنا بواجبات . ولكن القيم الاخلاقية والاجتماعية في هذه الادباء كانت قيم الاخوة ولم تكن قيم الدنيا . فكان علينا ان نكون صالحين نمارس الفضيلة ونصلي ونصوم حتى نستمتع بالفردوس ولا نتعرض للعقوبة بعد الموت . فالقيم هنا اخروية . ولكن الادب الجديد ، يحملنا ايضا تبعات ويطلبنا بواجبات . ولكن القيم الاخلاقية والاجتماعية فيه هي قيم الدنيا فقط . فيجب ان نكون صالحين وان نمارس الفضيلة كي نخدم المجتمع البشري و نرقى بشخصيتنا اخلاقا ومعارف ونجعل من كوكبنا فردوسا نجد فيه السعادة والخير والشرف » ( ص ١٩ ) .

(٢) تعبير لزولا عن الرواية التجريبية .

(١) تعبير ليورميلوف في دراسته عن الادب السوفيتي .  
(2) Short history of science, W. C. Dampier P 61-78

(٣) كلمة المساواة الاجتماعية الاقتصادية تكاد تفقد معناها اذا سلمنا بالوراثة كانهما كل شيء لان قيمة الوراثة تعني في النهاية الايمان بالقدر الذي لا يمكن انسان ان يغيره . لاننا نغير موروثنا المقدر لنا ، هذا هو ايمان المثاليين ، ولكن المثاليين يقولون ، اننا نتغير الى احسن ونرتقي اذا كان وسطنا راقيا يعلمنا ويهذبنا وينير عقولنا ويقرى صحتنا « ص ١٢٢

لنا في سر ، انه كان لابد موضوعيا من الثورة البرجوازية . وبالتالي كان لا بد من مناصرتها لتحطيم الاقطاع .

والمفكر الثوري ، هو الذي يدرس مجتمعا على المدى البعيد ، فلا يعادي الجبهات في آن واحد ، حتى لا يخسرهما جميعا . انه - ايدولوجيا عبدو الجميع ، ولكن التكتيك الفكري المنظم ، يفترض مهادة احدها حتى تموت الاخرى . ثم يجري التاريخ في طريقه المحتوم .

والسؤال : اين كان ادباؤنا من « هذا المدى البعيد » ؟

كانوا يكدون انفسهم في البحث عن « بيت » اسقطه الكامل ، او معركة بين الفرزدق وجريير !! كان المدى البعيد ، في نظرهم ، الى الماضي ولذا جاء ادبهم اكفانا جميلة الصنع ، ولكنها لا تبشر بالحياة ، وانما تدق اجراسا جنازية « جميلة » .

والاجراس الحزينة في ادبنا الحديث ، نسمعها في وضوح ، من صفحات الادب « الفيزي » الذي لا يجد تفسيرا للكون والحياة والانسان الا في بطون الكتب الصفراء . وخطورته انه لا يرتد الى الماضي ، لانه يعالج - بالفعل - مشكلاتنا المعاصرة . ولكن يفرز بواسطة منهجه الفيزي ، كافة عوائق تقدمنا وارتقائنا . فالتواكليه المطلقة ، والهروبية ، واللامبالاة ، وغيرها من القيم التي يبشها هذا النوع من الادب ، وعلى انها فضائل (١) اجتماعية ، تعبر في حقيقة الامر عن فلسفة خنوعية متخاذلة ، لا تلبث قلوبنا ازاعاجا ، ان تفرغ ما بداخلها من شحنات الكفاح والعمل . هذا الادب يذيب صلابتنا ، ويحيلنا الى دمي يحركها القدر ، لقد نسوا ان القدر الحقيقي هو لانسان . الانسان المبسود - الخلائق - الذي يقفز كل يوم مع انتصاراته العلمية المظفرة - اسرار الغيب والمجهول ، الى عالم الحقيقة والانسان وحدهما . والمثول امام الحقيقة والانسان ، لن يعوزه دقات حزينة من ادب اسود . وانما يتطلب فرحا واشراقا وتفاؤلا .

## دراسات ادبية

من منشورات دار الاداب

للدكتور محمد مندور

قضايا جديدة في ادبنا الحديث

لرجاء النقاش

في أزمة الثقافة المصرية

لحمي الدين صبحي

نزار قباني شاعرا وانسانا

ليس « العامل الوحيد » كما يقول رواد الاتجاه الميكانيكي ، ولكنه العامل الحاسم ، ليس « عاملا وحيدا » لأنه ليس الها جديدا او قدرا جديدا ، لا قبل للانسان على احتماله او تفييره . ولاننا نعترف بكافة الظروف الموضوعية الاخرى التي لا يمكن لعقل صادق انكارها . ولذا كان على الاديب ان يدرس هذه الظروف في علومها المختلفة .

ودراسة كهذه ستسمو به الى « المرتبة الانسانية » بعد ان كان ادبيا فحسب . « الانسان » يلزم ان يتعرف على ذاته الانسانية بان يكشف العلاقة بينها وبين هذا الكون الذي يعيشه . والفنان اولى البشر جميعا باكتشاف انسانيته . والكاتب العظيم كما يقول ( ص ١٧٦ ) « يمكن ان يكون بعضه فيلسوفا ، او بعضه عالما ، او بعضه ادبيا ، ولكن معظمه يجب ان يكون على الدوام انسانا » .

والفنان الانسان في بلادنا العربية لن يكتب للفراغ .. بل سيفضطر الى ان يكتب للبشر ، فيوثق علاقتهم بهذا الكون وتلك الحياة التي يعيشونها وهم ، اما في غيبوبة الخرافة ، او في اسر النظم اللاانسانية . وهو حين يزيد الفهم للحياة ، « سيزيد التوسع الذهني . ويزيد الوجدان كائنا نزيد وجودا بقراءته » ( ص ١١٧ )

والفنان الانسان - في بلادنا العربية - لن يطالبنا بان نجعل مراسينا الاجتماعية وفق التقاليد في الالف سنة الماضية ، وانما وفق ما نستعد له من نظم الالف سنة القادمة » ( ص ١٠٦ ) .

يقول سلامه موسى ( ص ٥٢ ) « وهذا وضع جديد للاديب ، الذي لم يعد خادما يهرج ويسلى ويمدح ويقول النكتة . اذ هو الان معلم ومرشد . هو نبي له رسالة »

غالي شكرى

القاهرة

الطبعة الثانية من

دار المصطفى

الديوان الرائع للشاعرة

نازك الملائكة

صدرت هذا الشهر

ولا فرق بينهم - على الاطلاق - وبين دعاة المناهج الفيبية ، فما دامت « الظروف البيولوجية » عند الطبيعة و « الظروف الاقتصادية عند الميكانيكية ، هي الالهة الجديدة » للانسان ، لا يملك بدونها حولا ولا قوة . ما الفرق بينهم وبين آلهة الفيين واقدارهم ؟ اليس الانسان (عاجزا) عند هؤلاء واولئك ؟ اليس (دنياء سوداء) عند الفريقين ؟

الحق ان دعاة الفيبات افضل ، لانهم تخيلوا حياة اخرى تسعد الانسان ، فقالوا له بان يشقى ويعرق « وتسود عيشته » على الارض ، لانه سينال الجزاء في تلك القبلية السماوية الزرقاء . على اية حال ، كان لديهم امل .

✱

ولكنه ليس املا حقيقيا . فالمسافة بينه وبين الحقيقة ، هي نفس المسافة بيننا وبين شاشة السينما . ولهذا جاءت اعمالهم تفيض بالتفاؤل المييط الساذج ، الذي ينطوي على ابشع الوان التشاؤم . ولهذا ايضا ، كان علينا ان نبحث عن التفاؤل الحقيقي .. التفاؤل العلمي .. في ادبنا الجديد ..

والتفاؤل على هذا النحو يقتضي ان ندرس مجتمعا ، ونذكر طبيعة الصراع الكامن في اعماقه ، ثم نقف الى جانب الطور المستقبلي من اطوار تاريخه . وهنا يصبح التفاؤل ضرورة ، لا حقيقة فحسب (١)

ومن نقطة الانطلاق هذه ، يتضح معنى الواقعية في الادب ، يقول سلامه ( ص ١٥٦ ) « قصة الحياة ليست عند الاديب ، رواية ما وقع له من حوادث ومصادفات او خطوط فقط . وانما هي وقع كل ذلك في نفسه ، اي بكلمة اخرى هي الاحساسات والرجوع والاستجابات التي تلقاها » . اي ان الادب الواقعي ليس هو الواقع فحسب ، وانما هو النظرة العلمية للواقع ايضا . والتشريح العلمي للواقع ، يقود الفنان الصادق - بالضرورة - الى التفاؤل . ويقوده الى فهم الموضوعية فهما لا يلقى ذاتيته . ومهما اشترك ادباء العالم جميعا في منهج واحد ينظرون به للادب والحياة ، فانهم سيظلون الى الابد ، متباينين مستقلين ، يفصل بين الواحد والاخر حدود منيعة حاسمة ، هي المكونات المضموية والذهنية والاجتماعية والنفسية لكل فنان (١) التي لا ريب انها تختلف - بطريقة او باخرى وبدرجة كبيرة او صغيرة - بين اديب واخر . وهذه هي ذاتية الفنان .. وموضوعية الفن .

الموضوعية في الفن ، لا تقتصر في تسجيلها الظروف المحيطة بجوهر العمل الفني ، على الصديق الفوتوغرافي ... انها تعترف بالعامل البيولوجي الذي يتباهى به الطبيعيون ، وتعترف بالعامل السيكلوجي الذي يزهو به عشاق علم النفس ، وتعترف بالعامل الاقتصادي الذي يتحصن داخله الميكانيكيون .. ولكنها تعترف في نفس الوقت ان هذا العامل الاخير هو العامل « الحاسم » في تطور المجتمعات وتاريخها . انه

(١) « الادب المحافظ ، الادب المتشائم ، هو ادب الجمود والتقاليد وكراهة التغير وكراهة المرأة ، والخوف من المستقبل ، وهو الادب الذي يجد المبررات للاستعمار وللتفاوت بين الطبقات . والادب الاشتراكي هو ادب التغير والتطور والايمان بالمستقبل ومكافحة الفقر والجهل والمرض ومكافحة الاستعمار والاستبداد » ( ص ١٣٣ )

(١) « ان الشخصية التي تنبع من النفس ، ستبقى على الدوام الطابع الذي يميز بين كاتب واخر ، حتى ولو كان كلاهما شعبيا » ( ص ١٧٦ )



# الجرح الخالد

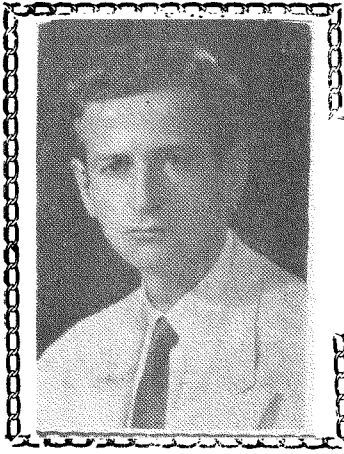
« في ذكرى معركة بور سعيد الخالدة »

ادركت عيني وقلبي ما بعينك  
جرحي الغائر قد اذكى حنينك  
فتذكرت اباك  
كان قلبا ..  
كان جبا ..  
كان كالصمت اله  
كان جبارا عتيا  
كان سرا في تجاوزيف الحياه  
ثم مات ..  
تاركا في جنبك المحموم اصداء الرعود  
وبقايا لوعود  
وابتسامات على الثغر توارت لن تعود  
وحكايات الردى في بور سعيد  
فدعيني  
فانا اعشق في الظلمة اصداء شجونى  
اتروى في حنيني  
يبعث الجرح بعيني الى الدنيا الالق  
وانا خلف هضاب الظلمة الدكناء ..  
امضي ... واشق  
فانا باق لاشهد  
واوافيكم بانباء افاصيص البطولة  
كيف اشعلنا على الافاق في الليل اللهب  
ومضينا السيل والاعصار - كنا - والغضب  
لنرد الكيد عن دنيا هوانا وامانينا ..  
واشراق اغانينا بامجاد العرب

لم يكن الا خيالا عابرا مر ببابي  
لم يكن شيئا سوى قصف شبابي  
وحكايات قلوب عشقت  
رشفت من منبع الحب لتحيا  
ولحون عزفتها في حنايا قريتي ايد نحيله  
لتزيد الليل والاهات انغاما جميله  
ومواويل قديمه  
عن دموع الحلوة الولهى نعيمه  
وحبيب نافر الصدر دعوانه حسن  
لم يكن ... ثم اتيت  
موكبا يصدح بالاحلام والحب ببיתי  
القا اجم في نفسي زيتي  
عندها هدمت اسوار خيالي  
ثم اغرقني ببحر هادر الموج حيالي  
لم يكن يخطر يا حب ببالي  
دفنت وجنتك الحرى شفاهي في سؤال  
يا ترى في اي شيء كانت العين تحلّق  
ليلنا ساج .. وعينانا باعماق الاماني الطوال  
يا ترى ماذا ؟ تصرين .. وكفكفت دموعا  
لم تكن الا لهيبا دافقا يحرق قلبي  
لم تكن الا شتاء عاصفا يجتاح حبي  
وهضيت .. الموكب الصдах يخبو .. يتلاشى  
وجناز يحمل القلبين في الصمت يسير  
يا ترى ماذا ؟ واطرقت وناديت ابي !!  
وانا ثاو باعماق الهوى .. اني غبي !!  
وتهاويت على جرح قديم في جبينى  
يحمل الثورة والاصرار والعزم على مر سنينى  
ثم قبلت وقبلت .. كفى

عبد العزيز النعماني

القاهرة



# المثقفون والمجتمع العربي

بقلم علي بدور

نفس الانسان المثقف ، لقضايا وطنه وشعبه والانسانية جمعاء . اما ان تكون بين بين ، فهنا الوقفة للتأمل والاستبصار . ان مجتمعنا العربي ، حافل بالنماذج الثلاثة ، فيه من تعلموا وثقفوا ، ولكنهم فرديون انانيون لا يسألون عن شيء خارج ذواتهم - قد يعجب بهم الاجنبي الغريب - ولكن سرعان ما يملهم ، ان ثقافتهم كانت السبيل الوحيد لعزلهم عن مجموع الشعب وعن تاريخه وامله في الحياة . فجيلنا او الجيل الذي سبقنا ، تثقف في مدارس وتربى في بيئات مختلفة . درس في برامج انكليزية وفرنسية وعربية ومتظاهرة بالعروبة . فاذا التقى اربعة ممن درسوا في هذه البرامج ، حصدوا ما بذرت فيهم الثقافة المختلفة من شتيات الآراء والعلوم والنظريات . وقد مر على هذه البلاد عهد كانت الناشئة فيه تعلم تاريخا غير تاريخها ، ولغة ليست لغتها وتعرف عن عالم بعيد اكثر مما تعرف عن العالم الذي تعيش فيه ، وتقف على ارضه الصلبة بكتلنا القدمين . كان البطل نابليون وليس خالدا . وكان الشاعر لامارتين وليس المتنبي او المعري . وكان الزعيم كرومويل او دانتون وليس احد العمرين . اننا لانادي بالانغلاق على الذات ، ولكننا ننادي بثقافة متحررة واعية ، تبدأ بالوطن اول ماتبدأ ثم تنتهي بالعالم اذا اردت ان لاتقف عن الحركة والتقدم . اننا نريد ان يكون للثقافة مالحنان الام الذي يرضعه الطفل مع حليبها ، وماذا ينفع الطفل اذا فقد الام وحنانها ، وجود عشر مرضعات تحمل كل واحدة منهن زجاجة من الحليب المعقم ؟ فقد مر حين على هذا البلد ، كانت الثقافة فيه موجهة لصالح فئة تريد ان يكون الشعب معصوب العينين بشريط احمر - كما اردت فئة اخرى ان تعصبه بشريط ازرق ذي نجوم .. واذا كان الحديث عن الاموات يعد اغتيالنا فاننا لسنا مقتابين اذا قلنا ان سياسة العصاب على مختلف الوانها قد فشلت . فلا المفرطون في التطرف الثقافي او الثقافة المعقمة ، ولا المفرطون في الاتجاه المحدود والطريق المسدود ، يمكنهم ان يكونوا ذات يوم قادرين ، على اتاحة الفرص امام الشعب ليستفيد من ثقافتهم وتجربتهم في الحياة . ان الذين سوف يفيدون الوطن هم الذين يؤمنون بشخصية امتهم وفكرهم القومي ووحدة وطنهم ونضال الاحرار ، لتحرير الاجزاء المستعبدة وخلق المجتمع العربي الجديد الذي يطمحون اليه ، لترفع عليه راية الرفاهية والعدالة والسلام .

## (( المثقفون والمشكلات الفكرية ))

ان ادق مايمكن ان يوصف به تطور المجتمع العربي الحديث ، هو انه مجتمع يتطور وفق نمو وتكامل مضمون القومية العربية . اذ ان القومية العربية ليست سلاحا لرد الغزاة وطرد الاستعمار فحسب ، بقدر ماهي ايضا ، مبدا للبناء وتحقيق العدالة والرفاهية لآبناء الامة العربية

شغلت قضية المثقفين والمجتمع الجديد ، اذهان المثقفين انفسهم منذ اقدم العصور . فمهد حضارة اليونان والرومان والعرب ، وحتى عصر النهضة في اوربا ، والعصر الحديث ، لاتزال قضية الثقافة تتوالى فصولا . فمن اين جاءت هذه الطفرة الانسانية التي لم يقدر لها ان تنتهي الى سكينه وقرار ؟ لعلها نزوع الانسان الدائم عن واقع يغالسه مريضا ، والعودة اليه بأسلحة الانقاذ ، وكانت هذه الاسلحة متنوعة : مرة كانت سيفا ومرة قلما ... مرة قنبلة ومرة ضمادا . ولكن الثقافة عموما ، كانت تخلق للمجتمعات اساتذة ونقادا يوجهون سفن المجتمع فلا تطمرها جبال الجليد العائمة في البحار الواسعة ، واجيانا كان هؤلاء الاساتذة والنقاد يتخلون عن دور القيادة والتوجيه ليتخذوا دور من يؤرخ الكارثة . وقد مر على البشرية عهد كان الكتاب يبرون اقلامهم بسيوف الطفافة ، ثم جاء عهد ازدهر فيه الفكر واضحت محافظ الكتب قرابا لهذه السيوف النزقة لاشهر الايامها - واضحت الاقلام مخلصه لواقعها ومستقبلها . وستبقى كذلك مادامت تغمس بدم القلب النفسي . والانسان وهو في اوج قلقه الفكري واصطرعه لبناء الحضارة ، لايزال على ثقة بان الفكر وحده ، سوف ينقذه من وهدة الهمجية التي تردى فيها . والعالم الذي كان عبارة عن قبائل اضحى دولا .. والدول التي كانت في ايام من يقول : « انا الدولة » ، اضحت اليوم تأخذ طريق الاتجاهات الفكرية الجماعية التي تمثل تطور الحضارة الانسانية والمجتمع البشري . لقد كان العالم مثل علبة دبائيس متناثرة ، ولكن الاتجاهات التي تمثل دور قطع المغناطيس ، قد جذبت اليها مائتات من دول وشعوب وامم . وكان ان شهدنا بعد الحرب العالمية الثانية - ولاول مرة في التاريخ البشري - تكتلات مذهبية . فمن كتلة غربية الى كتلة شرقية ، الى كتل اخرى تنادي بالحياد عن هاتين الكتلتين المتصارعتين . والعالم بعد ان كان مجهولا اضحى معلوما ، الى درجة استطاع فيها ارسال التحيات العطرة ملفوفة في جيب صاروخ بين موسكو وواشنطن فلا تخطئ التحية طريقها رغم بعد المسافة . فابن نحن من هذا كله .. اين الثقافة العربية والمثقفون العرب بناء المجتمع العربي الجديد ، واين مجتمعنا الجديد على التخصيص ؟

ليست الثقافة شيئا منفصلا عن الحياة . انها اداة فهم الحياة الحققة . وبدونها يستوى الجهاد والانسان . وقد شغلت الثقافة الامم ، قديما وحديثا . اتكون موجهة ؟ ام تكون حرة ؟ ام بين بين ؟ لعلها وهي موجهة اشبه ماتكون بالطعام المحفوظ الذي طال عليه الابد . اما ان تكون حرة بلا ضابط ولا رقيب ، فهي بذلك تستوي والجهل . بل لعل في الجاهل من الاخلاص لوطنه اذا اثير ولقومه اذا استنجد مائيس في المثقف الذي اتقن عدة لغات ، كما لو انه اقتنى مجموعة من اربطة العنق ، ليس عنده الرصيد الحي من الحماسة التي تولدها الثقافة الواعية ، في

من المحيط الى الخليج . واذا كان علينا ان نيسط رأي القومية العربية في مشكلات مجتمعتنا - من حيث وجوده السياسي والاجتماعي والقومي وتكوين الوسيلة الفعالة لتحرير العرب من الاستعمار وتوحيدهم وبناء عالمهم القنيد ، فان الاساس الذي يمكن ان تجري عليه مثل هذه الدراسة التحليلية يجب ان يكون مسبقا بلمحة خاطفة عن دور المثقفين في بناء هذا العالم الجديد .

يتساءل المثقفون دائما عن مشكلاتنا الاجتماعية والفكرية التي تمنع بناء المجتمع العربي الجديد . وهم اذا اختلفوا في تحديدها ، فانهم قد اختلفوا في اقتراح طرق معالجتها . ولا يعني هنا في قليل او كثير ان نعدد مقترحاتهم - بعد ان نعدد المشكلات التي ارادوا معالجتها ، مادام لاغنى عن المساهمة في تعداد تلك المشكلات ووضع الحلول لها . رغم اننا لن نطيل فيها ، اذ يكفي ان نعدد امراض مجتمعتنا ، وان نبين المشكلات التي يطرحها تطور فكرنا السياسي ، والقومي ، والفلسفي ، غير ناسين الاداة التي يمكن ان تتبلور بحسبها هذه العناصر ، وتؤثر في بناء المجتمع الجديد ، حسب ما تقتضيه ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية ، ذلك الذي بدأت تعمل له ثورة مصر العربية منذ عام ١٩٥٢ ، والجمهورية العربية المتحدة منذ عام ١٩٥٨ ، نواة الدولة العربية والمجتمع العربي الجديد ، في غد افضل .

ان امراض مجتمعتنا العربي ثلاثة : مرض القيادة السياسية والفكرية ومرض السيادة القومية . ومرض التطور الاجتماعي . فقد كانت القيادة السياسية للمجتمع العربي ، بعيدة عن الشعور بالانتفاضة الثورية التي بدأت تعيشها الامة العربية ، ذلك انها ممثلة لخلاصة اوجه التطور القيادي الخاطئ في المجتمع ، التي تكونت طيلة اربعة قرون من عهود الظلام الاخيرة . وهي بحكم وجودها الطبقي ودفاعها عن مصالحها ، لاستطيع ان تتبنى الدفاع عن حرية العرب واستقلالهم وبناء عالم وحدتهم الكبرى . اما القيادة الفكرية فقد كانت بعيدة عن فهم روح الشعب وتاريخه المجيد وثقافته القومية ، لانها نهلت الكثير من مبادئ الثقافات الاجنبية ، دون ان يكون هناك اساس حي للثقافة القومية ترتكز عليه تلك المعارف العصرية الغربية . وبعد ان تأمر الاستعمار والقيادة السياسية على خنق روح الاصالة في اللغة العربية والتاريخ العربي - وهما قوام كل فكر قومي متحرر - تيسر للثقافات الغربية ان تثبت الكثيرين من مميثقافة الذين امسكوا بزمام القيادة الفكرية في وقت كانوا فيه ، كالحشاش والطحالب التي تثبت على جوانب المياه الراكدة الاسنة ، فنشأ بين ظهرائي الامة العربية ، فريق من المثقفين ، ارادوا الانحراف بالوجدان القومي نحو اليسار ، لعدم ايمانهم باصالة شعبهم وتاريخه وزحفه البطولي القدس . كما اراد فريق اخر ان ينحرفوا بالمجتمع نحو اليمين، ولو ادى ذلك الى تمزق فئة ثالثة كانت تمثل ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية ، منادية بضرورة محاربة القيادة السياسية المنحرفة ، والقيادة الفكرية الضالة ، والايمان بآمال العرب في التحرر والوحدة . والى جانب مرض القيادة بشقيه السياسي والفكري . كان المجتمع العربي يشكو من الاستعمار بنوعيه المادي والمذهبي ، اللذين اخلا بسيادته القومية . فالاستعمار المادي اذا كان يخل بسيادته المادية فان الفزمو المذهبي يقوض اسس جهاده القومي للم شمله الممزق وبناء مجتمعه القنيد . اما مرض التطور الاجتماعي ، فتتمثل فيه خلاصة مشكلاتنا الاجتماعية في الاقطاع وسيطرة رأس المال وتسلمه على الحكم ، وتناقض مناحي التطور بعضها مع بعض . . حيث المجتمعات القديمة تعيش بكافة

رواسبها ، وحيث المدن المتطورة والريف المتأخر ، كالبقرة وحلابها . حيث الفقر والمرض والجهل الى جانب الاستغلال والاستثمار والتحكم . ولكن قيام الثورة العربية عام ١٩٥٢ ، وتصديها لمعالجة هذه الامراض جميعا قد طرح لأول مرة امام الفئات المثقفة ، والقومية منها بوجه خاص ، فرسا فسيحة لمعالجة ومراجعة كافة ماعلق بها من مفاهيم خاطئة تتصل بتطور فكرنا السياسي ، والقومي ، والفلسفي ، واداة الحكم الكفيلة بالقضاء على امراض مجتمعتنا التي يشكو منها ، وفق ماينعكس عن مناحي تطور الفكر السياسي والقومي والفلسفي ، ووفق مضمون حي للقومية العربية يكفل تحقيق مجتمع عربي جديد يطمح اليه الشعب ، والمخلصون من مثقفيه بصورة خاصة .

### (( مشكلات الفكر السياسي ))

تبرز لنا في القطاع السياسي من فكرنا ، ثلاث مشكلات : مشكلة الديمقراطية ، ومشكلة الحزبية ، ومشكلة او قضية الاتحاد القومي . اما الديمقراطية القائمة على مفهومها المدرسي المتمثل في الاحزاب والبرلمان والوزارة المسؤولة ورئيس الجمهورية غير المسؤول ، فقد ثبت فشلها ، بعد ان اثبت واقعا العربي انه لا سبيل الى الخلاص ، من مرض القيادة السياسية ، الا بالخلاص من الانظمة التي تيسر لهذه القيادة فرص العمل فلولا خلاص مصر الثورة من القيادة السياسية ، لما استطاعت الخلاص من الاستعمار . ولولا الخلاص من الاثنين ، لما امكن المباشرة في تطوير الشعب نحو الاشتراكية . والديمقراطية على صورتها المعروفة في الشرق العربي لم ترسخ في اوربا الا بعد قرنين من المعاناة السياسية ، حتى اذا استقرت على اسس ومبادئ واضحة ، كان الشعب متمتعا بتنظيم دقيق ، يشمل كافة جمعياته ونقابات واحزابه السياسية . واضحت نسبة التعليم تقارب المئة . والتأمين الاجتماعي قد طبق على اكثر فئات الشعب . والشعب قد وصل في القطاع الصناعي الى المرتبة الممتازة ، وفي القطاع الزراعي قد حلت مشكلة الملكيات الكبيرة ، سواء بتوزيع الاراضي الفائضة على صغار الفلاحين ، او ادخال الآلة على نطاق واسع الى الحقول واختصار عدد العمال فيها الى اقصى حد ممكن . واضحت فكرة الوطنية فكرة مقدسة . ولم تعد الخيانة الصريحة ، عبارة عن وجهة نظر - يمكن ان ينادي بها الحزب في الشارع او تحت قبة البرلمان - كما كان الحال عندنا في يوم من الايام . ولعله من السخري ان نعمل نحن بمثل هذه القوانين التقدمية جدا وان نسلم تنفيذها والسهر عليها الى ممثلي خميرة الفساد الاجتماعي ، التي ظلت في دنان التطور محبوسة طيلة اربع قرون او تزيد . ان الديمقراطية قد تكون مرادفة للحرية . ولكن الحرية تفقدو استعبادا اذا كانت ستحول دون تحقيق العلم للجاهل ، والارض للفلاح الصغير ، والسكن لمن بات في المراء ، والقصاص العادل للثائن في حق وطنه وامته ، والموت السياسي للفئات التي تدعو الى عقد الصفقات الكبيرة ، تباع فيها من الاجنبي ، ارض الوطن وشعبه ، ليحارب به ، ومن عليها ، اعداءه او تؤخر تطور الشعب في مجاله القومي فتحرره من تحقيق وحدته القومية واقامة عالم يسوده الرخاء والعدل والامن .

اما مشكلة الحزبية ، فانها صنو الديمقراطية . والاحزاب في ظل الديمقراطية الصحيحة تفقدو سرجة للنون والهدى . ولكنها في ظل الديمقراطية المزيفة ، تفقدو اوكارا للرجعية ، والخيانة ، وانصار اليمين واليسار . ولا تستطع ، في مثل هذا الجو الطافح بالخيانة والاجرام ، اية فئة مثقفة مخلص لايتها وفكرها القومي ان تعمل العمل الصحيح .



صاعدة ، وبناء مجتمع جديد ، عن طريق التعاون بين كافة فئات الشعب بأسلوب ديمقراطي ، لتحقيق الاشتراكية العربية .

### (( مشكلات الفكر القومي ))

تعرضنا ونحن نبث في فكرنا القومي مشكلات عديدة . ولكن اهمها في اعتقادي مشكلة التاريخ القومي للامة العربية ، ومشكلة مبررات الوحدة بين البلاد العربية ، وموقف القومية العربية من تواريخ الشعوب المنقرضة التي عاشت في المنطقة . ومشكلة التجزئة وما اخذ يدور حولها لاعتبارها حدودا لقوميات منفصلة تعيش داخلها يشجع على اقامتها الاستعمار كما هو الحال في عدن او انصار الشوعية والتبعية في العراق .

ان تاريخ العرب القومي هو امتداد العرب وتفاعلهم ضمن حدود المكان والزمان . فالكان بين المحيط والخليج ، والزمان منذ ان بدأ سكان المنطقة يتكلمون اللغة العربية ويعيشون تاريخ الامة العربية . واذا كانت الارض العربية من المحيط الى الخليج ، قد كانت في التاريخ القديم ، في بعض اجزاء منها ، مسرحا لحركة تفاعل ادتها شعوب اخرى ليس منها الشعب العربي ، وتمثلت في حضارات متنوعة ليس منها الحضارة العربية ، فان الامة العربية بوجودها الحي قد وضعت على رف التاريخ القديم ، سير كل هذه الشعوب المنقرضة بتواريخها ولغاتها اليتية وعاداتها الاجتماعية التي لم يعد احد يتبناها او يعرفها ، بعد ان حلت محلها اللغة العربية والعادات العربية والحياة العربية . ولكن للاستعمار وانصاره غير هذا الرأي في موضوع التاريخ العربي . اذ بعد ان مزق الاستعمار عالمنا العربي الى دويلات اخضعها لامره ، حاول بكل قواه ، ان يبعث من القبور ، حضارات قديمة في المنطقة . فقال هو وانصاره في لبنان ان الفينيقيين لا يزالون احياء ونادوا بالامة السورية . وقال هو وانصاره في مصر ، ان المصريين فراعنة . وهكذا فعل بالاشورية والحثية والكلدانية والبرابرة ، معتمدا بذلك ، على تسلطه على الثقافة ، وتوجيهها حسب مشيئته الى جانب اغفال التاريخ العربي وابطاله القوميين ، فصار هاني بعل الاسطورة بطلا سوريا ، وصار رمسيس وامنحتب من الابطال المصريين ، والفاتحين ومؤسسي الامبراطوريات . ولقد انبت هذا التوجيه الاستعماري ، بعض المثقفين الذين اخذوا يتكلمون بفينيقية لبنان وفرعونية مصر وبابلية العراق ، وبربرية المغرب العربي كله . واضحت الخطة هي : احياء قوميات منقرضة لتدعم الحدود السياسية التي اقامها الاستعمار . الى جانب محاربة القومية العربية الداعية الى مكافحة الاستعمار واجلائه واعادة العالم العربي الممزق الى التوب الاصيل . ومن المثقفين العرب القوميون الذين تعرضوا لمشكلة القوميات المنقرضة في المنطقة وغرض الاستعمار من ورائها ، سيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر . فقد تناول سيادته مشكلة الفرعونية واشباهها مرتين . مرة عندما كان في اللاذقية خلال شهر اذار « مارس » الماضي عندما تعرض للفرعونية ونعتها بانها دعوة استعمارية كان يروج لها الاستعمار البريطاني لعزل مصر عن العالم العربي ، ولكن مصر ضربت الطوق الذي احكمه حولها الاستعمار وعادت الى صف اخواتها العربيات للمساهمة في حمل مشعل القومية العربية . وفي المرة الثانية ، في خطابه الذي القاه مساء ٢٢ - تموز « يوليو » الماضي ، في ذكرى الاحتفال بعيد الثورة السابع . فقال :

استطعنا نحن ان نرى القومية العربية .. نراها رايأ سليما . نرى

فاذا كنا مخلصين حقا لفكرة التحرر من القيادة السياسية ومن الاستعمار لاقامة عالم عربي متحرر ، فاننا لانستطيع ان نحقق امالنا عن طريق الحزبية . واليوم ، وفي كل يوم ستبقى الديمقراطية ذات المفهوم المدرسي ، العدو الاول والاخير ، لكل وحدة او اتحاد بين الدول العربية وحتى ثورة مصر ، لو كانت قد اخذت بمبدأ السماح بتأليف الاحزاب ، لما كانت اليوم تحمل على اكتافها عبء الدعوة للقومية العربية والوحدة العربية بين المحيط والخليج . ولذلك فمن غير المعقول ان يسمح بالعمل الحزبي في ظل دولة تعمل للوحدة او الاتحاد او التضامن العربي . والى ان يتحرر المجتمع العربي من مرض القيادة ومن الاستعمار ، ويقيم الحكم الذي يعبر عن ارادة الامة العربية ، بيد السماح بالعمل الحزبي وممارسته من قبل انصار الرجعية وانصار الاستعمار المذهبي ، خيانة في حق الامة العربية وتاريخها القومي واهدافها السامية .

والاتحاد القومي ، كفكرة سليمة يجتمع حولها الشعب كله - ونظام تنفر عنه كافة السلطات في الدولة ، وكروح فاعلة ، تمتد بالحياة اية بقعة من بقاع الوطن ، وكبدا ، لبناء المجتمع الجديد في كافة قطاعات البناء ، وتجميع ، يضم كافة فئات الشعب من العمال الى ارباب العمل ، ومن المالكين الكبار الى المالكين الصغار والذين لا يملكون شيئا ، ومن ارباب الحرف والمهن الى اصحاب المعامل والمساهمين في الشركات ، ومن المثقفين الى موجهي الثقافة ، ومن اصغر مواطن الى رئيس الجمهورية : ان ذلك كله يبدو انه الطريق الطبيعي للسير في طريق العمل الجدي الثمر ، مادامنا نعطي للمعاني حقها من الالفاظ التي تستوعبها . ان طريق الاتحاد القومي هو الايمان بفكرة . والجهاد في سبيل عقيدة امة

## دواوين نزار قباني

من منشورات دار الاداب

### الثلثون

قالت لي السمراء	٥٠٠ ق.ل
طفولة نهد	٣٠٠ ق.ل
انت لي	٢٥٠ ق.ل
سامبا	١٠٠ ق.ل
قصائد نزار قباني	٣٠٠ ق.ل

زينة لكل مكتبة

دار الاداب

بيروت - ص.ب ٤١٢٢

تعلم الأمة العربية ، رأي القومية العربية في الحركات الانفصالية ، في كل مكان يرتفع فيه للاستعمار واعوانه رأس لتهدى عليه قدم . رغم ان القومية العربية في الاساس ، هي فكرة لا تقوم على دعوة عنصرية او عرقية . انها حضارة وثقافة في رأس العرب . والعربي هو من عاش بين حدي المحيط والخليج ، وشارك المواطنين في بناء حياتهم والهدف من القيم التي يؤمنون بها ، تلك القيم التي تميز شخصيتهم القومية وفكرهم ومجتمعهم ، ومطامحهم وامالهم الممتدة عبر المستقبل .

### « مشكلات الفكر الفلسفي »

ذهب كثير من مثقفينا الى محاولة النقاش والدراسة لا ابتكار مذهب عربي يلصقونه بمضمون القومية العربية ، مدعين لذلك ان للغرب فلسفته الخاصة به ، وان للشرق فلسفته الخاصة به ، فلماذا لا يكون للعرب فلسفتهم الخاصة بهم ايضا ؟ ولكننا نريد ان نتساءل ، هل جاءت المذاهب المعاصرة عن طريق وضع فلسفات واضحة المعالم ، ام عن طريق تطور الحضارة الحديثة ؟ وبمعنى اخر ، هل كانت عن طريق الافكار المجردة التي ليس فوقها امثلة مادية كما يرى فلاسفة الغرب وعلى رأسهم هيغل ؟ ام عن طريق تطور وسائل الانتاج ومضاعفات هذا التطور ، كما يرى الفلاسفة الشيوعيين وعلى رأسهم ماركس وانجلز ؟ ذلك ان اي تفكير مماثل قبل الاجابة على هذه الاسئلة ، لايجاد فلسفة عربية ، سوف يصطدم بواقع تطورنا السياسي والقومي والاقتصادي . لاننا لانزال كي نتخذ موقفا عربويا ، كاتجاه فلسفي ، بحاجة الى مستويات مماثلة الى تفاعل داخلي .. الى ترابط بين جزئيات الفكرة لتؤلف فكرة كبيرة ، دقيقة ماثلة في العيون والاذهان والقلوب ، واضحة المعالم والحدود .

ويكاد ينقسم المنادون بهذه الدعوة الى قسمين : قسم صادق الرأي مخلص النية ، يحاول بدافع ايمانه بالقومية العربية ، والامة العربية ووحدة العالم العربي ، ان يدعو الى هذا التمدد الجديد ، ليضفي على مفهوم القومية العربية ، كامل مستلزمات الدعوة الجديدة كرسالة تحرر من الاستعمار المادي والمذهبي من اجل الوحدة ، ورفع مستوى الفرد وتطبيق العدالة والمساواة بين المواطنين ، وتوضيح موقف المواطن من الدولة ، والدولة من المواطن ، وقضية الحرية ، والسلطة ، والملكية والنشاط الفردي ، والارث ، وهلم جرا . اما الفريق الاخر فانه يناقش الموضوع من زاوية مفارقة ، تظهر بساطة دعوة القومية العربية واطهارها بمظهر العاجز عن اثبات وجوده وسط زحام العالم المتصارع بمذهبه .. وان القضية العربية ليست على درجة من النضج ، ليصح اعتبارها متكاملة القواعد والاسس ، محددة السمات والابعاد . وقد لا يكتفي هذا الفريق بذلك بل يظهر مدى التفاوت في التقدم من قطر الى قطر ، ومدى اختلاف الجذور التاريخية لسكان هذه الاقطار واستحالة توحيدهم لتسطر رسالة التقدم والحرية والاخاء !

الذي يخيل الي ان العروبة ليست بحاجة الى مذهب اسوة بالكيانات الاخرى . بل هي بحاجة الى ان تبين موقعها على خريطة العالم ، واتجاهها السياسي والاقتصادي ، وتعاملها مع اي من المعسكرين في المجال الدولي او كليهما . ان العروبة تسعى لان تلم كيائها المادي . هذه حقيقة مهمة يجب الالتفات اليها ، والى ان يتم جمع هذا الكيان في دولة موحدة او اتحادية ينبغي وضع خطة لا مذهب . خطه موقته تنتهي مهمتها عندما تصل العروبة الى هدفها القصير . فاذا وصلت الى هدفها هذا بالذات لم نستطع ان نتنبأ ولكننا نستطيع ان نقول انها هناك يمكن لها ان تفكر

القومية العربية التي حاول الاستعمار البريطاني منذ ان وصل الى بلادنا ان يبعثنا عنها . ويحاول الاستعمار ان يبت في انفسنا مسن الافكار ما يجعلنا نعتقد اننا لسنا عربا ، وللسنا جزءا من الامة العربية . استطعنا رغم هذه المحاولات التي استمرت - ٧٥ - سنة ان نرى الدعوة الفرعونية التي حاول الاستعمار ان يبثها بيننا ، ضمن الدعوات التي حاول ان يبثها ضمن الامة العربية ، انما هي محاولة زائفة ، يحاول الاستعمار بها ان يحطم الامة العربية ليقتضي عليها جزءا جزءا ويقتضي على العرب والقومية العربية لتحل محلها قوميات اخرى . استطعنا نحن ان نعرف مكاننا وان نعرف تاريخنا وشخصيتنا ونعرف اننا عرب ونعلن عروبتنا ونعلن دستورنا اننا جزء من الامة العربية ونعود الى مكاننا الطبيعي الذي كنا فيه .

وهكذا فقد اعلن الفكر القومي العربي رايه في القوميات التي حاول الاستعمار ان يبثها بيننا في المنطقة كالفينيقية والاشورية والحثية والكلدانية ، ومن بينها الفرعونية بقصد : تحطيم الامة العربية والقضاء عليها جزءا جزءا والقضاء على العرب والقومية العربية لتحل محلها قوميات اخرى ، على حد تعبير سيادته .

وموضوع الدعوات المنحرفة هذا يقودنا الى موضوع مبررات الوحدة بين البلاد العربية . ان مبررات الوحدة كائنة في التاريخ العربي وحده . وليس في تواريخ هذه الامم والشعوب المنقرضة في المنطقة . فلا يعقل ان نستشهد بمعركة خاضها فاتح من الفاتحين القدامى ، على عوامل الوحدة بين بلدين عربيين مثلا . والرئيس عبد الناصر في كل خطبه لم يستشهد الا بمعركة حطين وعين جالوت ، اللتين تم فيهما طرد الفسزو الاوروبي وغزو التتار . انه لم يستشهد وحاشاه ان يفعل بوصول جيوش امحتب الى اراضي الاقليم الشمالي في ٢٦ ايار « مايو » لاول مرة منذ ٢٤٠٠ سنة محقة بذلك الاتحاد بين مصر والاقليم الشمالي لاول مرة على حد قول محرر الاهرام في العدد الصادر بتاريخ ٢٢ - ٥ - ١٩٥٩ « الصفحة الخامسة » . ولم يستشهد بمعارك رمسيس ضد الحثيين ، لان ذلك معناه الاعتراف بامتداد تواريخ هذه القوميات المنقرضة الى تاريخنا الحديث . اذ كيف يجوز اصلا ان نسمي المعارك القديمة معارك وحدة في وقت كان يؤرخها التاريخ القديم نفسه على انها صراع وغزو ، ولم يكن هناك فكرة القومية العربية الرامية الى التحرر والتوحيد ؟

هذا ماثيره فكرة التاريخ القومي للامة العربية ، ومشكلة مبررات الوحدة - على ضوء التاريخ - بين البلاد العربية . اما ماثيره فكرة التجزئة وما يدور حولها من عوامل انشاء وطن قومي ، اسوة بماحدث في نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ ، فالامة العربية من محيطها الى خليجها لاتعترف بالتجزئة التي اقامها الاستعمار ضمن الرقعة العربية . وهي نتيجة لذلك لاتعترف باية نسبة تعلقها فئة من الفئات داخل اية رقعة حدد لها الاستعمار ، حدودها حسب الجهات الاربع . لان الوطن العربي وحدة لاقسمة فيه ، وكل عربي له جزء يخصه كفرد من الوطن العربي الكبير . ولن تنجح محاولات الانكليز في عدن لجعل العناصر المحبوبة من بلاد الكومنولث البريطاني اكثرية ، وكذلك لن تنجح محاولات انصار الشعوبية والانحراف في العراق لقطع كل صلة للعراق العربي بالعروبة . ولان العروبة اذا ارادت ان تحصى عددهم ماداموا قد ارادوا الخروج عن صفها ، فلن تحصيه على اساس نسبتهم الى سكان العراق بوضعه الحالي الذي اقامه الاستعمار ، بل ستحصيهم على اساس نسبتهم الى سكان العالم العربي ، كوحدة متماسكة ، من المحيط الى الخليج . وهكذا

في الفلسفة وفي اعتناق المذاهب الجديدة ، مادامت تنبع من أرضها وثقافتها ومجتمعها ، ليست شرقية او غربية ، ولكن اشبه بالزيتونة التي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار . ان الوحدة الشاملة ليس مبررها المذهب الفلسفي . والعالم العربي الواحد ليس مبرره المذهب الفلسفي . واستباق الحوادث لن يسهل اختراع هذا المذهب . اذ لا يعقل ان يكون عندنا فلسفة عربية ، قبل ان نتحرر من الاستعمار ، ونتوحد ونطور ، وفق نسق واحد ، عند ذلك قد تثبت الفلسفة العربية وسط هذه البيئة العامرة بكل مقومات الحياة الخالقة ، كما نبتت ذات يوم في بغداد ، عندما استوى المجتمع والفكر والتقدم . ان الفلسفة اصعب من كافة فنون الادب . ونحن لا نزال حتى اليوم بلا ادب عربي يمثل وجه العروبة المضيء ويعبر عن خلجات قلبها الصافي فهل يكون عندنا فلسفة تصل الى درجة تفلسف فيها فكرة القومية العربية ؟ لعل المثقفين المهتمين بفلسفة العروبة ان يوجهوا جهودهم الى تجويد ادبهم من شعر وبحت وقصة ، فكل ظني انهم يساهمون - ان فعلوا - الى حد كبير في تحقيق البيئة الصالحة التي تنمو في رحابها بذور الفلسفة ، وبراعم التفكير الفلسفي العتيق .

كان الفكر العربي الحديث وفي مجاله القومي بالذات يدور فسي حلقة مفرغة ، لا من حيث المساهمة في شرح عوامل واسباب وحسنة العرب ووحدة تاريخهم ، بل من حيث ايجاد الوسيلة التي يمكن ان تحقق وحدة العالم العربي ، وتعالج امراض القيادة والسيادة والتطور ، وتعطي الرأي الحاسم في مفهوم الديمقراطية المدرسي والحزبية المتنازعة ، والاتجاهات المذهبية الرامية الى تفكيك العالم العربي ، وتبين بشكل واضح دور الدول العربية ، الصغيرة منها والكبيرة في معركة التحرر والوحدة وتسهم الى حد كبير في تخطيط طريق الحياض المادي عن الغرب والمذهبي عن الشرق ، وتدقق على موقف العروبة من اسرائيل ، ومن الاستعمار الذي يساندها ، وتضع لاول مرة في تاريخ الفكر العربي ، بذور الفلسفة العربية المنتظرة ، وبراعم التفكير الفلسفي العتيق ، وتتيح للعقل العربي ان يدع ذاته ، ويعبر عن مكنون هذه الذات الخالقة . ان الاسس العشرة التي سنوردها فيما يلي - رغم انها وضعت عام ١٩٥٧ - لا تزال تعبر عن حقيقة وضعنا الاجتماعي وتعالج امراضنا في القيادة والسيادة والتطور وتحسم الرأي في مشكلات تطورنا السياسي والقومي والفلسفي ، وتضع العروبة في حال الاخذ بها والدعوة لها ، على عتبة المجتمع الواحد والفكر الواحد ، وبذور الفلسفة المنتظرة :

١ - العروبة لا يوجد الا بقاؤها على الحياض بين المعسكرين ، وما شئت السياسة الدولية ان توزع العالم الى معسكرات . العروبة مع معسكر العروبة .

٢ - حياض العروبة ايجابي لا سلبي . بمعنى انها تتعاون مع كل معسكر في الحدود التي لا تجعلها في نظر المعسكر الاخر متحيزة ضده . والعروبة هي التي تقدر هذه الحدود ، وليس احد المعسكرين او كلاهما .

٣ - الثقافة الانسانية خلاصة السعي البشري نحو الحياة الافضل والاسمى . وعلى العروبة المتطورة والمتحررة ومن واجبها ، ان تنابع تطور العلم لدى المعسكرين . لانها في حال تصارعها الطاحن المبرر المرتقب ، سوف تكون الملجأ الامين للفكر البشري الذي لا يطاله الدمار .

٤ - الاخلاص لفكرة القومية العربية واهدافها في التحرر والوحدة ، واجب كل دولة عربية تحرص على عدم الارتواء في أحضان احد المعسكرين او احد المذهبين . لان ذلك معناه تأخر جمع عناصر الشخصية العربية المستقلة في نطاق حي متكامل منسجم . وكل بعد عن فكرة الحياض المادي

او المذهبي ، من قبل اية دولة عربية يضع نصب اعين الدول العربية الاخرى ، واجب اعادة الدولة الشاردة الى جادة العروبة ولو ادى الامر الى استعمال السلاح .

٥ - ثروات الارض العربية ملك للامة العربية تنفق في رفع شأن شعوبها ومساعدة بعض الدول العربية التي لانساعدها اوضاعها ، على تحمل تبعات الدولة الحديثة ، ريثما تدنو مرحلة النوبان في الكيان العربي الكبير .

٦ - الديمقراطية الغربية القائمة على تعدد الاحزاب وتوزيع المسؤولية بين البرلمان والحكومة واعتبار رئيس الدولة غير مسؤول ، في ظل اوضاعنا الاجتماعية المتأخرة المتنافرة ، تفسد قوى الامة التي ينبغي اعتماد الطرق الكفيلة ، للتجديد بتطورها . فالسرعة في العمل . والعزم . والاعتماد على رأي الاخصائيين كل في مجاله : اسلوب ينبغي اتباعه ، بتطوير أنظمة الحكم في بلادنا نحو حكم لا يقوم على تعدد الاحزاب ولا يفسح المجال للمساومات على حساب مصلحة الامة ، بل يهدف الى اشاعة العلم والصحة والرفاهية في الريف العربي ، ولدى الطبقة المتوسطة ، والدنيا من سكان المدن ، اسوة بما حدث وبما سيحدث في مصر الثورة مؤخرا .

٧ - الاسراع دون ابطاء لاقامة اتحاد بين الدول العربية المتحررة ، والتي لا ترتبط مع اي معسكر من المعسكرين بقيود واتفاقيات او معاهدات ، تؤثر على سير هذه الدول وتطورها في زحمة الصراع العالمي .

٨ - ان مصر اليوم هي الدولة الاكثر نشاطا والاوفر قوة ، للقيام بالدور الذي يتوجب عليها ان تقوم به ، كدولة كبرى ، في مجموعة الدول العربية . وهذا ما يجب ان تعترف به الدول العربية جميعا بما فيها مصر كما ان اسرائيل والاستعمار الذي يدعمها ، هما السرطان الذي يؤخر تحقيق الاتحاد بين الدول العربية ، سواء على نطاقه الضيق او الواسع . ولا وحدة شاملة بوجود اسرائيل ، كما انه لا زوال لاسرائيل بدون الاعتراف بدور مصر الرئيسي في تصفية الوحدة الشاملة بالذات . ولا وحدة بدون حياض .

٩ - تصفية متناقضات الحياة الاجتماعية ، بالافلال من اخطار الالة على المجتمع العربي ، وتقوية الجيوش المزودة بالعلم والفن : مظهران من مظاهر كل دولة عربية تسعى نحو الاتحاد او الوحدة . . احدهما كياسة داخلية قائمة على الاخذ بمبدأ العدالة الاجتماعية وتخفيض الفروق بين الطبقات ، باعتماد الضرائب التصاعدية . . وثانيهما كياسة خارجية تقوم على مبدأ وضع السيف في موضع السيف ، والندى في موضع الندى .

١٠ - من تاريخ الشعوب الحية ومن روح الحضارة الحديثة القائمة على كلا المذهبين ، ومن خصائص الامم والشعوب ، وقوميتنا المتعلقة بالانسانية ، والانسانية التي رائدها السلام الابدي . ومن الحرص على تجنب النزج بالعروبة - كسحب وقضية - في اتون الخلافات الدولية ، ومن السعي الذي لا يفتقر لجمع الاجزاء العربية المتناثرة في دولة كبرى ، حوافز ومثل وبيئات صالحة تقتبس منها معين صورة باسمه لغدنا الباسم المرتجى ، ونشيد جميعا على هذه الارض العربية ، صرح عروبتنا وصرح بقائنا وامجادنا الماضية والحاضرة ، من القادسية وحطين وعين جالوت ومعركة التحرير في الجزائر وعمان ، وحتى معركة الصومود في بور سعيد .

(( مضمون القومية العربية ))

على ضوء ماتقدم ، من بحثنا في امراض العروبة المتمثلة في القيادة

السياسية والقيادية الفكرية ، والسيادة القومية التي اخل بها الاستعمار بشتى انواعه ، والتطور الاجتماعي المضطرب المتخلف . وبيان عناصر مشكلات فكرنا السياسي ، في الديمقراطية ، والحزبية ، والاتحاد القومي . ومشكلات فكرنا القومي ، في التاريخ القومي للامة العربية ، واسباب الوحدة بين البلاد العربية ، وعدوان انصار الحضارات القديمة - بالتعاون مع الاستعمار - على التاريخ العربي وفكرة الوحدة العربية . وقضية التجزئة ومحاولة الاستعمار وانصار الشعوب والانحراف اقامة اوطان تقتطع من جسم الامة العربية . ومشكلات فكرنا الفلسفي ، لفلسفة العروبة وايجاد مذهب فلسفي القومية العربية ، واعتماد الاسس العشرة كاداة توصلنا الى اهدافنا في الوحدة والحرية والمجتمع الواحد ، الذي تنبت فيه ازهار الفكر والفلسفة . . والمناذاة بتحقيق ماتنطوي عليه ردة فعل الوجدان القومي للامة العربية برفع شان اللغة العربية والتاريخ العربي ، والسير في ركاب شعار « وحدة اللغة ووحدة التاريخ » ، من ذلك كله يمكن لنا ان نستخلص مضمونا للقومية العربية ، فيه عصاره تطورنا وما ينبغي ان يكون عليه في السياسة والمجتمع والاقتصاد والفكر والبناء القومي ، يتلخص بما يلي :

ان هذه العناصر الاساسية الهادفة الى احياء الوجدان القومي باعلاء شان اللغة العربية والتاريخ القومي . والحفاظ على الشخصية العربية فلا تتجزأ من جراء عدوان الحضارات والدعابات الانحرافية والمذاهب العادية عليها . وتحقيق سيادة الامة العربية بطرد الاستعمار . ورسم الطريق للقيادة السياسية المبررة عن روح الامة وحاجاتها واهدافها المثلى . واتاحة الفرص لان تكون القيادة الفكرية موجهة للمجتمع ، حريصة على اشادة بنياننا الفكري من واقع ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا كسلطة لا انفصام لها . وتقليل الفروق بين الطبقات وفق روح العدالة وتكافؤ الفرص . واشاعة المناهج الاشتراكية لخلق مجتمع تقدمي النزعة والاسلوب ومحاربة عدوان التجزئة ومحو الكيانات الهزيلة القائمة . وخط تطور المجتمع العربي نحو الوحدة الشاملة والقيادة الواحدة والتجربة الاجتماعية الكبرى . . ذلك كله مانعبر عنه عندما نقول « القومية العربية » عقيدة كل عربي مدئص من المحيط الى الخليج . وكل محاولة لتعطيل هذا النهج سواء بالانحراف عن معركة الوحدة الى التجزئة . او صبغ مضمون القومية العربية هذا بصبغة تخرجه عن هذا المضمون ، ولونه الصريح ، لما تاباه طبيعة الحركة النضالية التي ينبغي على العرب ان يكرسوا كافة جهودهم ، لتحررهم من الاستعمار ، وخوض معركة الوحدة الشاملة ، ليجد المجتمع العربي الواحد - من المحيط الى الخليج - سبيله في التعبير عن الذات ، واتخاذ الوضع الاجتماعي الذي يفرضه واقعه الداخلي وحده .

### (( دولة المثقفين والمجتمع العربي الجديد ))

كان العرب قبل ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢ ، يؤمنون بافكار عديدة تكاد تتفق كلها ومضمون القومية العربية . ولكن الذي كان ينقصهم ، انما هو بدء تنفيذ هذه الافكار في دنيا الحياة والناس . كانوا بحاجة الى من يمزق ستار الديمقراطية الكاذب ويكشف عن معدن الحزبية الرخيصة . وكانوا بحاجة الى من يشنها حربا صريحة على الاستعمار واعوانه داخل البلاد وخارجها ، ليؤكد سيادة القومية العربية والامة العربية . وكانوا بحاجة الى من يوقف القيادة السياسية عن الاستمرار في الفساد ، وبوجه القيادة الفكرية في الطريق المؤدية الى بعث تاريخنا العربي الاصيل

وتثقيف الجيل بثقافة عربية خالصة . ويمنع انحراف الوجدان القومي نحو اليمين او اليسار . وكانوا بحاجة الى من يخوض معركة الوحدة ويعلمها حربا صريحة على التجزئة والكيانات البعثرة ويدخل معركة الامة الواحدة والقيادة الواحدة والمجتمع الواحد . . فكانت ثورة مصر العربية عام ١٩٥٢ ، ثورة اوضحت بعد سنوات قليلة من عمرها ، مجئها في خدمة القومية العربية ، ومضمونها في السياسة والمجتمع والحكم ، وبعث روح التطور في حياة المجتمع العربي الجديد . وكان هذا التلاقي بين مصر وسوريا ، دليلا على ان العروبة اصالة ، والقومية العربية رسالة ، والوحدة هي مخاض الحرية الحق والبناء الصحيح في عالم جديد تشرق شمس على العرب من المحيط الى الخليج . كما كان من هذا التلاقي بين الاقليمين ، جمهورية عربية متحدة ، هي اشبه بالؤلؤة المفردة في عنق العروبة الخالي من اللآلئ منذ خمسة قرون او اكثر . جمهورية عربية متحدة ليست رجعية لانها تؤمن بالتطور ، وتؤمن ببعث القوى الدفينة في المجتمع وتفسح لها سبيل التطور نحو الاشتراكية والديمقراطية والتعاونية ، وترسم خط سير المجتمع الجديد ، في طريقه القومي الصحيح فلا ينحرف نحو اليمين حيث الاحلاف والرجعية والانحراف في حمة الاستعمار . ولا ينحرف ايضا نحو اليسار ، نحو تعطيل وجدانه القومي الاصيل وتأخير عن خوض معركة الوحدة الشاملة شعارها في ذلك « حياد مادي عن الغرب ، ومنهبي عن الشرق » دون ان تغلق نافذة الاخذ والعطاء مع العالم كله ، لمد الحياة العربية والفكر العربي بما يصدر عن حس سليم وطوعية حرة مبدعة .

حمص

علي بدور

## شعر

### من منشورات دار الاداب

الناس في بلادي	صلاح عبد الصبور
قصائد عربية	سليمان العيسى
مدينة بلا قلب	احمد عبد المعطي حجازي
عائدون	يوسف الخطيب

### دار الاداب

بيروت - ص.ب ١٢٢٣



# قصيدة الى الفجر

خلّي العملاق المتواني ، خلّي المارد  
يخلق ، يجبل ، طين الارض  
عينني آدم  
ومصير المخدول العالم  
بسياط الحبة او البغض ،  
قولي يكفر ، يتأله ،  
يمتد ، يحطم ، يستعمر  
مات الافيون - القندر  
مات المذموم - التسبيح  
فليهدر في القمم النهر  
وتسر كيف نشاء الريح  
والابراج  
لتكن مانهوى الابراج  
لتصر حطبا  
او سهلا او منشور هبا  
لايولد فيه الكهان  
ويموت الناس بلا كفن  
وبلا وطن  
في قلب العتمة ، في الصمت  
كرماد الجيفة ، كالوت .  
حسن النجمي قطر

لا امطار  
الثار ينجّي ، والثار  
مازال شظايا امنيّه  
كالحرية ،  
كصبي ميت وصبيه  
تغفو في جزر الكهان ،  
تبكي ، تنهاوي : « اوطاني »  
وتضم الى الصدر الخابي  
بعض تراب  
وبقايا وزدات حمر  
لون الفجر ،  
لون الدم-  
مازلنا اغرابا يامني  
في ارض تنبت كهانا  
في ديجور  
يا ثورة يا وجه النور  
ياكفا تبعث موتانا  
مدّي في الاعراق الجذرا  
صبّي الجمرا  
في الزند الغافل والساعد

شيء كفؤوس الحطاب  
كسقوط الدوحة في الغاب  
كالزلال  
او مثل نواح الاطفال  
من عسر يربض في قلبي  
ينمو ، يمتد باعصابي  
ويذرّيني  
فوق الطين  
في قبر اغرق احبابي ...  
آه ... شعبي  
ماتت فيه طيوف الدرب  
مات الصبح  
ماعاد يغنيه الجرح  
ما عاد يقبله القمح  
ما عادت تغريه الافراح  
والارياح ..  
صمت البيدر  
في الحقل زنود تتحجر  
جفّ الدمع  
لا زهر يورق ، لا زرع



# على السفوح غروب شام !

قصة بقلم احمد ريد

كنا نتناول طعام الغداء . وكان هو يؤدي وصلته الساخرة نعادته كلما اجتمع شمل الرفاق .

وكان موضوع سخريته في تلك الظهيرة ، خط موريس المكهرب ، الذي اقامه العدو ليحول دون تسلل رفاقنا الى التراب التونسي .

... واستهل قدور وصلته فقال بلهجة مسرحية : «لقد

استنجدت بباريس بكل مافي رؤوس ثيرانها الكبار من سخف وسكر ونزق ، وعصرت كل مافي ادمغة «عقرياتها» العسكرية من موهبة التفاهة ، فكان لها خط موريس ،

وعندما تحقق الخط العظيم وقفت الشمطاء امامه نفرك راحتيها بفرحة الاطمئنان : لقد انتهى الامر . لم يعد باءكان الخارجين على القانون ... ان يخرجوا ... ولم يعد بإمكان العصاة ان يفلتوا من قبضة العدالة .

وكاد قوادها العظام يشربون سلفا ، نخب النصر القريب بقبعاتهم المزرکشة ، ويتبادلون التهانى لانتهاء « حرب التهذئة » ... لولا ان استفاقوا صباح اليوم الثاني على مفاجأة صاعقة ، فلقد اخترق مهابة الخط العجيب ، ومزق حرمة الغالية قطيع من ثيران الجزائر - لاتضحكوا - الثيران الحقيقية ، فأضاع على فرنسا فرصة النصر التي هيأها لها ثيرانها العسكريون الكبار ، بعد جهد جبار ، وليال من السهر والجد طوال .. »

... وتوقف قدور قليلا ، وراح يداعب لحيته السوداء المدببة ببلاهة مصطنعة ريثما تنتهي نوبة الضحك التي عصفت بالرفاق ، ولكن ساعي الجبهة ، مر به في تلك اللحظة والقي بين يديه رسالة تلطخت اطرافها بالوحل ، حتى بدت كأنها انما تشي لصاحبها بكل مالاقتة ، في طريقها اليه ، من عناء الضياع ، وشعث الترحال .

... ومال قدور على الرسالة يفضها متعجلا ، وما كادت عيناه تحتضنان سطورها الاولى حتى بدا جبينه يتغضن ، وملامحه الباسمة تبرد ، واطرافه القوية تتراخي . وتسمر الرفاق وهم يرونه يبكي فجأة ، ولاول مرة منذ عرفوه ، وعجبوا له ينسحب ، وهو يعصر الرسالة بقبضته ويردد بانفعال وعصبية :

مازالت اناملي التي امسك بها القلم مغموسة بدمه الطري دمه الذي سال عند الاصيل ، على الارض الطيبة التي كان يحتضنها ، ويتشبث بها كأنه يريد الا تفلت ابدا من بين ذراعيه :

كانت يدي تسد جرحه المفتوح ، وتجمع حواشيه الممزقة وتحاول ، ببله ويأس ، ان تصد عنه الموت ، ولكن حياته كانت تتسرب من بين اناملي المرتعشة حارة بطيئة ، فأحس بها ، وهي تسيل ، لتختلط الى الابد بتراب امنا الجزائر . ... وكانت عيناه السوداوان الحالتان توزعان بسمتهما الاسيانة علي وعلى رشاشه المنطرح عند قدميه كالكلب الوفي ، وظلت هذه البسمة تروي لي بصمت ، ملاحم بطولته ، الى ان انطفت الجذوة في عينيه ، وجمد على اناملي دمه الشهيد .

لقد مات قدور ، صديقنا المشترك ، ياعزيزي ، واحد اركان الثالوث الذي كنا نكونه في جامعة « السوربون » ، وقدر لنا ، انت وانا ، ان نقاسم لوعة الفجيعة فيه . انت الذي ارادت لك القيادة ان تضرب في ارض الله ، لتحمل كلمة الجزائر الى كل زاوية من زواياها ، وتفتح عيون كل شعب حر ، على امائيل كفاحها البطولي ، ومخازي عدوها الجبان ، وانا الذي أجتثم هنا على بعد خطوات من مشوى قدور .

انه يستريح قبالة خندقي ، تحت شجرة زيتون تمردت على الهرم والزمن فلم تنحن لهما الا لتحضن وليدة لها فتية ، بدأت تشمخ برأسها قوية متحدية كأنها انما ترمز الى امنا الجزائر التي تواجه الشمس بكل ماقد يمكن لشعب ان يدخر في اعصابه من طاقات الصمود ، وافاعيل الثقة بالذات .

اتخيلك تضغط صدغيك بحنق كعادتك حين يستبد بك الضيق ، محاولا ان تزعق في وجهي :

— وكيف مات قدور ؟ وكيف سمحت له ان يموت ؟ نحن — يا صاحبي — لم نسمح له ان يموت . بل شاء هو ان يكون اسطورة من التشوف الابي ، تلهب بالنخوة والغداء كل نفس جزائرية .

— يا لهم من انذال !

... وعرفنا سر الرسالة .

... كانت من اخيه الاصغر الذي تركه في القرية سندنا لأمه العجوز ، فاستطاع السند الطري العود ، ان يسد حاجة الشيخة الى الرعاية ، وان يخفف عليها هلع الامومة التي نثرت بدها في بقاع ثلاث من ارض الجزائر ، فكان لها فذة في أوراس ، واخرى في وهران ، وثالثة على الحدود ... ولكن السند الطري العود ، لم يستطع ، بل لم يتح له على الاصح ، ان يحمي حرمة الشيخوخة من غدر الانذال .

ففي اول العام الجديد راق لجنود المظلات ان يعيدوا فزحت ثمة منهم ، على قرية « ..... » فطوقتها ، واطاقت زبائيتها في جنبات القرية الامنة العزلاء في حملة تمديدية ، وكانت امه ... أمه العجوز ، هدفا من اهداف هذه الحملة .

اقتحم عليها غرفتها عند الفجر ، خمسة منهم ، وهي

نستون تشرشل  
"الابن"

يروي في هذا الكتاب قصة  
استوني ايدين واعتلاءه مسج  
السياسة العالمية ... ثم كيف  
أدت به مغامرته في السنين  
إلى السقوط في الهاوية !!

سقوط ايدين

لثمن ليرقان

نشر: المكتبة التجارية  
توزيع: الشركة العربية للتوزيع



تصلي ، فظلت راكعة تدعو للجزائر بالنصر ، وتستنزل على اعدائها العنة حتى اذا انتهت صلاتها ، تلفت اليهم بازدياء وسالتهم ماذا يريدون ، فأشار قائدهم الى ثلاث صور معقة في الجدار ، لشبان ثلاثة يرتدون لباس الميدان :

— من هؤلاء ؟

— بهم ابناي .

— وين هم الان ؟

— يحاربونكم في كل مكان من ارض الجزائر .

— نعم انهم يحاربوننا ... ولكن اين هم الان بالضبط ؟

— واحد في أوراس ، واخر على الحدود ، وثالث في

وهران .

— وتفخرين بهم ايضا يشمطاء ؟

— وددت لو انهم عشرة ، بل مئة ، بل الف ، لاقدمهم جميعا فداء للجزائر .

... ولم تتحمل اعصاب انوحوش هذا التحدي ، فجروها

الى الخارج ، الى شجرة التوت العتيقة في فسحة الدار ، وعقوها من شعرها في احد الاغصان ، وظلوا يعذبونها ، وهي تقابل تعذيبهم ببسمة التحدي ايها ، حتى اذا فتحت

شمس الصباح عينها الواسعة ، فتحتها على الوجه الجليل باردا مهشما ، وعلى الشعر لاييض الوقور مجبولا بالدم .

ولم تكن امه وحدها حصيلة الحملة في ذلك النهار ، فلقد ترك المدنون وراءهم عند انسحابهم اكثر من ثلاثين جثة

لطفل وامرأة ، اما اخوه افتي ، فقد نجا ، لانه كان قد انطق قبيل ساعات ، الى الغابة القريبة ، حاملا الى بعض

لفدائيين ماجمعه لهم القرية الفقيرة من زاد ومال .

... وقلبت الرسالة الحزينة حياة قدور .

افتقدته مجالس المرح التي كان الرفاق يختاسونها كما هادنتهم المخاطر ، ونهدوا الى بعض الراحة استعدادا لاعراس

الفداء ، واشتاقت الحلقاات الى تعاليقاته الساخرة على تحركات العدو ، وخبطانه الفاشلة ، ولم تعد البسمة الى

ملاحه ، بل طردها عن هذه الملاح ظل متجههم صارم ، يفيض بالوان الصمت والاسى والضراوة .

وكثيرا ماكنت افاجئه ، حين يخاو لنفسه ، فاجده منكبا على ورقة ، وفي يده قلم رصاصي لاينفك يجريه عليها

بلفظتين فقط « فرقة المظلات » ، يكتبها عشرات المرات حتى اذا لم يعد في الورقة متسع للفظتين المقيتين ، مزقها بعصية

وداسها بقدمه ، واستدار نحوي يسألني :  
— اما ان اوامر بهجوم ما ياسعدون ؟

... وجاءتنا الاوامر ذات مساء ، وهي تقضي بشن غارة خاطفة على قافلة عسكرية كانت تمر على بعد عشرين

ميلا من مراكزنا ، وهي في طريقها لنجدة احدى فرق العدو المحاصرة عند اطراف الجبال القريبة ، وكان علينا ان

نتعجل الضربة ، قبل ان تصل القافلة الى « كولون بيشار » التي تعتبر مركزا من مراكز العدو التمييزية الحصينة ،

فجمعت الرفاق وامرتهم ان يكونوا على استعداد لمهمة عاجلة وفيما كانوا يتفرقون لاعداد « لوازم » المهمة ، دنا قدور مني

— وهل اشبعت ظمأ ايها المجنون ؟  
 — اجل . لقد نهل من دم خمسة . خمسة من حراس  
 المستعمرة ، اقتحمت عليهم خندقهم وهم نيام ...  
 — وبعد ذلك ؟  
 — وبعد ذلك . شعرت انه مازال يشكو الظمأ ، فتسللت  
 الى بيت في اطراف المستعمرة لاشبعه ريا ، ولكنني لم  
 اعثر في المنزل الخلوى الا على عجوز فانية ..  
 وسألته بتعنيف :  
 — وهل انتقمت منها لامك ؟  
 — صدقني ، لقد حاولت ، ولكنها توسلت الي الا افعل .  
 قالت لي : بأي ذنب تقتلني ؟ فقلت لها : .. وبأي ذنب  
 قتلوا امي ؟ فبدأ الاستسلام في نظراتها ، وجئت عند قدمي  
 تنتظر قدرها بقنوط ، ولكن خنجري جمد في قبضتي ،  
 عندما انزلت عينا على شعرها الابيض ، فأنهضتها ، ولم  
 اتمالك نفسي ، فدقنت رأسي في صدرها ، ورحلت انحب  
 وأسألها بضراوة :

وهز كتفي بشيء من الاستبشار والفرحة :  
 — قل لي بريك هل سنهاجم احدى مستعمراتهم ؟  
 — ليس في الاوامر شيء من ذلك ، ولكن هناك نجدة  
 عدوة ، علينا ان ندمرها ، او على الاقل ان نعيقها عن الوصول  
 الى هدفها .  
 — ولن يسمح لنا بمواجهة المدنيين منهم في الدسكرة  
 القريبة ؟  
 — الاوامر هي الاوامر .

... ولعلنا عينا قدور ، فخيّل الي ان رجما من لشهب  
 يتساقط منهما ، ثم طأطأ رأسه وسار الى خيمته وئيدا  
 تحت ضوء القمر الساحب الذي كان يطلع علينا انداك من  
 وراء غابة الزيتون بوجهه الصافي الاسيان ، وصمته الازلي  
 الحالم .

... وعند الرابعة صباحا ، كان صمت العدم الذي  
 يعقب العاصفة العاتية قد خيم على وادي « جعفر » وكانت  
 قافلة العدو ركاما خامدا يتناثر في جنبات الوادي ، وكنت  
 اتفقد الرفاق استعدادا للانسحاب الى مراكزنا ، فهالني  
 الا أرى « قدور » بينهم ، رغم انه كان طوال اللقاء الدامي  
 كنيك عجيب ، ينقض على اهدافه فيحرقها ويدمرها ويرتد  
 بسرعة دون ان يحترق هو او يتدمر .

... وراودني في بادئ الامر احتمال بان رفيقنا قد  
 لاقى نهايته ، ولكن الجولة التفتيشية الدقيقة التي قام  
 بها الرفاق في حقل المعركة الضيق ، بددت كل ظل لهذا  
 الاحتمال الاسود .

اذا اين اختفى قدور ؟ انراه وقع في الاسر ؟ ولكن ...  
 في اسر من ؟ وقد كان هجوما مفاجئا لحامية القافلة بحيث  
 استطعنا ان نبيدها إبادة كاملة دون ان نخسر احدا  
 من رجالنا :

... وعدنا الى مراكزنا وألوساس تنهش رأسي وتركل  
 اضلاعي بقسوة ، فسيرت الدوريات في كل اتجاه لترقب  
 وتستقصي ، وقبعت انا على تلة صغيرة اجول السفوح  
 الساكنة بمنظاري العسكري ، الى ان كان الاصيل ، فهممت  
 بالنهوض وقد عصبت قلبي وعيني غمامة سوداء من اليأس  
 ولكنني ماكدت احرك قدمي . حتى لاح لي شبح قدور وهو  
 يتوقل السفح باتجاه خنادقنا .

ولم يلق التحية علي ، عندما حاذاني ، بل بادرني  
 معتذرا :

— اسف . لقد كان من حقك علي وحق الانضباط ان  
 استأذنتك ولكنني لم افعل لانني كنت واثقا انك لن تسمح .

— لن اسمح بماذا ؟

وابتسم بمراة :

— ان اقوم بزيارة خاطفة لכולون بيشار :

— ايها المجنون ... كيف تجرؤ على ذلك ؟

وهز كتفه بلا مبالاة ، ووضع يده على خنجره :

— لايد لي في الامر ياسعدون . لقد ظمئ هذا السي  
 دم الاندال فأحببت ان أرويه .

الى عشاق الشعر العاطفي  
 النازخ بالحب والجمال ...

الى عشاق الشعر الوطني  
 المعبر عن افانينا القومية ..

الى عشاق الشعر العربي الاصيل ..

نقدم

مختارات

عمر ابوريشه

احدث ديوان صدر  
 لشاعر العرب الكبير

في اجزاء بديع  
 وطباعة فاخرة

الثنى  
 ليهات

مشرقة : المكتب التجاري - توزيع : الشركة القومية للتوزيع - بيروت



— قولي كيف تجر الاندال ان يقتلها ؟ كيف ؟  
 فرفعت عينها المبلتين بالدموع ، واومات بهما الى صورة  
 في الجدار :  
 — ليحفظك الله انت وهو ؟  
 — ومن هو ؟  
 — بول ... وجيدي .  
 — واين هو الان ؟  
 — في خندق من هذه الخنادق القذرة التي يتوهمون  
 انهم يحمون بها . كولون بيشار . لقد اختطفه الجزائريون مني  
 ليعلموه السفك والحقد والجريمة .  
 ... وسرت في بدني رعشة عجيبة ، فانسحبت من  
 بيت العجوز ، وانا ارنو الى خنجري بطرف عيني .  
 من يدري ... من يدري ياسعدون . فقد يكون بول  
 وحيدها ، احد الخمسة الذين نهل من دمهم هذا الخنجر ؟  
 ... ولم تطفئ مغامرة « كولون بيشار » النار في قلب  
 قدور . فقد ظلي يتحرق الى لقاء ادسم ... واللقاء الادسم  
 — حسب تعبيره — هو اللقاء مع فرقة المظلات بالذات .  
 وكان الامس موعد هذا اللقاء الذي لم نفاجأ به ، لاننا  
 في الواقع ، كنا نترقبه ، فلقد كنا نعلم ان قيادة العدو  
 الحمقاء ، سترسل لنا حملة تطهيرية ، كما تعودت ان تسمي  
 حملاتها ، لتثار لعنجهيتها الجريحة ، وهيبتها العسكرية  
 التي انتهكناها ، منذ ايام ، في وادي « جعفر » . وقد  
 علمتنا التجارب ان قيادة العدو ، لابد ان تلجأ الى فرقة  
 المظلات ، حين تحتاج الى ان تعبر عن عميق تأثرها لهزيمة  
 نكراء حلت بها ، لان هذه الفرقة وحدها هي التي تستطيع  
 ان تلعب دورها الوحشي بنجاح يؤهلها لان تكون اداة العدو  
 البطاشة ، ووسيلته الارهابية الاولى .  
 ... وعند الفجر كانت طلائعهم تتسلق السفح نحو  
 خنادقنا ، وكانت بنادقنا تترقبهم من بين الصخور وهم  
 يزحفون ، فيبهرها الصيد الاحمق الذي يسعى ببلاهة  
 الى جعبة الصياد .

... وكان قدور اكثرنا سعادة بوفرة الصيد ، لذلك  
 كان يتعجل لحظة الصفر ، ويحاول ان يثب من خندقه  
 ولكنني كنت اثنيه بان اشدّه من ذراعه ، وأهمس في  
 اذنه بحزم ان يهدأ . فبراعة الخطة تقضي ان نوهم الطلائع  
 الراحفة ان طريقها خواء ، وأن هدفها الذي تسعى اليه بعيد  
 وبالفعل اغرى الصمت المفتعل جنود المظلات واستدرجهم  
 حتى اذا حاذوا خنادقنا المخبوءة اندلق عليهم الاله من  
 كل مكان ، من خطوطنا الثابتة والمتينة ، وبدأت حلقه  
 نيراننا تضيق حولهم وتشد عليهم الخناق ، فتوقع في  
 صفوفهم البلبلة والاضطراب ، وتكرهم على التماس سبل  
 الخلاص ولا خلاص .

في هذه اللحظات المتوترة الرهيبة افتقدت « قدور » فاذا  
 به قد وثب من الخندق ، وانطلق كالصاعقة المجنونة يتعقب  
 جنود المظلات : يعاجل القريب منهم اليه بضربة خنجر او  
 حربة ، اما من كان بعيدا عن متناول زنده ، فرصاصه كفيل

بان يطاله فيرديه .

... وخشيت على قدور ان يصصره رصاصنا ، واثرت  
 ضنا به ، ان نتيج لفلول المهاجمين حظ الانسحاب ، فأمرت  
 بالكف عن الاطلاق الكثيف والاكتفاء بالقذف الهادف ، وصحت  
 به من خندقي :

— عد الى خندقك ياقدور . اني امرك ان تعود .

... وتلكا قليلا في اطاعة الامر ، رغم ماعهد فيه من  
 مناقبية الانضباط ، وراح ينكفيء نحونا ببطء ، وهو يلاحق  
 برصاصه الحاقد ، الاشباح المروعة التي كانت تعدو منهزمة  
 باتجاه الأفق البعيد لحاني على كولون بيشار .

وعند ماصار على مئات الامتار من خنادقنا بدا لي انه  
 ليس على مايرام وانه يسير مترنحا ، فقفزت من حفرتي  
 وعدوت نحوه ولكنني ماكدت اصبح على خطوات منه حتى  
 انهار وسقط الى الارض يحتضنها بكلتا ذراعيه .

ومددت يدي الى صدره اسد جرحه بهلع ، فرنا الي  
 بعينه السوداوين وراح يوزع بسمته الراضية الاسيانه  
 بيني وبين رشاشه الحبيب المنطرح عند قدميه كالكلب  
 الوفي ، وظلت هذه البسمة تروي لي بصمت ، ملاحم  
 بطولته الى ان انطفأت الجذوة في عينيه ، وجمد على انامي  
 دمه الشهيد :

ما اتفهنّي يايزيد : هل قلت لك ان قدور قد مات ؟  
 وكيف يموت من تنكس مئات البنادق رؤوسها امام  
 حفرته لتقسم له بصمت وخشوع انها ستثار لدمه وانها  
 لن تنسى ابدا ذكراه ؟

ان قدور لم يمت يا صاحبي . لقد غرسناه في ظل شجرة  
 زيتون ، غرسناه على سفح اخضر من سفوح الجزائر .  
 غرسناه في التربة الوفية التي تعودت ان تنبت الحب والبقل  
 والامل والفداء ، ونحن واثقون ان هذه الارض الطيبة الاخيرة  
 ستنبته عما قريب ، حرية تدحر الطغاة ، وفجرا يمزق  
 اوصال الليل ، وسجف الظلام .

احمد سويد

بيروت

دار الوعي العربي بدمشق تقدم

سعد صائب

في كتابه الجديد

شاعر معاصر

اول دراسة تحليلية دقيقة وعميقة لديواني « كانت لنا ايام »

و « الليل في الدروب » للشاعر الدكتور عمر الناصر

مع نماذج شعرية مختارة من الديوانين

يطلب من جميع المكتبات ، ومن دار الوعي العربي بدمشق



## بعث جبرئيل !

بيروت .. غورو .. ميسلون  
سقط الشهيد .  
ويغص بالدمع الرجال المخبرون  
واحيل طرفي بينهم ، طرفي الصغير  
هذي العجائز كلها تبكي ، وامي والصفار  
والعائدون من الحقول  
صفر الوجوه ..  
والليل يزحف عبر قريتنا كعملاق رهيب  
والرعب . قطاع الطريق الوغد . يفسح السدور  
ويمسد شديقه ليبتلع السدور  
وتموت ضيعتنا . تموت مع الظلام  
وهناك في البيت المكفر بالظلام  
امي تلفلني وتصرخ في جنون  
« لا يا صغيري : مستحيل  
لن يقتلوك  
« أولئك التتر الغزاة  
لن يقتلوك  
لن يدخلوا بيتي الا دين  
ثوارنا الابطال لن ...  
لا بد ان .. لا بد ان ..

★

ويعود صوتك يا جمال !  
كالضوء كالشلال يدفق ، كالجبال  
كهدير نبع في الصحاري الظامئات  
كالرعد ، كالبركان ، كالقدر العنيد  
كالصور ينفخ في قبور الراقين ..  
وتهب ضيعتنا . وتسمر الوجوه الشاحبه  
والعائدون من الحقول يزغردون  
وانا وامي والرفاق ووالدي الشيخ المريض  
ونساء حارتنا العجائز . والصفار  
واللاهثيون الميتون  
يستيقظون ويرقصون  
في يوم بعثهم الجديد .

محمد عمران

دمشق

انا ، والرفاق ، ووالدي الشيخ المريض  
ونساء حارتنا العجائز ، والصفار  
نصفي ، ونصفي ، والمذيع  
يصيح : « صوت من جمال »  
وترف اعيننا على المذيع تلتهم الكلام  
في لهفة الافراخ جاءت الاومة بالطعام  
ويهل صوتك يا جمال !  
فجرا ندي الضوء ، ريان الظلال  
افقامن الاطياب ، مسحور العبير  
واحبات ظل في الهجير :  
« يا اخوتي .... يا كادحين ، »  
« يا زاحفين الى النهار ... »  
« اليوم فجركم المبين .. »  
« اليوم ينتصر النهار .. »  
ونظلل نرشف الحروف المسكره  
حتى نغيب .

★

واغور في جوف السنين  
وادور في دوامة الذكرى ، ادور مع السنين !  
فيلوح لي يوم حزين  
يوم كاني الان المحه يجر رفاته  
عبر السدور .  
عبر البيوتات الحزينة .. والقبور  
في ضيعتي ، عبر القرى السوداء في ريفي الكئيب  
وتلوح اشباح الرجال المتعبين  
الزاحفين مع المساء ، الى البيوت  
اللاهثين كأن واحدهم يموت  
ويلوح لي بيت يكفنه الظلام  
وانا صغير .  
وانا وامي والصفار يلفنا  
بيت يكفنه الظلام ،  
وتدور في الحارات انباء القتال :  
« ضربت دمشق من جديد  
زحفت جيوش الغادرين الى الجبال  
ضربوا البلاد ، واحرقوا حتى الحقول

# الثورة تحت الجهر .

بقلم أودخان ميلستر

وعدم تناغم الكائن الحي مع التغير الذي يصيب بيئته يعرض واحدة أو أكثر من واحدة من مجموعاته (الأنواع) الى الفناء والدوبان في مجالات الطاقة المادية . ولما كانت البيئات الفيزيائية في حالة تغير دائم نسبيا كان لا بد للكائن الحي من تغير دائم نسبي ايضا . فقد يرحل سرب من الغزلان من بادية تكيف السرب حسب طبيعتها نتيجة تعاقب اجيال عديدة الى بادية اخرى لاسباب طبيعية معينة . وقد تكون هذه البادية الثانية مختلفة في لون تربتها ، مثلا عن البادية الاولى التي تأثر لون السرب بلون تربتها . فاذا بقي لون السرب متغياير مع لون البادية سهل ذلك للحيوانات المفترسة المختلفة التي تعيش ايضا في البادية ذاتها اكتشاف غزلان السرب عن بعد وسهل بالتالي قنصها واقتراسها غزالا بعد غزال . هنا تنبعث الحاجة الى التطور فتنشط العوامل الطبيعية في عملها وتكون النتيجة ان يشذ غزال في لونه فيكون به أقرب الى لون تربة البادية . وينتقل اللون الجديد الى الاجيال القادمة بالانتقاء وبصورة تدريجية بينما تستمر غزلان السرب التي لا تستجيب لهذا التطور في الانقراض تدريجيا ايضا الى ان يعم اللون الجديد السرب القديم

غير ان الامر لا يقف عند هذا الحد . فالبيئة الفيزيكية في تغير مستمر ان بسبب انتقال فصائل من الحيوان من بيئة الى اخرى كما كان في المثل الماضي وان بسبب تغيرات مختلفة تصيب البيئة ذاتها . لذلك تبقى الحاجة الى التطور حاجة مستمرة ويبقى التطور ذاته تطورا مستمرا ايضا .

اما عن الانسان ، وهو ارقى انواع الكائنات الحية ، فان الامر يبلغ الذروة في الاختلاف لان الانسان ، هذا الانسان الذي انتقل دماغه من مرحلة كونه ضابطا لحركات الاعصاب في استقبالها لانواع المؤثرات الخارجية وفي انفعالها بها ثم في تاريخه الطويل الذي يصعب تحديد مداه بادوار ومراحل معقدة متشابكة ميزت حياته بمعالم جديدة كثيرة

الظواهر المختلفة التي يعج بها عالمنا هذا والتي تتمثل فيها دينامية الحياة في اشكال متعددة وطاقت مختلفة تستمر في حالات تطور لا ينتهي ، تفرضه طبيعة تكوين المادة من جهة وميتافيزيائية الحياة من جهة ثانية . ويشمل هذا التطور كل مادة وكل كائن حي في كوكبنا الصغير هذا . غير ان الفرق بين تمثل التطور في المادة وبين تمثله في الكائن الحي فرق كبير كبر التباين الواضح الكائن بين الظاهرتين . فالمادة تتطور تطورا لا « قيمة » فيه ان في الاعتبار النسبي وان في الاعتبار المطلق اذ ان قوام التطور في المادة هو هذا التغير العظمي الذي يهيئ المظهر في الكرواناتها او بروتوناتها ، واما في جهر فردا ( ١ ) Atom

واما في ذراتها molecule مع كل التغييرات الفيزيائية والكيميائية المعروفة في عالم الاتحاث العلمية . فتحول الاجسام العضوية التي فقدت خلاياها ، استمرارها الحيوي الى اجسام كربونية مثلا لا يفقد المادة الجديدة التي انتهى اليها هذا التحول « قيمتها » من حيث الطاقة الكامنة فيها اطلاقا ، لان هذه الطاقة ، في حدودها الكلية ، تبقى صالحة للزيادة كما تبقى صالحة ايضا للنقصان . فقيمتها بالنسبة للنظام التغيري غير الرتيب للارض لا تتغير في جميع مجالات تفاعل الطاقات . وهذا ما يدعوننا لاقصاء كلمة « التطور » عندما يكون البحث مقصورا على المادة وحدها والاستعاضة عنها بلفظة التغير .

اما بالنسبة للكائن الحي فان الامر يختلف كل الاختلاف لان الكائن الحي يحمل « قيمته » في ذاته ، اي في المجموعات المتنوعة التي تتمثل فيها استمرارية الحياة . والكائن الحي لا بد له من ان يتناغم مع التغير المادي الذي يحدث في بيئته اما بصورة رتيبة ، تعاقبة واما بصورة دفعات فجائية تكون غالبا على نطاق واسع وبتحول جذري .

# الأدب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

★

## الادارة

شارع سوريا - راس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

## الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

## تدفع قيمة الاشتراك مقدما

## حوالة مصرفية او بردية

★

## الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الادب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣

اصبحت جزءا من وجوده واستمراره .

وعرف هذا الانسان بعض معاني ذاته وادرك بصورة عفوية حيناً وتحليلية حيناً آخر ارتباط التطور بحياته واهمية هذا الارتباط ، وانتبه في الوقت ذاته الى قدرة هذا العقل الجبار الذي اصبح يملكه فصار - كفرد - يرى هذ التطور بطيئاً في تكييفه ، ثقيلاً في صعوده ، منكشفاً في انطلاقه . . . حتى اذا استبطأ المرحلة القادرة في استمراره التكاملي ورأى في الوسط الذي يعيش فيه اوضاعاً خاصة ادرك انها في جملة العوامل التي تربه المرحلة القادمة بعيدة ، وجد نفسه في حاجة الى اصطناع موقف ما ، موقف يدينه من المرحلة الجديدة ويخفف عنده من التوتر الذي تولد نتيجة لادراكه ووعيه للمرحلة هذه ، ونتيجة لشعوره بعراقيل معينة تقف في طريق وصوله اليها . ومن طبيعة هذا الموقف الدينامية المستمرة الفاعلة التي لا تهدأ طالما تبدو وراء كل مرحلة اخرى جديدة اكثر تكاملاً واوسع افقاً . وفي هذا الموقف الذي يتخذه الانسان في بعض وعيه لذاته وفي ادراكه لتطوره وفي بعض استيعابه للاهداف الكلية التي تسيّر به الحياة اليها وعياً ودراكاً واستيعاباً يتمثلها في مجموعها شمولاً لا قيود له ولا تخدم في هذا الموقف تكمن هيولي النفسية الثورية وبالتالي الثورة ذاتها .

واذا خطونا من هذا المنطلق خطوا سريعاً لننقض بعده انقضاضاً فكرياً واعياً على مفهوم الثورة انتهينا الى نتيجة هي ان الثورة دفق حياتي تباري الحركة يحس به ، ويدرك مداه ويستجيب له الفرد الانساني ، غايته اقتلاع المسافات التي تفصل بين مرحلة واخرى من مراحل النوع الانساني الصاعدة .

ولا شك ان الثورة - وهي استعجال المراحل المتعاقبة كما استنتجنا - تحقق من المكاسب المختلفة ما يعجز السير الرتيب عن تحقيقه . وبقدر ما يستوعب المجموع - المجتمع او الامة - قيم هذه المكاسب التي حققتها الثورة بقدر ما تتضح معاني الثورة في ذهنه معاني مثمرة فيها البذل والعطاء .

وانقلاب هذه المكاسب وتحول هذه المعاني في نفسية الفرد او المجتمع الى مثل ذات حركة يتصورها الانسان في فرديته ومجتمعيته ، واضحة ويدركها شاملة ويتمثلها تمثلاً عفويًا فيه كل ذوب الاستيعاب العقلاني ، ثم يحياها كلاً لا يتجزأ - هذا الانقلاب وهذا التحول هما الخطان الرئيسيان اللذان يعرفان سيكلوجية الثورة .

اورخان ميسر

دمشق

# الى عجبيلة القضية!



## ١ - هدية الميلاد

يا قضيه !  
 اتبناها بأعصابي ، يخلجي ، بحياتي ،  
 ما الذي اهديك والميلاد آت ؟  
 لم يفتح بعد زهر اليلسان  
 ليس في كفي تبس او جمان  
 لم يخلف لي مجوس الارض مرا أو لبان ،  
 لم أجد غير حروف عرييه  
 مثل عينيك لها كبر الزمان  
 وخلود الابدويه  
 فاذا جاءتك في أعماق سجنك  
 فاحضنيها كهديه  
 انها أصدااء موجات سخييه  
 من مجادات الصحاري العرييه  
 ان فيها من شذا التربة نفحات زكيه  
 يا قضيه  
 شرف الحرف بأن يهدي اليك !

## ٢٢ - النجمة والمولود والمفارة

مثلما استهدوا بنجمه  
 ليلاقوا الماجد المولود في ليل المفاره  
 ها أنا المح - تقنتات المراره  
 صبر ايامي فوق الافق نجمه  
 يا قضيه  
 هذه النجمة للاء العروبه  
 والمفاره  
 سجنك الراقد في ليل الرطوبه

غير ان الماجد المولود في حضن المفاره  
 هو انت ،

يامسيحي يامناره  
 يارتماش الحلم في احداق امه  
 يا ضياء البعث يا نور الطهاره  
 يا قضيه

## ٣ - غيمة في الافق

ربما جاءتك انباء تقول  
 ان بغدادا نضت عنها الهوان  
 ورباع الارض عادت عرييه  
 وجرى صفو الزمان  
 عبر ماء النهر وانهد الدجان  
 ومضى الليل بجنيكيز الجبان  
 ربما جاءتك انباء تقول  
 ان بغدادا نقيه  
 ولدت في قلب تموز ابيه  
 نجمة وضاء الانوار زهاء الفصول  
 ليس في انحائها سجن وجلاذ وغول  
 والدم المطلول قد جف على سود المشانق  
 ومضى ليل المخافه  
 فالبنادق  
 لم تعد تخنق صبح الكرخ أو قلب الرصافه  
 ربما جاءتك انباء تقول :  
 رجعت أحلى ليالي شهر زاد  
 واننا اشفق أن تأتلك انباء تقول  
 ان اعواد المشانق

نصبت ثانية في قلب بغداد الصبيه  
وبأن الليل عاد  
ليل جنكيز ونوري ليل جزاري العباد  
ليل مصاصي العيون  
يا قضيه !  
كذب الله الظنون !

#### ٤ - ليت لي

يبعث الناقوس دقات شجيه  
عبر صمت الليل ، ها عام تولى  
نحن خوئضناه ، عشناه بأعصاب قويه ،  
وعرفنا فيه أفراحا وأتراحا وإياما عصيه  
هوذا عام تولى  
نحنن توجناه بالوحدة ، شرفناه ، أرقصناه كبرا  
ثم أرخناه في أعماقنا ، في كل خاطر  
يا قضيه !  
ليت لي طفلا فأدعو ابن بللا  
او فتاة فأسميها جزائر

#### ٥ - النار المقدسة

طبعت نفسا امس واليوم اطمئني ،  
لم تزل بعد السرايا  
تتحدى الموت والليل وأبناء البغايا  
والعجوز البهلوان ،  
لم يزل في القمم السماء من أوراس  
ثوار يخوضون المنايا ،  
لم يزل بعد لهيب الثورة العرباء مشبوب الاوار  
لم تزل بعد الضحايا  
تتوالى وفم الكبر يغني  
للسرى ، للزند يجتث الدجان  
ويغذي المعمران  
ويرش العنفوان  
في عيون الارض ايماننا ويحدو للنهار  
يا قضيه  
كل حرف ها هنا غمسته في مجد لحن  
من لحن الكبر في أوراس

يشدوها الاباة الصيد ، افديك ، اطمئني

#### ٦ - فيما بعد

ربما غنيت لحنا للسلام  
بعد عام ،  
بعد عامين ثلاثه ،  
الف عام ،  
غير اني لن اغني الان مادام السلام  
حائلا يمنع عن فجرى انبعائه .

#### ٧ - حكايات تطول

يا قضيه  
غصص تملأ صدري يتمطى في جفوني  
وحكايات كهينيك حزينه  
تتنزى في ضلوعي ، وتغذيها شجوني  
ابدا اكنم آهي ، ويذيب الحقد آهي  
واداري شجنا عرش في قلبي  
واقعي في شفاهي ،  
هوذا قلبي يصلي  
ليلة الميلاد يعنو في صلاته  
علّه يلقاك في اعماق سجنك  
علّه يسكب ملتاغا حكاياه الحزينه  
علّه يسكب في معبدك القدسي مشغوقا لحونه  
ليت ، هل تنفع يوما ليت ، ما اقسى التمني !  
يا قضيه !  
ان قلبي مثل عينيك حزين .

دمشق خليل الخوري

من جمعية الادباء العرب

★ ————— ★



# خُبز الفداء...

قصّة بقلم سميرة عزام

اليها فارغا غمغم بكلمة شكر ، ولكنه فكر بعد ان انسحبت بأنه كان من المناسب ان يلاطفها بسؤال ... وادار راسه يبحث عن ظلها خلف النافذة ولكنها لم تلح .. وفكر في ان يشكرها في الصباح .. ولكن من عساها تكون .. ان هناك مرضتين وهو لم ير منها الا بياض ثوبها فكيف يتعرف عليها ؟ ولكنه في الليلة الثانية عزم ان يكون اكثر طراوة لو حملت له الشاي .. وانتظر طويلا ولكنها لم تحضر .. وقال في نفسه انها مشغولة عن شايه بمن هم احوج الى عطفها .. فلماذا لا يطرق الباب ويطلب الشاي بنفسه ؟ واستحيا ان يفعل .. فقد ترى في ذلك لونا من التحرش وليس ثمة شيء يؤذي احساسه مثل ان يكون متطفلا على وجهه ما .. ها قد خبت الانوار ونامت المدينة وحملته واخوانه مسؤولية السهر . وفي مثل هذا الوقت بالامس شرب شايها .. وفرك اصابعه التي اثلجتها ماسورة البندقي واشتتهى شيئا حارا بيعت فيها الحرارة .. ورفع يده الى فمه لينفخ فيها واذا بشبحها الابيض يجبهه وبصوتها يقول .. « لقد احضرت لك شايك دون سؤال .. لن ترفقه بالطبع .. »

ورفع عينيه وحدق في وجهها .. ومد يده المقرورة ليحمل الفنجان .. وراى من اللياقة ان يقول لها شيئا قبل ان يشرب ..

« الا تجدين المهمة شاقة عليك ؟ »

وفي حدة لم يتوقعها ردت عليه :

« هل تجدني اضعف من الواجب ؟ »

« انا .. لا لا ابدا .. »

ولم يدر ما يقول فرفع الفنجان الى شفتيه ، وجرعه بسرعة سلقت حلقه .. واعاده اليها دون شكر . ولما ابتعدت قليلا .. ناداها .. لماذا لا يسألها عن اسمها .. ماذا في الامر ..

« يا آنسة .. »

وقفت ..

وتقدم منها : « آسف .. هل يمكن لي أن اعرف اسمك ؟ » وضحكت قبل ان تقول ..

« لم لا .. نحن هنا اخوة .. اسمي سعاد » ورد عليها : « وانا رازم . ورفاقي يسمونني العريف ، الا تتصافح ؟ » واعطته يدها ضاحكة ثم انسلت بخفة كما جاءت ..

سعاد .. عجيب وهذه سعاد ايضا .. يبدو ان له حظا مع الاسم .. فقبل ايام قدمت اللجان النسائية في البلد هدية الى الحرس القومي

ود حين ناوله ابراهيم غليونيه محشوا بالتبغ لينفس به عن آله لو يدعه يتصرف كطفل فيبكي .. انه يشعر بالدموع تتبجس وتفرق عينيه فيدير راسه ويمسحهما خفية بطرف كفه ، ويروح يداري آله الخجول بان يمد راسه من فوق التاريس ، ثم يلتفت لرفاقه فيجد في سكوتهم تفجعا يدفع الدمع الى عينيه ثانية ويرى كل شيء في هذا الليل الصامت الذي يطل عليه هلال غائم بعيد آلا يجسد انسحاقه .. وكان كل ما في الكون يدري بان له حكاية وان اكثر ما يشتهيه في هذه اللحظة ان يمارس ترف الحزن بتلقائية ، فهو الساعة اضعف من ان يصطنع اي جيروت واكثر ما يريده هو ان ينفض اخوانه من حوله قليلا ليعود انسانا يخلع فناع الصلابة ويبكي ، يبكي بلا خجل .. ورفع كفه يمسح عينيه واحسن بخيوط القميص الصوفي تخدش جفنيه .. وتذكره بتعويذتها التي يلبسها والتي سترد عنه - كما قالت - كل رصاصة غدارة .

اجل انه يتذكر تلك الليلة ..

ليلة كهذه هلالها صغير ويردها يقرص الاجساد وكان مكلفا بحراسة مستشفى صغير اقامه الحرس القومي في بيت من بيوت المدينة مؤلف من اربع غرف حجرية وحديقة صغيرة ، وكانت اسرة المستشفى الثمانية مشغولة بشمانية جرحى حملهم اخوانهم بعد معركة انصبت النار فيها من مستعمرة نهاريا اليهودية على القرى العربية في قضاء عكا .. واحضروهم ليسعفوا بالمستشفى ثم اختارته لجنة الانضباط ليقوم بحراسة المستشفى الواقع في طرف من اطراف المدينة تفرقت فيه الدور وتباعدت . اجل باردة كانت الليلة ولم تحمه كوفيته ولا معطفه السميك من وخزات البرد اللاذع ، فكان ما يفتأ يتمشى ليمنع الدم من ان يتخثر في شرايينه ثم يعود اذا ما تعب لينتكئ الى جدار المستشفى قريبا من الباب . ويرقب من بعيد دور المدينة التي تنام نوما تهدده أية غارة مفاجئة .. ولا يدري كم كانت الساعة بالضبط فقد خبت الانوار الا تلك التي تتوج اعمدة الطرق العامة ، وسكت الليل الا من اصوات ابن آوى .. التي تبلفه من بعيد ..

اجل لا يدري كم كانت الساعة بالضبط حين شعر بها الى جانبه في ثياب التمريض البيضاء تساله اذا كان يريد فنجانا من الشاي ، انه لم يفكر في الشاي ولا في اي شيء اخر .. ولكنه احس بأنه يريد اي جسم حار يشد اليه اصابعه المقرورة . فقبل شاكرا . ولما عادت تحمله اليه جرعه في اربع رشقات حتى لا يدعها تنتظر طويلا ولا رده

من القمصان الصوفية والبطانيات .. قامت بحياتها فتيات المدينة وكان في كل جيب بطاقة تحمل اسم الفتاة التي حاكنتها وعبارة تشجيعية قصيرة .. انه ما يزال يحتفظ بالبطاقة .. ومد اصابعه وتحسسها واخرجها ثم اشعل عود ثقاب اضاءت معه الحروف « سعاد وهي » وتحت الاسم كانت هذه العبارة ( ارجو ان تكون من نصيب بطل )

واكلت النار العود واختفت الكلمات فاعاد البطاقة الى جيبه ... اتكون هي .. لو كانت هي بنفسها افلا تكون صدفة حلوة ؟ والتفت الى الباب .. ولكنه كان مغلقا ..

وفي الليلة الثالثة تمعد ان يبدأ نوبة الحراسة باكرا ليجد مجالا لدخول المستشفى والسؤال عن الجرحى ... كان الباب مفتوحا فدخل ... وراها تحمل صينية عشاء لاحد الجنود فحيها .. وسالها اذا كان بوسعه ان يزورهم .. فقالت .. « لم لا . اريدك ان ترى حسان .. ليقص عليك قصة المعركة ، لقد سمعتها منه عشرين مرة ، ولن يؤذيني ان اسمعها للمرة الحادية والعشرين » وتبعها ..

وامام سرير حسان المضمد الراس وقف كما وقفت هي وضحكا وهما يستمعان الى الجريح يقول .. « ان الاخت سعاد ممرضة صارمة تريد لي ان اتمد كالجثة وتحرم علي التدخين باخفائها سجناري .. » واتيح لرامز ان يلحظ وهي تضحك ان لها اسنانا شديدة البياض وان لعينيها بريقا يعكس ارادة لا ترد ... وشجعه الجو على ان يسأل حسان .. « ولكن الا توافقني على انها طيبة » ..

« طيبة ؟ انها اطيهن جميعا .. اكثر طيبة من امي العجوز .. ما تفتأ تدور بيننا تسقي هذا وتطعم ذاك وتبلي اجراسا تقرر في كل الغرف ، فاذا وجدت لحظة للراحة جلست قريبا من الباب وشغلت نفسها بالحيكة .. »

« حياكة ؟ » وتذكر القميص ومد يده فحل ازرار معطفه السميك وسترته وكشف عن قميصه الذي يرتديه واقترب خطوة منها وقال .. « اتعرفين هذا القميص ؟ »

« اوه .. اكان من حظك ؟ » « الا استحقه ؟ » « بلى »

« انني احتفظ بالبطاقة .. لاتذكر دائما مسؤولية البطولة » ... واستدعاه جرس ملحاح فتركته وحسان الذي ساله عن سيجارة اقسام الا يدخلها الا اذا سمحت له ..

✱

ومضى اسبوعان وتمائل الجرحى للشفاء ففادروا المستشفى الا واحدا نقل الى مستشفى آخر .. وانتهت مهمته في الخفارة وعاد الى عمله في تدريب طوابير الفتيان على حمل السلاح . وكان يستقبل طابورا ويودع غيره حتى اذا هبط الظلام حمل بندقيته ومضى الى الخفارة الليلة فلا يعود الا وقد تلونت السماء باضواء فجرية ليرتمي على سريريه الحديدي في الغرفة الوحيدة التي تشكل بيته .. وعندها يجد وقتا ليفكر فيها ..

لقد انقضى اسبوع لم يرها خلاله فاين عساها تكون .. لماذا يحس بانه مدفوع الى الاهتمام بها ، مدفوع الى محبة القميص الذي حاكته ؟ .. ولقد اكتشف بالامس شيئا ، فحين قام يلبس في الصباح حمل القميص في يده وراح يتأمله .. لقد عاش اياما بين يديها وهي تبنيه غرزة على

غرزة دون ان تدري لن يكون .. لعلها رسمت في ذهنها صورة للرجل الذي سيرتديه وهي بالتأكيد قد اختارته ان يكون طويلا عريض الكتفين .. رجلا تعلق فيه أمل البطولة .. والتفت الى نفسه في المرآة المعلقة على الحائط .. وتحسس ذراعيه المفتولتين وضحك على سخفه وهو يتأمل نفسه .. ولكن أي ضمير ان يكون سخيلا فيرفع مثلا القميص ويشمه طويلا ويقبله ايضا ؟ ..

ورأها في الطريق .. لم تكن في ثياب المرضات .. فاعتسرف طريقها قائلا ..

« كدت لا اعرفك فما كنت يوما الا بيضاء .. »

واعطته يدها يصفحها وقالت ..

« لقد غادر مرضانا المستشفى .. انني لا اجد ما افعله اليوم .. وانت ماذا تفعل ؟ »

« طوابير تدريب في النهار ، خفارة في الليل ، ولا شأى .. »

ورنت ضحكها الفضية .. وضبطته يتطلع اليها فاحمرت .. وهمت بان تمضي وبسرعة قبل ان يضعف امام خجله سالها شيئا ..

« ارجو الا تظنينني وقحا .. هل تستطيع ان اراك في مكان ما .. ؟ »

« بلدتنا اصغر من ان تسع لنا .. »

« ولكننا اخوان سلاح .. انني ادرب طوابير من الجنسين على استعمال السلاح .. تعالى الى نادي الميناء سنتحدث قليلا بعد ان افرغ من التدريب .. »

واتفق على حضورها في الثالثة ثم انهمك في تدريب طابور ناعم كيف يقف وقفة لا ترتمش تحت بندقية ثقيلة .. ولمحها تدلف .. فتجاهلها حتى انتهى وصرف تلميذاته واتجه يحييها ويقدم لها كرسيًا ويسحب لنفسه آخر ..

— الا تعجب ؟ ..

— واينا لا يعجب ؟ .. ولكنني بعد ان عرفت ما يدور في مستعمرات اليهود من تآهب وتمبئة قوى تمثيت لو كان يومنا ستين ساعة .. ان امانا عمليات رهيبة ..

— اخائف انت ؟ ..

— متحسب .. لسنا في موقف هين .. يخيل الي ان اليهود زرعوا مواسمهم اسلحة .. وملأوا بطون مستعمراتهم بها .. لقد اكتشفنا اشياء كثيرة ..

— هل ذهبت بنفسك ؟ ..

— كثيرا قبل ان يتوتر الموقف .. اما الان فلا استطيع ، انني على لائحتهم السوداء ..

ورأها تتأمله ثم انفرجت شفاتها وتالقت في عينيها تلك النظرة الحازمة ..

— اتدري لقد بت اصدق انك بطل ؟ ..

— بطل .. لا اظن .. ولكن بطاقتك توحى الي بان اكون .

— اما تزال محتفظا بها ..

— هي ذي ...

واعطاها لها ، ولما مد يده ليسترجعها ضغط على يدها قليلا ثم ارخاها ، وتركها تداري خجلها متطلما الى البحر الازرق امامه . كان الوقت ربيعا .. وربيع فلسطين بحر ازرق تنهادى عليه اشعة المراكب البيضاء نهارا وترصعه فوانيس قوارب الصيد ليلا وبساتين يرتقال يكثف عبقها الهواء .. وفي ربيعها ذلك عرف شيئين .. الحب



والحرب .. وكان الاول يعطي معنى للثاني . فالحرب ليست عدوا يقتل لشهوة انما هي حق حياة للارض التي يحب ، والفتاة التي يحب ، ان فلسطين ليست بحرا ومراكب صيادين ، وليست برتقلا يتعلق كالذهب ، وليست زيتونا يملأ الخواهي .. انها عينا سعاد السوداوان ايضا .. وفي عيني سعاد راى خير فلسطين كله .. راى ظل بيت سعيد له . وزوجة تنجب له ابطلا صفارا .. وتجعل من حبها معنى لوجوده ..

ومع كل اطلالة يوم .. كان يستقبل خيالها .. جنبا الى جنب مع انباء المارك في صحف الصباح .. معركة القسطل ، هجوم قومه من مثلث الرعب على قرى اليهود .. غاراته واخوانه على مصفحات اليهود المتسللة على طريق حيفا - عكا - نهاريا - ، بطولة قومه في سلمه ، في كل مكان ..

ثم كانت كارثة حيفا ..

لن ينسى ذلك المساء ..

كان مشغولا بصف التدريب .. حين التفت الى البحر فاذا بعشرات المراكب محملة بالناس .. وتجمهر اهل مدينته على السور وفي منطقة البناء يستطلعون .. كانوا على علم بالمعارك التي تدور في حيفا وكانوا يدرون ان سلطات الانتداب قد مكنت لليهود من المراكز المحصنة سرا في حين ادعت انها لن تتخلى عن المدينة الا بعد انتهاء فترة الانتداب بشهور ، ولكنها فجأة اعلنت عن اضطرابها لاخلاء المدينة ..

وانصب الهول من الكرمل على العرب الذين يعيشون في السفوح ومهدت السلطة لحالة ذعر بحرب اشاعات فتحت معها الميناء واطلقت سفنها تحمل كل راغب في رحيل ، فتكدسوا فيها والنار تلتف هولها عليهم من الجبل ..

ولفظتهم السفن على ساحل عكا .. كتل بشرية .. يئن بعضها من الجروح ، وبعضها من الجوع ، وبعضها من الفزع ..

وامتلأت بيوت مدينته ، مساجدها ، اديرتها ، ساحاتها بهم .

وتحملت مدينته الصغيرة عبء تدبير طعام وماوى لهذه الالاف ..

وفي تلك الليلة راى سعاد مع عشرات المتطوعات يستقبلن الجرحى في الميناء ويوزعنهم على المستشفيات والبيوت .. وبدأت حروب الاشاعات تلعب في الاعصاب ..

استيقظ في صباح اليوم التالي على قرع شديد على باب غرفته وفتح الباب وذهل اذ راها .. كانت تبكي ..

قالت له ان اخاها قد دبر شاحنة حشد فيها كل ما يحمل ثم وضع فيها زوجته واطفاله ونفسه ليرحلوا الى لبنان .. وان عشرين اسرة من حيفا قد فعلت فعله ..

وقد فرض عليها ان تصحبهم فرفضت وقاومت فصرىها فلم تجد امامها الا الفرار ..

انها آخر من يسافر ..

واذهلته المفاجأة .. لم يدرك ما يقول لها وظل صامتا ، ولما قرعت صدره بقبضتها سأل « هل فعت هذا بسببي ؟ » وانفجرت في وجهه .. « لا ليس بسببك .. صحيح اني احبك .. ولكنك لست كل شيء »

قالتا وانصرفت .. وفتح الباب وخرج الى المدينة ليجد عشرات السيارات كبيرة وصغيرة محملة وفارغة وقد اطلقت دواليبها للريح .. وخلته مذهولا .. لا يدري هل يبكي ، هل يصيح ؟ هل يقذف هذه السيارات بحجارته ؟ ..

وفي اسبوع فرغت المدينة الا من شاكي السلاح .. ومن بضع ممرضات

توزعن على المستشفيات الصغيرة . ومن النازحين اليها من حيفا او القرى .. ولم يعد يجد وقتا للقاءاته بسعاد .. فاعداؤه في الشمال وفي الجنوب يتربصون الفرص ليطلقوا على المدينة .. كان في النهار يتسلل الى القرى يجمع البنادق والذخيرة ، اما ليليه فللحراسه مع خمسة غيره يقبعون وراء المتاريس المقامة على ظهر مصنع للسجائر .. تعطل فيه العمل .. كان لا بد للمدينة من الصمود حتى تبدأ معركة اخرى على مستوى جيوش بعد انتهاء فترة الانتداب ..

هذه هي مهمته التي رسمتها اللجنة القومية للمدينة .. وحين كان يجد وقتا يسترخي كان يجد وقتا ليفكر بسعاد وليتساءل كيف تراهها تعيش وتحت اية ظروف ، وصعق مرة حين راها امامه كانت تلتف بمعطف وقد حملت صرة كبيرة ..

وحار كيف يتلقاها ولكنها هونت عليه الامر حين فتحت الصرة وقالت موجهة حديثها لكل الرفاق « لقد خشيت اللجنة ان تفرغ مؤونتكم فخطوت لحمل هذه الاشياء .. »

وفتحت الصرة على خبز وسجائر وحلوى ، وفتحت عينيها على نظرة له دلقت كل شوق العالم ، فاثارت انفعاله لدرجة ود معها لو يضمها امام رفاقه جميعا ..

ولقد راى من حقه وحده ان يمشي معها قليلا وهي عائدة وان يمسك باطراف اصابعها بيد مرتعشة ثم يرفعها الى فمه دون ان يجد ما يقوله غير ان يتوسل اليها الا تعاود مثل هذا الجنون ، ثم ابتعدت ووقف رقبها حتى ابتلعها احد المنعطفات ..

وتكررت زيارتها ..

لم تكن تلبث اكثر من دقائق ولكنها كانت كافية لتشحن احاسيسه وانفعالاته بشكل يتعبه ويسعده معا ! ..

الى ان كان اول الاسبوع ..

واشتدت المعركة وجارت النار طيلة ليلتين ونهار كامل وقسم من النهار الثاني ..

كانت سيارات اليهود المصفحة تتجه على الطريق العمومي الى نهاريا . وكان عليهم ان يقطعوا عليها الطريق بالدافع المشؤنة على الدور القريبة من الطريق ..

ولم تهدأ المعركة الا في الثالثة من عصر اليوم التالي ، فانفضوا عن المتاريس واستلقى بعضهم على الارض ونزل هو يفتسل من حنفيه الحديقة تهييدا لزيارة للمدينة يستفهم فيها عن خطة الحرس القومي في سحب السيارات المصابة الى داخل المدينة .

وكان الصابون يغمر وجهه حين انبعث صوت رصاصة فثائية فسارع يزيل الصابون عن عينيهِ حين ثقب اذنيه صوتها ..

والتفت الى باب الحديقة فراها تمزق منه .. وصرتها بيدها ، اما الاخرى فكانت على صدرها .. لم يصدق ان بها شيئا وقد كانت واقفة على قدميها ولكنها ما لبثت ان ارتمت عليه وبدأ الدم يندلق من صدرها فسد جرحها بيده ونادى على رفاقه الذين سارعوا بالقاء ستراتهم لتمتص دماها المسكوب .. وفتحت فمها لتقول شيئا ولكن الحشجة خنقت كلماتها ثم انتهى كل شيء بشهقة ..

حدث هذا بسرعة لم يصدقها .. دقائق وضعت حدا لكل شيء فكيف كيف لم يجمد الزمن ؟ .. كيف تركها تموت ، كيف لم تنتفض تحت قبلاته نداءاته اللطاعة .. كيف لم ترتعش تلك الجفون وهي تشرب كلمات حبه الاولى ..

كان غافلا عنها ، فهو لو أكل فسيستقر دم سعاد عمليا في جسمه ، سيصبح شيئا يلتحم في كيانه .. وسيستمد منه قوة تدفعه الى الانتقام ..

لقد اذكى موت سعاد في اعصابه شهوات للانتقام لا يدري كيف ترتوي ومتى وأين .. فهل يختار ان يموت جوعا ككلب ويميت معه خمسة ؟ صحيح ان كثرة تعاملهم مع الموت قد سلبه تلك الصورة المستغلة ولكنه مهما اعطى الحق في اختيار الميته التي يشاء فلن يختار ان يموت جوعا .. سعاد نفسها ترفض ذلك ، لبطل !! وارتعش باله ..

لقد اكتشف انه في الليلة الاخيرة قد فكر في جوعه اكثر مما فكر بسعاد .. لقد عطلت غريزة جوعه كل احساسه الاخرى .. وتطلع الى اخوانه .. سيناديهم وسيلتفون حوله ككاهن في كنيسة شرقية وبكل الجو الشعائري الذي يقدم به الكاهن خبز المسيح سيقول لهم « كوا .. هذا هو جسدي .. وهذا دمي فاشربوا .. » وسياكل هو من الاكسير ايضا .. وسيستقر شيء من سعاد في احشائه ، شيء ما يفتأ يتململ ويضج ويذكره بان عليه ان يعيش لينتقم .. وقام متحاملا على نفسه الى الزاوية وفتح الصرة باصابع ترتجف .. وحمل الارغفة وادناها من شفتيه .. واقترب من رفاقه راكبا وقدمها لهم .. « كلوا .. ان سعاد لاترضى لنا ان نموت جوعا .. » وغامت الدنيا في عينيه ، ووقع على الارض فاقد الشعور .

## سميرة عزام

ماتت .. كيف ورائحة شعرها في انفه مازال .. وحرارة يدها تاكل كفه ، وطعم شفتيها الرطبتين على شفتيه .. لم يكن في نظرتها موت ، في عينيها اللتين تحديان اي شيء .. كان فيهما حب ووعد بالحياة .. ويفرك عينيه يطرد الكابوس ويشد على الفليون الذي قدمه له ابراهيم فلا تنفرز اظافره في راحته وهو يقرأ في عيون رفاقه .. أجل ماتت وانتزعناها منك ودفناها على الرابية هناك وزرعنا على قبرها علما وكرسناها بطلا .. كانت حبك فباتت رمزنا جميعا .. ابراهيم ، ووديع ، وصالح ، واحمد وعبد الله ..



خط اصفر نحيل ويضع نجيمات .. ولا شيء الا العتمة واطراف السجائر المتوهجة ، وهم امام المناريس بلا نوم او طعام او شراب .. وانقضت الليلة هادئة الا مناشوات في الفجر ثم سكت كل شيء واستسلمت الرؤوس المتعبة الى نوم يقسده الجوع وتوقع الخطر .. ومع الفجر فرك عبد الله عينيه وسأل وهو يتطلع في الصناديق الخشبية المكونة جانبا « اما من شيء ناكله ؟ » ... وردوديع « هناك الارغفة » .. وسكت ..

أرغفة سعاد لماذا لا يقولونها وكانت ملوثة بدمها فاي ادم تمس لخبزهم هم ؟ ..

لقد بدأوا يجوعون بشكل لا يطاق وباتوا عاجزين حتى عن الوقوف .. وكان رامز يشعر بان الظروف تتكاثف على امتحانه بشكل مذل وبانه ما من واحد من رفاقه سيجرؤ على ان يقرب الارغفة الا اذا عرضها هو .. وغطى عينيه بيديه : اهنالك تعاسة بعد تعاسة اضطراره الى ان يطعم دمه رفاقه ..

وتطلع الى اخوانه ، كان عبد الله مستلقيا على بطانية ، وكذلك صالح وكان احمد جالسا على كيس من الرمل وهو يضغط بطنه بيديه .. ان الواحد منهم مستعد لان ياكل جثة كلب ولكن يدا منهم لم تمتد الى الارغفة المعتمدة بالدم .. لقد كان عليه ان تأتي البادرة منه .. ماذا يقول لرفاقه .. « خنوا فقد وهبنا سعاد الخبز والادم ؟ »

وأطرق قليلا ، ثم تحامل على نفسه ووقف .. اذا كان هو يستنطق من الفكرة فان عليه ان يمضي الى المدينة ليتدبر لهم ما ياكلونه .. وحاول ان يقف ولكنه كان ظاهر الخور .. واندرك رفاقه ماذا يعني من وراء ذهابه للمدينة ان اية رصاصة ستصطاده كمصفور صغير .. فالمنطقة الخلاء بين مركزهم والعمران كبيرة ومكشوفة .. وممرور سيارات مصفحة تحمي نفسها باطلاق الرصاص في كل الاتجاهات متوقع في أي لحظة .. وأمسك صالح به من كتفه واضطره الى الجلوس فجلس لتتوثب في رأسه طيوف معركة بين جوعه وجوع رفاقه وبين الارغفة الحمراء التي كانت مازال مكومة في الزاوية ممرورة كما حملتها سعاد . ان التجربة شيء يجرح اعصابه ولكن شراء حياة خمسة أمر يجب ان لا يخضع لاحساسه الرهيف .. ولكن الانقضاب سعاد .. ألا تزدري حيوانيتهم وقد تمكنوا من ازدراء خبزهم مغموسا بدمها .. وأغمض عينيه باله .. وراح يطرد الصورة بعنف .. وماذا لو اطعمهم .. ان اقتداء الحياة بالجسد وبالدم شيء في صلب عقيدته الدينية .. فاين اين الخطيئة اين الحيوانية ، اين بلادة الاحساس في اكل خبزات سعاد ؟ وانفرجت الغمامات التي في رأسه .. لماذا لا يتبصر في الامر ناحية

قصة جديدة

بورلين

باسترناك

لإيج جائزة نوبل الأدب



الضيف الضيف

دار النشر المتحدة للناليف والتجربة

مع الباعة وفي المكتبات ، الثمن ٢٠٠ ق.ل.



# اغنية من بورسعيد

في بورسعيد - حيث تلتقي بلادنا بالعالم  
عبر القناة - تعيش فئة شعبية تعرف بالعموية  
على بيع المنتجات المحلية - في قواربهم الصغيرة -  
الى ركاب السفن اثناء رسوها او عبورها .

والشرق يلاقى الغرب على كل طريق  
قد تغبن في الصقعة حيناً  
لكننا نحمل بين جوانحنا سر العالم  
لا يقهرنا الطوفان )

★

عادوا مضمومي الايدي والباخرة تسيير  
والاولاد يصيحون بترنيمه حب  
تشجي اختا وقفت في باب الدرب -  
والخطو يطير حيناً يسبق طير المغرب  
جفت احزان القلب  
منذ سنين ثلاث ( ١ )  
لم يطف على وجه البحر قتيل  
لم يحمل احدهم الاخر والجرح يسيل  
لم يغلق بيت  
وقناة الاجداد تفيض سلاماً للانسان  
والشرق يلاقى الغرب  
عادوا افواجا تطرق باب الفد  
لاتهفو لاغاني الظلمه  
لاتؤمن بالكتوب على كل جبين  
وتشد الحبل الى كل سفين  
فتصيب اللقمه

حسن فتح الباب

القاهرة

(١) منذ العدوان الثلاثي الفادر على الاقليم الجنوبي من  
الجمهورية العربية المتحدة في ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦

ايديهم مازالت تمتد  
تتلاقى افواجا فوق المد  
لاتهفو لاغاني الظلمه  
لاتؤمن بالكتوب على كل جبين  
وتشد الحبل الى كل سفين  
فتصيب اللقمه  
فالسائد يجتذب الشبكة عريان  
لكن ليس يمد الكف

★

باحث اغنية بالسر  
والرفقة تغدو للشط الازرق :  
البحر صديق العمر  
والطير يحيي الفجر على المشرق  
لكن كيف نلاقي ركب البحر ؟  
اعينهم ترمقنا فوق الانواء  
وسفائنهم عبر قناة الاجداد  
اطفال وجنود ونساء  
بتروول وعتاد  
جاءوا من اقصى الارض  
والدينا اشياء صغيره  
كنز للشاري في رحلته  
تذكر في عودته  
ايد وحبال ، تصعد تنهاوى  
انا نعرف لغة القوم

# الكلمة والثورة

وتعم بلادني نعمته  
وقلوب الناس مسرته  
ويضيء متاهات الدرب

★

سأصوغ حروفي أغنيته  
ولحونا تنبع من قلبي  
والوف شموس الحرية  
تشرق في صحراء الجذب  
بالخصب الأخضر والحب  
وتعود الأرض ربيعته

★

سأزيّن للشعب الثورة  
ما دام هناك استعمار  
ينشر في أوطاني جورته  
سأغني العودة للقدس  
فيثور بحر في الأعصار  
وتعود فلسطين حره

★

الكلمة كالسيف البتار  
والكلمة دين  
يحملة انسان خالق  
فحذار حذار  
يا اهل الكلمة الف حذار  
فالكلمة سيف ذو حدين

فضل الامين

عيترون - لبنان

كلمه  
مصباح الحق يمينها  
يجلو الظلمه  
ما اشرق صبح لولاها  
وزهنت نجمه  
الثورة بعض عطاياها  
تلك الكلمه

★

بالامس تجلت قرآنا  
ونبأ حطم اوثانا  
وه سيحيا وو صايا عشره  
وتجلت في الناس مسره  
ونذيرا وخطيبا مدره  
وكلاما عذبا وبيانا

★

كم من كلمه  
صابت في اقبيه العتمه  
بقصور سلاطين الظالم  
مسخت ذلا ودنايرا  
يا للشمعه  
تذوي لتضيء لجلاد  
درب الاثم

★

قسما سأغني للحب  
لسلام حلو كالخصب  
يخضر الدفء لمقدمه



# الحوت والكلمات...

قصتي بقلم عايدة طرعيه اريس

الن نبيت الليلة في بيتنا يا حبيبي ؟ لقد مللت هذه الحالة، فالأم نطل هكذا مشردين ، يستقبلنا مضيئ ويودعنا آخر ؟ كم اود لو يظلمنا هذه الليلة سقف بيتنا الحبيب ! انني اشعر فيه بجو من اللفة والانصهار لا يمكن ان يحققه لي اي مكان خر . اولست تشمر ، في هذه الفترة ، انك بعيد عني بعدي عنك ؟ حتى غرفتي القديمة في منزل والدي ، اتراني ما زلت احبها كما كنت من قبل ؟

اولم اكن اشعر ، لستين خلنا انها كانت اقرب كائن الى نفسي ، فما بالي اليوم اشعر ببرودتها ؟ لقد كانت مرآة ارى فيها نفسي ، وهي ما تزال كما تركتها ، جامدة باهتة . وانني لارى فيها الان تلك المسافات الشاسعة التي قطعناها في هاتين السنتين ، مسافات تفصل بين حياة فرضت علي بجميع اطرها كنت اتلقاها برضى حيناً وبثورة حيناً آخر ، وحياة اخرى اخترتها انا بنفسي ، اخترت كل تفصيل فيها وكل اطار وانني لاشعر فيها انني ، لأول مرة كنت المسؤولة الوحيدة عن مصيري وان مسؤوليتي لتضاعف الان تجاه عائلتي تلك الجديدة .

عائلتي الجديدة ، وبيتي الجديد . ان كل ركن من اركانه يشهد لنا بذكريات ، هي على بساطتها ، حلوة جذابة .

لقد قامت ، هي وزوجها بتنسيق اثاثه ، والاهتمام بكل صغيرة فيه . وكثيراً ما كانا يتناقشان في كيفية تربيته فكانت غالباً ما تقتنع بأرائه انها شق به وبذوقه ، وهي لا تكاد تقوم بعمل قبل ان تستشير . وكان هو يحدثها عن اعماله، عن كل صغيرة فيها، حتى النافذة . وحين كان يشتري لبيتها قطعة جديدة كانت هي تحرص طوال غيابيه على ان تنسقها وترتبها ، فاذا ما حان وقت مجيئه ركضت الى الباب فتفتحه وهي تبسم فيأخذها بين ذراعيه ويقبلها ، فتمسكه من يده وتقوده الى حيث استقرت القطعة الجديدة مشيرة بيدها اليها . وتبقى لحظة ملتصقة به وهي تنظر اليه يتأمل دهشاً . لم تبدو جميلة هنا يا حبيبي . ليتني كنت استطيع ان احضر لك كل ما تتمينه : بيتاً رائعاً تتوفر فيه اسباب الراحة والرفاهية . فكانت تقاطعه قائلة : انني لا اتمنى اكثر مما توفره لي . الست تحبني ؟ اذن فهذا الاثاث كله لا قيمة له عندي . قل لي انك تحبني ، فيستحيل كل شيء في نظري جميلاً ، ثم اني لا احب ان امتلك كل شيء دفعة واحدة . واعتقد اننا حين نحصل على كل شيء تصبح حياتنا جامدة . فلا بد من ان نألف ما نملكه ويفقدوا لعيننا شيئاً عادياً : اننا بطريقتنا هذه نبعث في كل وقت حياة جديدة في بيتنا . اليس كذلك يا حبيبي ؟

فيضحك وهو يهز برأسه ويقول لها بلهجة تعار بين اللطف والسخرية « لكم تعجبني احياناً اراؤك . اكلمي ... لنرى ! »

ولم تكن تكلم . وكانت تقضب احياناً ، ولكنه ما يلبث ان يسترضيها

بكلمة او بقبلة او بوعد . وكم كانت تحب تلك الطاولة التي يجلس اليها زوجها ساعات طويلة وهو يكتب او يقرأ وهي جالسة قبالة تقرأ في كتاب . كثيراً ما كان ينساها وهو في حميا الوحي فتغفو على كرسيها . اما اللحظات اللذيذة فكانت تلك التي كانت تجلس امامه فيملي عليها . وكثيراً ما كانت تقاطعه او ترقصه من يده فينفجر ضاحكاً ثم يعاتبها بانها قد قطعت عليه مجرى تفكيره . وكان يشعر بان الساعات التي كان يقضيها معها كانت اكثر انتاجاً واقل مشقة . وكانت تعيد عليه ما كتبه فتحطم ما شاء لها سيوبه ان تحطم فيصلح لها الاخطاء وهو يضحك حيناً ويتصنع الغضب حيناً آخر . ولكنه كان سعيداً بتلك الزوجة الصغيرة ، انها لاتشك في انه يحبها ومع ذلك .. فستظل تشك ، ما دام في قلبها حب عارم له .. مرت بخاطرها كل هذه الصور وتلك الافكار وهي تسأله من جديد : ان نبيت الليلة في منزلنا يا حبيبي ؟

- بلى . فالى متى سنظل مشردين . لم يسبق لنا منذ ان تزوجنا ان بعدنا عن ركننا . اننا هنا كالفراء في بلدنا . انا لا اعرف ماذا ينبغي لي ان اعمل . لقد انتشلت من جوي .

- ولكنني .. اخاف ان أعود اليه .

- لماذا ... هل لديك الدليل ؟

- لا . ولكنني اخاف .. اخاف . قلبي يحدثني .

- لا احب ان تنساق لي لوس في نفسك لا يبرره شيء . انت مثقفة ويجب ان تحكمي عقلك في الامور .

- وانت مثقف ايضا . فاعطني الدليل على ان شيئاً ما لن يحدث . وصمت لحظة . واردفت تقول : « سمعت من يقول بان هناك نية لنسف البناية التي نسكنها . ان الثورة ستندلع . وسوف تبدأ من منطقتنا في هذه الليلة بالذات . هل هذا صحيح ؟

- ليس لي علم بذلك . لعله مجرد كلام . ثم ان منطقتنا هي آمن نقطة . هل تصدقين كل مايقال ؟

- لست مطمئنة ... وكثيراً ما كان حدسي يتحقق . انني اكاد اؤمن به بالرغم من ان عقلي يقاومه . ولكنني كنت غالباً ما اقتنع بحججه ، ونتائجه الواقعة كانت تضاهي حجج العقل . على انني ساتبعك . سنذهب الليلة الى بيتنا . اجل سأذهب وليحدث لنا ما يحدث . ولكن هل سأخذ الطفلة معنا ؟ ام نتركها عند جدتها ؟

- لا . لن يهدأ بالنا ببعدها عنا . سنصحبها .

ونظر الى الطفلة الصغيرة . فركضت اليه متعثرة . انها في السنة الاولى

من عمرها . ومع ذلك فهي تبدو انها تفهمه . لقد غمرت رأسها في وجهه ، فضمها اليه وشدها وكأنه يشد معها جميع المستضعفين .

✱

ادار المفتاح في الباب فاطل عليهما منزلهما الحبيب . لكنها المرة الاولى التي يدخلان فيها اليه . كل شيء يبدو فيه جديدا . لقد فقد دفتئهما طية هذا الاسبوع فبدا موحشا . البناية كلها خالية من السكان لا نور ولا حركة ولا انفاس ترتعش ، بل صمت رهيب حالك . ودخلا اليه . لقد علا الغبار اثاره . فركضت الى الراديو تزيل عنه الغبار واسرع هو الى مكتبه يقرأ آخر صفحة من قصة بداها وهو يهم بان يتابع المسير .. وضمت الصغيرة لعبتها وهي تصرخ: ما ... ما ..

واسرعت هي اليها وحملتها بين ذراعيها ثم القتها على كتفي والدها المنهك . فرقع رأسه واخذ الصغيرة ونظر الى الام وهو يتمتم : اتركاني اريد ان اعمل . لقد فقدت اسبوعا كاملا وانا نائه . اريد ان اكتب . وعادت هي الى سريرها واراحت الطفلة على السرير الصغير قبالتها . لقد كانت تقدر موقف زوجها وتفهمه . وهي تحبه في تلك اللحظات المحنومة ، اللحظات التي يبدو فيها فنانا خالقا . وكانت اعصابها بحاجة الى الراحة فاستسلمت للنوم .

وكانت الساعة تشير الى الواحدة بعد منتصف الليل حين انبعثت اول طلقة نارية في الفضاء . وفتحت عينيها ومدت يدها تتحسس زر الكهرباء . وما هي الا لحظة حتى انبعثت طلقة اخرى من صوب الشمال ثم اندفعت الطلقات تدوي بلا انقطاع . لقد كانت هي المرة الاولى التي تسمع فيها دويا كهذا . وجمدت في سريرها . وجمدت يدها التي تتحسس النور . واختنق صوتها . تريد زوجها . تريد ان تصرخ مستغيثة انها الان بحاجة اليه . انها خائفة ، خائفة ، خائفة ستموت من الهلع . وارتفع صوته يناديها من الغرفة المجاورة : « لا تخافي يا حبيبتي . انا هنا . لا تزعجي الطفلة . سأتي اليك . »

– اما تزال ساهرا؟ لقد انتصف الليل . تعال الي . انني خائفة ..  
– وهرع الى غرفتهما . فرأى وجهها ممتعا شاحبا ويدها ترتجفان .  
– لا بأس يا حبيبتي . ليس في الامر شيء خطير .  
– هل انهيت قصتك ؟

– لم اكن اكتب قصة . بل مقالا لصحيفة ستنبني آراءنا الثورية .  
– وهل ستعود الى ميدان الصحافة بعد ان تركتها منذ فترة طويلة ؟  
– لن اكون موظفا فيها . ساكتب ما اريد ، ما يمليه علي ضميري فقط . ومتى اريد . انني اشعر بوخز ضميري ، وانا لا اطيق ان ابقى مكتوف الايدي والمئات يتأهبون لبذل ارواحهم كل يوم ، انهم ابطال يؤمنون بالعقيدة التي اؤمن بها . اما انا ، انا الذي وفقت شطرا من حياتي ادعو الى تلك الثورة وازرع مع رفاق لي بذورها ، انا اليوم ، اقف متفرجا . اقف اعزل من كل سلاح . في فمي ألف كلمة لا استطيع ان اعبر عنها . ويدي ، اجل يدي لم تستهديا الى حمل مسدس . ماذا اعمل ؟ اي شيء . ولكن علي ان اشارك . ان اشارك مشاركة فعلية . يكفي ان اخرج الان الى الشارع . واتحدث الى شبابنا الذي ما يزال ساهرا ينتظر الموت والنصر .. ساتحدث اليهم .. ساضع نفسي تحت تصرفهم . سأناولهم الماء على الاقل .. وهذا اشد راحة لضميري من ان ابقى هنا . في هذه اللحظة الحاسمة اذن لأول مرة ، قيمة الكلمة التي كنت اكتبها التضحية . الوطنية . اليوم فقط اشعر بنبيلها وفضاعتها وقوة طاقتها الاباحية . انها باتت تعني ، على صعيدي الشخصي : ان افارق هذا الركن

الحبيب وان اترك من احب .

وارتعدت من الهلع . لم تكن تسمع كل ما كان يقوله . كان كل شيء هادئا منذ لحظات ولا شيء يعكر الصمت الرهيب سوى تمتماته الثائرة . ولم تنتبه الا الى الجملة الاخيرة . فهبت منمودة وهي تصيح : تتركنا ؟ من ؟ أنت ؟ انا وحدي ؟ لا . لن تذهب الا وانا معك . وماذا تريد ان تفعل انك لا تجرؤ على حمل مسدس . فالى اين تريد ان تقصد ؟ لا . ليس هذا هو ميدانك . ليس المهم ان يستشهد المرء في سبيل الوطن ، بل ان يكون مفيدا في ميدانه ، وميدانك هو الكلمة .

– كنت اؤمن بها . ولكنني اشعر الان بمعجزها . لقد فقدت حرارتها . فقدت قيمتها . انني احتقرها . أمقتها . لقد اهينت ، فقدت في نفسي قدسيته . لقد تمرت من كل ما كان ملتصقا بها من صفة هي التعبير الوحيد عن محتواها . ان الخائن يدعي الوطنية ، والنذل الكرامة والشرف . والجاهل الثقافة والعمق . لا . انت لم تسمي البيان الذي اذيع من الراديو لقد كان اجهل رجل في ربوعنا يقود سفيتنا ويدعو العالم الى سماع نصائحه ، هو المثقف الذي يتوقف عليه مصير الحق والعدالة . هو الذي يسمح للمستعمرين بان يطاؤا ويذبخوا اطفال شعبنا البريء يتبجح بانسه ينقذ وطنه . اية قيمة بعد لتلك الكلمة التي كنت ، لساعات اعينها ، اية قيمة لها ما دامت تجمع في محتواها بين المتناقضات . اجل ، لم اخجل بنفسي يوما كما اخجل بها اليوم . اخجل منها لانني مثقف .. اجل مثقف ..

ودوى في الحي انفجار رهيب وتلاه اخر ، ثم اخر . ثم انهالت الطلقات ولعل الرصاص كان يصطدم بابواب المخازن الحديدية ثم يرتطم في البعيد محدنا صوتا مريعا وكان الخصمان من الشرق والغرب يتبادلان الرصاص . فاذا سكنت احدهما ، عاد الاخر متحديا . وكان منزلهما وسطا بينهما يتلقى فورات الاثنى الجنوبية ، وامام البناية ، انفجرت قنبلة رهيبية احسست ان البيت يهتز لها .

– اقترب مني ، اقترب . الم اقل لك ان البناية سوف تنسف ؟ ليتني لم اسمعك ! ستموت الان ، هكذا ميتة حقيرة . ولن يدري بمصيرنا احد . انا لا اقوى على النهوض .  
– تمديدي على السرير . الصقي جسدك كله عليه . لعل ارتعادك يخف . انا لا اقوى على شيء .

وكانت تهب كلما سمعت دويا . وتحس فجأة بان ساقها قد ارتفعت الى فوق وانطوتا .

ورأها فجأة تنهض . فركض يتبعها . لا . لا . لا تقتربي من النافذة سيظنون ان النار تنطلق من هنا . وستكون غرفتنا مقصدهم .

– لن اقترب . ولكنني اريد ان ابقى هنا بالقرب من طفلي . انها تحت النافذة . واخاف عليها من الرصاص . هل افتح الزجاج ؟  
وحين اشتدت حالة الخطر ، كانت تجلس على الارض حانية رأسها على السرير الصغير ، باسطة ذراعيها عيه . لعل الرصاص الطائشة تخترق جسدها قبل ان تهبط على الجسد الصغير .

– يبدو ان الحالة قد هدأت . قومي لترحل . لن نقيب طويلا . ان هي الا ايام ثم نعود الى بيتنا . احضري ما تريئه ضروريا ، ضروريا جدا . وحاولت ان تنهض . لقد كان جسمها محطما . انها لن تقوى على الوقوف .

هي تعب جدا . انها لم تشعر بمثل تلك الحالة الا بعد ولادتها الاولى وجرت نفسها واقتربت من النافذة . كان الناس يسرون بالعشرات

مهرولين وقد حمل كل منهم حاجته من اللباس . حتى الاطفال منهم كانوا يمسكون بايديهم شيئا . وخيل اليها انها تشاهدهم على شاشة لشدة ما هم يسرعون . ولكنهم اشباح ملونة تتعاقب يختلط فيهم الصغير بالكبير . لقد تركوا كل شيء . ان الحياة في صدورهم ، وهم ، اليوم ، يشعرون بانها اعز ما يمكنون .

— خذ الصغيرة .. لقد افافت . غريب كيف هي لم تحس بكل ما جرى مع إن نومها شفاف . خذها . سأتلفن لامي مستفسرة عن الحالة في جيهم وهل يمكننا ان ناتي اليه .

وركضت الى غرفة المكتبة ، واخذت السماعة . وتكلمت ، وكان كل ما قالت: «اني خائفة يا امي ، انني خائفة» . ونظرت الى النافذة مستطلعة . لقد كانت في هذه اللحظة تخشى ان يخترق صوتها الجدار فتصل الى اسماع المراقبين المبثوثين في كل مكان . ورأت عى سمع بيت مجاور عيون اربعة تحدق بها وكان صاحبها يحملان مسدسين .. وكانت يد خاسمة تشير ان اتركي التليفون . وجمدت في مكانها . وتركزت الالة تسقط في مكانها . وركضت الى غرفتها فاصطدمت بلعبة طفلتها ووقعت . وركض زوجها اليها . وكان يداعب شعر الصغيرة وعيناه شاردتان : « ما بك ما بك ؟ ارى ان اعصابك نائرة . نائرة اكثر مما ينبغي . لقد كنت اعتقد انك اكثر شجاعة ، فاذا كنت لا تستطيعين ان تقبضي اعصابك ، فماذا يفعل الجبال من جنسك ؟ اريدك قوية ، فنحن بحاجة الى المرأة تشاركنا جهادنا ولا تقل عنا هوسا واندفاعا . »

— لم تعد القضية قضية ضبط اعصاب . لقد تجاوزنا هذه المرحلة . انها لحظة حاسمة نمر فيها . لحظة يتأرجح فيها مصيرنا . ان الموت هنا يهددنا ويذلنا . اجل يذلنا . انه يكشف عن حقيقتنا . وانا اخاف الموت .

وبرق في خاطرها بعض ما كانت قد قرأته من تأملات فلسفية حول الموت . لكم تبدو لها هذه الملاحظات سخيفة معراة من اي طابع واقعي . ان هؤلاء جميعا لم يعانون مشكلة الموت ، هم لم يواجهوه في لحظته الفاصلة ، اللحظة التي ينهار فيها الانسان وكأنه لم يكن . لقد بحثوا فيه من دون ان يعوا واقعه هذا الرهيب . اتراهم حقا كانوا يجدونه لـبو تمثاوه بهذه الصورة التي يتجسد فيها امامها : وحشا مفترسا يفتح فمه عن انياب حادة قاتلة وتلمع عيناه ببريق مريع وبغمد اظافره الطويلة القاطعة في الجسد الطري تنبشه خيطا خيطا . لقد احسبت بهذا الشبح يطبق على رقبتها فصاحت دون ان يرتفع صوتها : لا . لا اريد ان اموت . لا اريد ان اترككم .»

ونظرت اليه . كان هو ايضا في صميمه خائفا ، خائفا على مصير عائلته تلك الصغيرة ، الا انه كان يحكم عقله اكثر من عاطفته . وانحنى على زوجته يحيطها بذراعيه فهدأت نفسها قليلا وقالت له :

— اتراني كنت اخاف هذا الخوف كله لو كنت في ساحة القتال اشارك افراد المقاومة ؟ لا اعتقد ذلك . ربما كنت اكثر شجاعة . فانا اشد خوفا عندما اكون وحيدة مني لو كنت محاطة بفريق من الناس يواجهون نفس المصير الذي ساواجه . يخيل الي اننا بتضامننا لا بد ان نقهر الموت وان ننتصر . وفورة النصر هذه هي التي تدفع المقاومين الى الموت مستعطين عليه متجاهلينه . اولسنا نحن ايضا نعيش لكوننا نتجاهل هذه الحقيقة المريعة : الموت . والا فكيف نستمر كل يوم في بناء اعمال الغد ونحن مهددون في كل لحظة ، اذ نرى افواجا من اخواننا البشر تضمهم كل يوم حفرات من التراب يشعش فيها الدود والتتن حتى تنحل

اجسادهم فاذا هم حفنة منها ؟

كانت تتمتم ذلك . ان رواسب من الخوف ما تزال تغلي فيها وتدفعها الى ان تتكلم ، ان تتكلم اي شيء وعن اي شيء ، خشية ان يطفو هذا الخوف فيستولي عليها . وما هي الا لحظة حتى عادت الطلقات تصعقها . فاجفلت وامسكت به محدقة : العيون الاربعة ، العيون الاربعة الحمراء كم اخافها !!

— لن نقيب عن البيت طويلا . سنعود حين تهدأ الحالة . هل احضرت كل شيء ؟

— لقد هيات كل ما تحتاجه الصغيرة وبعض اشياء لك . واستحضرت قميص نوم لي : يكفيني ذلك . فنحن لا نستطيع ان نحمل اكثر من هذا . — لا . احضري لك ثوبا على الاقل . من يدري ، ربما طالت غيبتنا بعض الشيء .

وفتحت خزانتها . ماذا ستحضر ؟ فقيد لا تعود الى بيتها هذا بعد . ربما نسف وانهار كل شيء فيه . انها تحب ملابسها كلها . لكل قطعة منها حكاية وذكرى . انا قليلة . ولكنها تحس انها تحمل بعضا من وجودهما ، هذا الثوب الابيض . كم يحبه . لقد كانت ترتدي مثله حين رآها للمرة الاولى ، فقال انه يعكس كل ما تمتاز به من صفاء نفس وبراءة . وهذا .. وذاك . لا انها لا تستطيع ان تحملها كلها . ستأخذ واحدا فقط . وستفلق الخزانة ، وفي نفسها حسرة

وحملت الحقيبة الصغيرة . وحمل هو الطفلة ، وخرجا من غرفتهما واجتازا الصالون ، ووصلا الى عتبة المنزل . ونظرت قبل ان يفتح الباب الى الصالون . ان آثار الزينة ما تزال قائمة : الاوراق المخرمة الملونة ما تزال معلقة من باب الى اخر والبالونات متدلية منها وكذلك اللبسات الكهربائية الصغيرة . وبكت الصغيرة مادة يدها . انها تريد ان تظل هنا . هي لم ترتع بعد بمعالم تلك الزينة . لقد كان عيد ميلادها منذ اسبوع فاحتفلوا به ثم اضطروا في صباح اليوم التالي الى مفادرة منزلهما . وما هما يرحلان عنه ولم تمض عليهما ليلة كاملة فيه .

دفعها الى خارج المنزل . فنظرت الى بيتها الحبيب . واقل هو الباب ببطء ويده مرتعشة . ونظر اليها فاذا هي تبكي . فاختنق صوته وحين نظرت اليه ابتسمت ابتسامة شاحبة وهي تسمح دموعها كالطفل : المهم ان تنجو . كل مكان سيفضلنا سوف نحبه .

— اجل يا حبيبتي . ولكننا سنعود اليه . والان انتهي . يجب ان نحذر ، فالقاومون منتشرون في كل مكان . يجب ان اثبت اولاً من ان احدا لن يرانا . وعلى الاقل سوف اعرف بعض الحراس بنفسي حتى يسمحوا لي بالمرور . خذي الطفلة وانتظريني قليلا .

— لا . لن ادعك لحظة ، سنكتشف معا . ثم انه لا يمكن للمقاومين من منطقنا ان يطلقوا علينا النار وهم يرون بين ايدينا طفلة . الا تعتقد ذلك؟ — هذا صحيح . ولكن انسيت اية فظائع ترتكب الان ؟ ان سكاننا يقتلون ، وكانوا منذ ايام يعيشون متآلفين متمازجين ، حتى اوقع بينهم محترفو السياسة السفاحون . لقد عرفوا ناحية الضعف من نفوسهم فاستقلوها وبرزوها وحملوها شعارا يدفعون به عنهم . وما هم الان يتقاتلون . فابن هو العدو وابن هو الرفيق ونحن كلنا ابناء وطن واحد ؟ اتصورين ان جيرانا لنا في الحي نفسه قد يستبيحون لانفسهم ان يطلقوا علينا النار . اية فظاعة هذه ! ولكننا نحن لا نقاتل . اننا فقط ندافع عن انفسنا ندافع عن ارضنا ، عن استقلالنا الحقيقي غير المزيف .

قراؤها . ونظرت اليه . كم هي تحبه وتحترمه . وقبلها . لقد كان قلبه مفعماً بالفرح . ان كابوساً قد ازيح عنه . انه سيشارك ، بل قد شاركه منذ اليوم اخوانه الثوار ..

وقالت له : هل عاد اليك ايمانك بالكلمة ؟

— اجل . اليوم . انني اؤمن ان الثوار بحاجة ايضاً الى توجيهات المثقفين منا والمخلصين . انهم بحاجة الينا . هم يعيشون على اعصابهم ، ينقادون بعواطفهم . انهم في قلب المعركة المحتدمة لا يجدون لحظة ليفكروا فيها . هم ناثرون ، ناثرون حتى الموت ، فكان الموت هو مبتغاهم . اما نحن ، فاننا مانزال خارج المعركة عملياً وان كنا نعيشها . اننا نستمد من واقعهم مادتنا وحماسنا ولكننا لا نلتصق بواقعهم ، بل نبقي منفصلين عنه ، بيننا وبينه مسافة تجعلنا قادرين على ان نسيطر على عواطفنا لنستغل عقلنا في البحث والتجرد والتخطيط . فاذا لم ننفذ خططنا وتوجيهاتنا اليوم ، فلسوف تنفذ بالمستقبل ، لانها لمستقبل زاهر امثل . ولعلها ستكون البذور التي تزرع ثورة اخرى ، اعم واشمل ، تستولي على جميع مرافق حياتنا فتغير مجرى تفكيرنا وواقعنا الحياتي .

ونظر الى زوجته الراضية ، وصوته متهدج من الانفصال . فقالت له : — انني اخاف عليك . انك جاد في كتاباتك جداً . السن تخشى ان يلقوا القبض عليك ؟

— يجب ان تتوقعي ذلك بين لحظة واخرى . ولكن لا تجزي لذلك . الا تعتقدين اني اخون ضميري حين اصمت ، فلا ادافع على الاقل عن شرف الكلمة التي اؤمن بقديستها ؟

والفتت الى اليمين ثم حط نظره على فراش صغير مد على الارض . لقد كانت طفلة نائمة . وكانت خصلة من شعرها الفاحم متدلّية على جبينها الابيض ، وكانت بسمه محبة تزدهر على شفيتها الصغرتين .

عائدة مطرجي ادریس

## الكتاب

اجمل هدية تقدمها

لاصدقائك في الاعياد

مكتبات انطوان

بيروت — لبنان

وهذا ما يرد لمقاومتنا نبليها ومجدها . سوف اكرس نفسي لظهور هذه الحقائق . ولكن ، يا الهي ، اية فائدة من ذلك ؟ لقد شوهوا كل معنى . وقلبوا جميع المفاهيم !

واسرعا الى الطريق . كان في الزاوية المقابلة احد افراد المقاومة الشعبية . فاوماً اليه بيده . فهرع اليه . وأذن له . على ان يسرع ما استطاع . لان المقاومة في هذه اللحظة تتوقع هجوماً . وستقابله بكل امكانياتها . لعلها ستكون المعركة الفاصلة .

وركض الى سيارته الصغيرة وادارها . وركضت وهي تحمل الطفلة وقد انحنت فوقها حتى لم تعد ترى .

واشار اليه المقاوم بان يسرع ، بان يلقأ اقلعاً جنوبياً .

ستبدأ المعركة . وهنا بالذات ميدانها .

وهم هو بان يلقأ . ثم كف . لقد كان جار له يصرخ ويستغيث بان ينتظره قليلاً ، يكاد ان يغمى عليه . وهو مريض لكثرة ما عانى تلك الليلة ثم هو غريب عن هذا البلد . فلو عرف الاعداء به لزقوه . وكان هو يؤمن بنظافة جاره وان لم يكن يعاشره معاشره كافية . ورجع الى الورا وفتح له الباب فارتدى على المقعد الخلفي كانه سكران . وانطلق هو بسيارته . وانطلقت من خلفه اصوات الرصاص .

واصبحت اذناه لا تسمعان سوى الازيز وعيناه لا تريان سوى الايدي الملهبة التي تنثر الموت وتزرعه في كل بقعة . وخلا الطريق فجأة من كل ما هو حي .

— لقد تأخرنا . كيف سنتوجه . ان الطرقات شبه مسدودة . ان الخنادق فائرة افواهاها والمتاريس قائمة عند مفترق كل طريق .

ولم يكن له ان يختار في هذه اللحظة او ان يفكر . كان يقود بسرعة جنوبية ، فيرى في وجهه متراساً او خندقاً فيحيد عنه ثم يحاول تغيير اتجاهه .

وكانت هي تتابع نظرات زوجها المحمومة التي لا تستقر . لقد بلغ الخوف عندها اشده حتى انها لم تعد تشعر به .

واجتازا المنطقة الخطرة لا تدري باية اعجوبة ولكن اصوات الرصاص والقنابل كانت ما تزال تنفجر في اذنيها . وكانت الصغيرة ترتعد وتجفل . وحين بلغوا بيت والدتها نزل جارهما ومشى كالتائه . ولم يقل لهما اي شيء . وعندما فتح الباب ارتمت بين ذراعي امها وهي تجهش في البكاء . وظلت تبكي . فاشار زوجها بانها بحاجة الى الراحة ، وانها نائرة الاعصاب .

وتمددت على السرير . ونامت . ولم تصح حتى صباح اليوم

★

التالي .

كانت الساعة تشير تماماً الى الرابعة صباحاً . وكانت اصوات بانعي الصحف تخترق الصمت المخيف . انهم ياتون في هذه الساعة المبكرة ليبيعوا صحف الثورة . وهي اولى الساعات التي سمحت بها السلطة بالتجوال . وكان الناس ينفضون من فراشهم الى شرفات المنازل وهم يتلهفون لمعرفة ما جرى في تلك الليلة ، وهب هو من فراشه وفتح باب الشرفة . وادلى بسلة صغيرة معلقة بحبل ورمى في السلة الصحيفة . ولم ينتظر هو ان يرد له ما تبقى من فئوسه . بل رفع السلة . وامسك بالجريدة وقد هدأت نفسه . وحملها الى زوجته . لقد شعرت بخروجه فباتت ترتقبه . ودخل الى الغرفة واخذ الجريدة بين يديه وبدأ يتمم . ثم القاهما بين يديها .

كانت الصفحة الاولى تحمل في افتتاحيتها كلمة لزوجها . وكان عنوانها :

« شرف الكلمة »





# الحبدي الأخير

اني اذهب لكن بعد النصر .. »

★

كان الشفق بلون الدم  
وسحابات دخان تصعد فوق البقعه  
وتحرك اخر ابطال القلعه  
بيد تمسك جرح الرئة اليسرى  
ويد تركز علما في مسرى النسمه  
ثم تميل فتكتب كلمه ..  
« للآتين غدا .. »

كل يد تقدر تضرب ..  
قد تنصركم غمضة عين صبر  
يكتبها اخر جندي وهو يموت ..  
ثم انكفأ البطل ومات  
القي بيديه على اول جسد لرفيق  
عانق فيه الاصحاب جميعا ..  
اغمض عينيه على منظر دوحه  
تمتد الى كل الدور بظل  
وتميل الى دار عند التل  
فيها اطفال له  
ثم انداح سكون الليل  
ثم احتضن القلعه طيف نهار  
قبلها الفا وامتد  
ليعانق في رفق علم القلعه  
ولينقل للعالم قصه ..

★

كامل ايوب

القاهرة

ما زالت تتلاقى السنة النيران  
ما زالت ترعد احلام الموت وتبرق  
والتتر يحومون ولا يخطون  
في هذا الفجر ..  
سقطت خلف جدار القلعه اخر فرقته  
الا جنديين التقيا محنيين  
واتفقا في نظرة عين ..  
« لا تضرب من ركن واحد ..  
ولتتنقل في امكنة الجند  
ان الرخ يكاد يلم جناحيه  
ثم يعود بدون الصيد .. »  
في هذا الفجر ..  
لم تسكت في القلعه طلقه

★

جنين يشدان ..  
يقتحمان صراع الموت بالف ذراع  
لا كلمه الا الانفاس  
الا وهجا في العين وهمسا في الصدر  
اللحظة ميزان الخمس ليال  
مات الذعر ..  
سقط الاول عند الظهر  
لكن القلعه ما زالت تضرب تضرب  
ما زالت تنذر بأتون اثر اتون  
واتى المغرب ..  
« عجا ان الرخ يلم جناحيه ..  
التتر يعودون !!  
لكني مجروح في الرئة اليسرى  
اني ميت .. »

صمدوا حتى اخر مدفع  
حتى اخر جندي في اخر فرقته  
خمسة ايام بلياليها تزكو النار  
خمسة ايام والقلعه كالطود  
ثم ارتد الموت الزاحف  
ثم احتضن القلعه طيف نهار  
قبلها الفا وامتد ..  
ليعانق في رفق علم القلعه  
ولينقل للعالم قصه ..

★

ذات صباح جاء الجند  
ارسلهم ملك مجنون خلف البحر  
ليعودوا بفنائم من جزر الخيرات  
وسبايا شرقيات سمر ..  
عدتهم نار وسفين وحديد ينصب  
قائدهم تترى لم يقهر في حرب  
لم يجرح في سبعين قتال ..  
« فلنضرب في القلعه »  
يوم يومان ثلاثة ايام  
والقلعه يمطرها الموت فلا تنهار  
تتلقف بالنار النار  
وتردد في بحة مدفعها لن استسلم  
« بركان لا ينضب منه الجمر  
دكوها ونمر على القبر  
دكوها دكوها .. »

★

واتى فجر اليوم الخامس ..



# عرض ونقد لرواية «أيام مع» حما سقته كسائرة! بقلم فضل السبيعي

لهاشقة الثائرة ، لم تقتصر الشاعر اقتسارا .. ان المشاعر الثائرة ، التي تقص بها القصة في كل فصل من فصولها ، بل في كل صفحة من صفحاتها ، انما هي من قبيل ما يعتلج قلب كل فتاة تأسرها عاطفة الحب ، فتصادفها الصعاب الكبيرة ، فاذا هي ثور على القيود ، وتكفر بالمثل الصنمية الجامدة ، وتجمع ، الى ان يتبدى لها وجه الحقيقة ، فترتد الى الواقع ، وقد انهكها النضال والثورة والشموس .. وما فعلت كوليت ، ان عبرت عن هذه الاحاسيس بجرأة وصراحة ووضوح ، وهو عين ما يتطلبه «الصدق الروائي» ، فكان ان انطلقت اجنحتها الصغيرة ترود اجواء الفن الصادق الثائر ، فنظرنا اليها في مودة واعجاب ، وانها لثورة حقيقة بالاعجاب مهما قيل في جموح هذه الثورة وتطرفها وايغالها .

احبت «ريم» الفتاة الشاعرة ، «زياد» الشاب الموسيقي ، وهو على غير دينها . فلامها المجتمع ، ممثلا في اقارب لها وصديقات ، فما لانت ، وكفرت بالنصح يسدى لها في سبيل اخلاصها للعاطفة المنتفضة في سويداء قلبها .

وكانت تربطها بالفتى «الفريد» آصرة خطبة ، فتحللت منها او كادت لماذا ترتبط بمن لا تحب ولا تميل اليه ، وبمن تراه انانيا محبا لذاته ؟ انها صادقة مع نفسها وقلبيها . تحب زياد ، لا الفريد . فترتبط بمن تحب برابطة الحب وحدها .. ثم تترقب ان يحين ذلك اليوم الذي يشدها فيه اليه رباط الزوجية السعيدة .

✱

ابتدأت القصة لترسم لنا شخصية ريم ، فتاة رومنتيكية تحن الى المجهول :

« كانت اقضى ساعات ايامي ساعات الليل .. فادخل غرفتي الموحشة ، وارتمي على سريري ، واغمض عيني رغبة في النوم والسيان ، فيرغب النوم عن عيني ، واهب من فراشي ، واقضي ساعات اذرع بيتي جيئة وذهابا .. ثم تحملني قدامي الى الشرفة ، فانظر الى السماء ، ويلوب خيالي بين النجوم ، وابحث .. وابحث ، علي اجد .. بين النجوم .. انسانا .. علي اجد صديقا . وكم من مرة ابتسمت حزينه للقمر ، وناجيته ، لانه يسهر كل ليلة وحيدا .. مثلي انا ... »

وتجد ريم هذا الصديق .

كان في الاربعين من العمر ، وهي بنت عشرين ، وكان طويلا ممتليا

اما العاشقة ... فهي «ريم» الفتاة ، الشرقية ، العربية ، من قلب دمشق !

واما الثورة ... فعلى المجتمع ، تقاليده وقيوده ، وعلى الحب نفسه !

واما صانع هذين ، العشق والثورة كليهما ، فالادبية السورية الشاب (كوليت سهيل) في قصتها الاولى المطولة «ايام مع» ، التي قيل فيها : «انها ثورة ... في عالم الادب» !

ان هذه القصة المطولة ، تمثل الابداع الفني للادبية كوليت التي عرفناها ، قبل اليوم ، تتسلى بنظم الاشعار باللغة الفرنسية ، فاذا هي تطلع على جمهرة القراء فجأة بهذا الكتاب ، فتذهل كتاب القصة ، وتنال اعجابهم الشديد مهما حاول بعضهم ان يكتموه خلف الضلوع ولا يوحوا به! على ان الدوي الذي احدثته هذه القصة في عالم الصحافة ، كان ذا حدين متناقضين : ما بين اعجاب معجب ، وبين سخط ساخط ، ولو ان الاعجاب هو الغالب . ولقد فاق هذا الدوي كل حد ، وغلا غلوا عجيبا ، حتى لقد نسجوا حول الكاتبة هالة من الهالات ، وخلصوا عليها من الصفات والسمات ما بانت تكره هي على نفسها قبل سواها .. وما ذاك ، الا لان القلم الذي ابدع «ايام مع» ، انما امسكت به انامل انثى ... ولطالما قصر الادب النسوي عن ادب الرجال في بلادنا الشاؤ البعيد ، فكان التهليل هو الصدى المنتظر لكل عمل ابداعي تدفعه الى الجمهور سيئة .. واحجب به من تشجيع تستحقه المرأة ، الى ان تعاذي الرجل ، فيكون اذاك بينهما تزاخم واستباق ، ويكون التهاويل لها بقدر وحسبان .. ولعل ذلك اليوم ليس بالبعيد .

ولقد اعجبني الفن في هذه القصة التي تخطها انامل لم تكتب القصة قبل اليوم ، مثلما اعجبني ، في بطلتها ريم ، التحرر والتمرد والجرأة والاندفاع والجموح .. ثم ضيقها بالرواسب تعلق بالاذهان ، وبالشوائب تكبل التفكير والقول والتصرف !

احسنت ريم بالرغائب الانسانية تنتفض في صدرها ، فما سكنت عنها ، ولا حاولت وادها ، ولكنها سعت الى تحقيق مالها ، فلكيت في دربها الصدمات ، فما زعزعتها الصدمات ، وظلت ماضية قدما : فذاقت الحب ، ونعمت به ، وشقيت به ، وارتعت كاسها منهعدوبة وطلاوة ، ثم شجنا وانينا ، الى ان صارت الى نهايتها ، حيث كيفت على اساسها رغائبها الاولى ، فاستراحت عند ذاك مطامحها وامانيها .. وتلك خاتمة المطاف .

والؤلفة كوليت سهيل ، في تصويرها المراحل العاطفية والنفسية

عن عاطفة الامومة بهذا الايجاز والصدق والمفوية والسمو ؟  
تعرفت ريم بزياد عند بائع الورد ، وكان تعارفا جميلا صنعته لنا  
الكاتبة . وجاء اللوم ينقض ظهر ريم : اتركه ، يا ريم ، ابتعدي عنه ،  
الفارى بينكما كبير!  
ورافقته الى السينما غير آبهة . وارتداد الفتاة الاماكن العامة ،  
بصحبة شاب لا تربطها به قرابة ، يفارب ان يكون في عرف المجتمع  
جريمة . .  
وجعلت ريم تفكر :

« كم من فتاة تذهب وحيدة الى السينما ، وعندما تطفأ الانوار ، ياتي  
صديقها ، ويجلس الى جانبها ، وتتحاشى البقاء معه حتى نهاية العرض  
فيخرج قبل ان تضيء القاعة الانوار ؟ .. وكم من فتاة تذهب الى شقة  
شاب اعزب ، مستترة باجنحة الظلام ، وتخرج من عنده على رؤوس  
اصابعها ، وتعود الى بيتها لتخبر امها انها كانت .. « عند الجارة »  
ستار الخبث ! لماذا تسدله الفتاة على افعالها في بلدي ؟ طبعاً لانها  
لا تحترم التقاليد !! هل اكون انا كلاخريات ؟ .. »  
وماجت الثورة في اعماقها .

« ما اغبى الاهل الذين يجبرون فتياتهم على اقرار مثل هذه  
الافعال ! وما اقبح المجتمع الذي لا يحب الصراحة ! المجتمع السني  
يؤثر الدعارة في الخفاء على الابتسامة الطاهرة علناً . »  
أرأيت الى هذه الثورة ؟!  
ورافقت ريم بزياد الى السينما :

« مد ذراعيه بصورة طبيعية ، واحاط كتفي وظهري ليحميني اولا من

الجموع المحتشدة ، ثم من  
ظلام المر . وددت لو  
يقي دائماً هكذا ،  
كبيراً .. جدياً .. قوياً ..  
يشعر بضعفي فيحميني  
.. تمنيت لو تظل هذه  
الذراع تحيط كتفي ، وترفع  
عنهما مسؤولية الحياة . »

يا لهذه المشاعر من  
اشوية دافئة ، الادب جدير  
بان تبوح اليه بها  
انثى جريئة صادقة .

وجاءت اليها جدها  
نعانها مستطارة اللب :

« - ريم .. اصحيح انك

كنت في السينما ، منذ  
يومين ، مع شاب ؟

« اجبتها بصورة طبيعية :

« - نعم .. لماذا ؟

« - ريم ماذا دهالك ؟

هل جئت ؟

« - على العكس يسا

« تينا » .. لقد ابتدأت

اعقل .. » !!

الجسد ، وكان موسيقياً لامعاً ، قد جاب الامصار ، وعاش في بعض  
المواصم الاوروبية سنين ، فاكسب خبرة وتجربة ، وعاشر من النساء  
الاصناف التي يعاشرها الغريب في بلد تقص بالنساء شوارعه ومنتدياته!  
ووقعت ريم في شبابه ، مع فارق السن ، والدين ، والتجربة ، ورهافة  
الحس .

كان موسيقياً مخلصاً لفنه وحده ، لا يرى في الحب الا لذة مادية  
عابرة لا تستحق الاخلاص ، فالاخلاص لئفن .... وهو يريد لها ان تخص ،  
الاخرى ، لفنها ، لشعرها .

« - انت خلقت كيما تكونين فنانة ، لماذا لا تكتفين ؟ هل نصب نبع  
الهامك ؟ استغيني من مواهبك ، اكتبني ... استثمري حروفك ... ضحي  
من اجل فنك ، واجعلي من الفن حياتك لا من الحب ! الحب ! الحب !  
عاطفة سخيفة ، وزائلة ... »  
« - انت لا تجني !

« - لاتفهمي كلامي خطأ ، ارجوك ! انا احبك حباً عميقاً ، عميقاً جداً ،  
ولكن هذا الحب الذي تتحدثين عنه ، انا لا اومن به اصلاً ... ! يا ريم ،  
الفن وحده يخلدوكلنا الى زوال ، الفن يبقى بعدنا ، لكن الفن يحتاج  
الى تضحية ، انا احب فني .... حاولي ان تفهميني ، انا مطارد صور  
وصياد انعام ... الفن بحاجة الى مواد اولية ، وانت لا تقدرين ذلك ،  
ان حبك الجنوني يحده من حريتي كفنان .. انا احبك ، ولا اريد فتاة  
غيرك .. مطلقاً .. انا معك دائماً .. ولكن ارجوك افهمي فني .. »  
كذلك يقابل زياد المحرب ، حب هذه الفتاة العاشقة التي تريد ان  
تهبه قلبها . لكم كرهنا زياد على فلسفته ... لكم اشفقنا على ريم  
الفتاة الغريرة !

وعندما مالت اليه ميلها الشديد وولعت به ، ارادت ان تكاشفه في  
زواج :

« - زياد ... الا تشعر بالوحدة ؟

« - الوحدة ؟ الوحدة خصة يا ريم ... خصة جداً .. انا لا اعيش  
وحيداً ... انا اعيش مع فني والحاني ... ثم انا احب الحرية ،  
والحرية توجد في الوحدة ... انا لا استطيع ان ارتبط بقيود ... ان  
ذلك يحد من آفاق فني .. لا ... انا احب الوحدة ... »

« فهمت ان زياد يستبعد فكرة الزواج ، وانه لم يشعر بعد بصفيق  
الوحدة » .. « كنت ساقول انني في حاجة الى شخص حبيب يفي الى  
جانبي ، ويدلني على طريقي ... ويدفعني فيه ... ! شخص يسدد  
ضياعي وخوفي ، ويعطي معنى لوجودي ، فاجد في ظله الامان ، ثم  
اكتب .. واكتب .. واكتب .. »

احبنا ريم في حينها الى المجهول ، وخوفها من الوحدة .. وازداد  
كرهنا لزياد ، الذي ينفر من اسار الحب الجميل .

بل انها لتطلب منه طفلاً ، عندما تنبثق في حناياها عاطفة الامومة ،  
الى جوار الخوف من الوحدة ، وهل انبل من الامومة تبدد وحدة المرأة ؟  
« - الى اي درجة تجبينني ؟

« رفعت نحوه عينين ادمعهما الوجد ، وقلت بصوت ترفرت فيه  
الانوثة :

« - احبك .... احبك الى درجة انني اضحي باي شيء .. اي  
شيء عندي من اجلك .. »

« ثم تمتمت : « - واريد .. اريد ان اعطيك ... طفلاً ... »  
هذه العاطفة خلقت لتعبر عنها المرأة .. هل من رجل يعبر في قصة

بعد قصة تجاري مع الحقيقة  
لفانزي

دار العالم للسرابين

تقدم كتاباً عالمياً آخر  
للطبع

عشر قدي  
غانزي

للكتور

راجندر برازاد

رئيس جمهورية الهند

تعريب: منير البعلبكي

وتبلغ نورة هذه العاشقة ذرونها العالية ، عندما تناقش مفهوم «الشرف» الذي يستمسك به المجتمع الشرقي :

« هل انا شريفة ؟ انا التي احدث الرجال ، واحب صداقة الرجال ؟ هل يعتبرني الناس شريفة ؟ انا التي ارافق شابا الى السينما ، واستقبله في بيتي ؟ ... » ، « يقولون عندنا عن امرأة تثير الضغائن ، وتحول الفتن ، وينخر قلبها الحسد ، ولا تترك فرصة تمر دون ان تسيء فيها الى الآخرين ، انها شريفة ، لانها لا تخاطب الرجال ! وينمتون بقله الاخلاق ، فتاة طاهرة طيبة ، لا تريد للآخرين سوى الخير ، لانها احبت رجلا ووهيته نفسها ! هذا هو المنطق في بلدي ... » ، « انا اؤمن بالاخلاق الصحيحة بالافعال التي يرضى عنها الضمير الصحيح لا العادات ... » ، « اليس لي شعور يتدفق مثل شعور زياد ؟ بل اكثر ؟ اليس لي جسد تنهشه الشهوة مثل زياد ؟ » ، « انا لم اشعر بالحرمان قبل اليوم ، لانني لا استطيع بل لا اريد ان اهب جسدي دون ان افني قلبي ... ولكنني اليوم اتالم .. انا احب .. هل الحب محرم ؟ وهل يعلم المجتمع ان كلمة شرف كلها تدوب في حروف الحب ؟ شرف .. شرف .. كل واحد هنا ينادي بالشرف ، ولكن هل هناك واحد يفهم معنى الشرف الحقيقي ؟ وفجأة ، تجسمت امام ناظري قصيدة للشاعرة نازك الملائكة : الاخ الذي يقتل اخته « غسلا للعار » ، ثم يذهب الى الحانة ليشرب بين احضان « الفانية الكسلى » نخب الشرف المستعاد ! نعم ! الشرف كلمة نتفنى بها ، لا عن عقيدة بل عن انانية ، وغرور ، وسخف ! .. !!

فتاة شرقية ، من قلب دمشق ... تناقش هذه القضية بصراحة متناهية . وهي ، في مناقشتها قد تخطى الرأي ، وقد تصيب كبد الحقيقة ... ولكن المعجب في هذا ، هو جرأتها - وهي الانثى الشابة - وابتدائها لهذا الموضوع الخطير .

وانها لتصف - بدقة وجراة - احساس شابة بين يدي حبيبها الاول :

« واحنيت راسي على كتفه ، فتسالت اصابعه تنفذ الخصلات السود من الدبابيس القاسية ، وتعيد الحرية لشلال الشعر العائم .. وارتفعت همساته الخنونة :

« - ريم .. صفرتي .. يا حبيبتي ..

« رفعت نحوه ففري .. فخيبت انفاسي على دفء كلمانه .. وامتزج شوقه بصلاة عيوني ..

« برفق ... احتوى العشرين عاما بين ذراعيه القوين ، فاخطلط في ناظريه الشهوة بالحنين .. وتماوج في ناظري الهوى والليل ..

« وعلت ، شيئا فشيئا ، همهمة الحب ، بقصر المدى بين شفاهنا ... وتلاشى ، شيئا فشيئا ، خف عيوننا المغمضة ... ضوء الفانوس الاصفر الصغير ... » .

فتحت ريم قلبها للحب ، واشعلته نورا ونارا . وما يشتعل ويضيء ، يحترق ويفن . فهل احترق قلبها واصابه الفناء ؟

الحق ، ان قلب ريم قد ماجت فيه - في فترة - ثوره حب لاهبة صخابة ، وتطلعت الى ان تربطها برجلها وشيجة الزواج يشدها اليه حتى اخر العمر . وهنا عطفنا عليها كل العطف ، فقد استطاعت ان تقنعنا بصواب مسكنها بعد ان بررت لنا خير تبرير ، حتى انجذبنا اليها نرجو معها ان يكمل الزواج حبها الوهاج .

ولكن زياد ، كان يفضل دائما فنه على حبه . والحب عنده مادة

ضرورية لتفذية مشاعره الفنية ، وما ريم ، وسواها ، غير « مواد » ، انهن فتيات ماضيات ، يعبرن به او يعبر بهن ، وريم احدهن . صارحها بذلك ، فقطع نياط قلبها المشتعل .

وعلمت ان فتاة تركية ، على دينه ، قد اقبلت الى دمشق ، فاولاها عناية خاصة . ان «سوزان» مادة اولية جديدة ، تثير فنه الاثير . وانطلقت الاشاعات : زياد سيتزوج سوزان ..

افصحت لها احدى صويحاتها ان زياد وسوزان « اذا تبادلوا الاعجاب ، فلا عائق يقف في طريق زواجهما ... انسيت ان الدين يقرب ما بينهما ؟ » . فانطلقت من ريم صرخة ، قدسية ، زهراء ، فيها العاطفة الطاغية الصادقة ، وفيها المنطق المفهم الذي لا يدع قارنا في غير اقتناع :

« هل يعتقد الناس ان هذه الفتاة التركية اقرب الى زياد مني ؟ انا التي رضعت معه ينابيع بلدة واحدة .. انا التي تحرفت معه بشمس سماء واحدة .. انا التي شاركت معه ارضا الشوق الى امطار سماء واحدة ... انا التي احنو معه على احجار بلدة واحدة ... انا التي اتفنى معه بتاريخ بلدة واحدة .. وانا .. انا التي افني حياتي ، معه ، لازدهار مستقبل بلدة واحدة ... هل هي اقرب اليه مني ، وهي التركية التي تزور ، لأول مرة ، بلادي ؟ .. » .

يا للجنينة ، من مبدعة رائعة الاحساس !

كذلك تمضي القصة بقارئها تفذيه بشحنات من الاحساسات الرقيقة والثورة الجهرية !

وزياد يابى الزواج . لانه مكس حياه لفنه . وهي اعنصرت قلبها في ايامها معه ، حتى ذوى الحب في ارجاء هذا القلب النابض ، وشاع اليأس واصفرار الخريف وانتفاضة الموت .. وان تصوير هذا الجو ، في القسم الاخير من القصة ، ليوحى اليك باليأس والحزن والاسى جميعا ، حتى لتكاد تدرق الدمع من اجل ريم ، وتكاد شفتاك تنبسان بالكلمة المزرية توجعها لزياد شفاء لفلك الذي يستعر في قلبك .

ولكن الكاتبة ، لم ترد ان تغلق علينا القصة ونحن نحس هذا الاحساس القاسي نحو زياد ، فجعلته يعود اليها طالبا الغفران ، ولكنها ، وهي التي يست من حبا لخطيبتها ومن حبا لحبيبها ، اصبحت اكثر ايمانا بالفن كشاعرة :

« - احبك يا ريم ... هل تتزوجيني ؟ »

« - يا زياد ... الفن والزواج لا يجتمعان ..

« - ارجوك .. لا يحاربيني باراني ..

« - لكنها اصبحت آرائي .. اني مؤمنة بها .. كيف نضحى بفنك ونزوجني ؟

« - اذا طلب مني ان اختار بينك وبين فنك لارد لحظه .. انا لا اريد شيئا غيرك في هذه الحياة ..

« - هل جنت يا زياد ؟ انت تحب فنك .. ويجب ان نعيش من اجل فنك ... ان فنك هو الشيء الوحيد الذي يستحق التضحية . نعم كنت اريد الزواج .. كنت ارحب بالزواج عندما كنت ضعيفة .. نانه .. لكنك انت با زياد حملتني الى الواقع ... عمتني ان احب فني ... ان اعطني بفني ... ان اعيش للشعر ... وانا الان مؤمنة بان الزواج والفن لا يجتمعان .. »

وانتهى الامر بريم الى ان نهب نفسها للفن .

ان الفراغ الذي كانت شكوه منه وبخافه في الماضي ، بدا لها اليوم ، - التهمة على الصفحة ٩٨ -

## العاشقة الثائرة

— تنمة المنشور على الصفحة ٨٠ —

بديعا ذا معان جميلة :

« ساملا كاسي برحيق الفن ، فالن نبع فياض ، دفق وجود لا ينضب ... مهما غرنا منه، يظل يفرقنا بالجمال ... ومهما نهلنا منه ، يظل يسكرنا بالامال والحب .. ساهب حياتي للحرف : ساجعل منه الهوى ، ورفيقي ، وعبدني .. فأمره ساجدة ... واعبده ، سيده . واشكو اليه همومي كإنسان حبيب .. »

✦

الى هذا المصير انتهت عاشقتنا ريم .

نارت على المجتمع ، الذي اراد ان يحول بينها وبين ممارستها عاطفتها الانسانية على الوجه الذي ترغب ... ثم نارت على الحب نفسه ، لانه كما بدا لها اسار يقيد جناحيها فلها الطليق .

وانت ، في هذا كله ، مندفع مع ريم العاشقة الثائرة ، متجاوب منساق، تؤمن بأرائها ، لا يداخلك فيها شك .

وان ما يحملك على هذا الانسياق والتجاوب ، صدق التجربة التي تقدمها اليك الكاتبة ، فهي من حيث الصدق كاملة غاية الكمال . وان الصدق ليتجلى في هذه « الجزئيات » الصغيرة المتدافعة المتراخمة في تضاعيف القصة ، فكل ما يمكن ان يقع بين الحبيبين من تمنع ، ومطاوعة ، ووجد ، وجفوة ، وفرح وارق، وافتراق .. كل ذلك مدرز ، احدها اثر الآخر ، في تتابع الفصول .. فتأخذك هذه الواقعية ، وتأسرك الرومنتيكية ، فاذا انت ملئت بالقصة لا تريد ان تقطع قراءتها لقضاء ايسر الامور .

وفي رأيي ، ان ما أثرى القصة بهذه الجزئيات الشيقة ، معين ثمر خصيب ، هو سجل مذكرات اعتمدت على الكاتبة ، فامدها بالفيض الذي لا ينضب ... وان لديها من هذا المعين نصيبا اخر وافرا ، حقيقيا به ان ينثر في قصة من الطول ذاته ، او لعله قصتان .

على ان اعتماد الكاتبة على الحوادث تترى ، وعلى الحوار ، صرفها عن التحليل تسير به اغوار شخصوها ، فاذا هي متفرغة لذكر الحوادث كبيرها وصغيرها ، ولتسجيل كل عبارة تجري على لسان احدهم ، دون النفاذ الى ما وراء هذا اللسان من نفس مواردة بالعاطفة والاحاسيس المتضاربة ، عدا احاسيس البطلة الرئيسية ريم ، باعتبار القصة تروى بلسان حالها .

ومن هذا المآخذ الجانبي ، تنتقل الى مأخذ اخر كبير . شخوص القصة كثر . يربو عددهم على العشرة .. فهل وفتهم الكاتبة حقهم ، من حيث العناية بهم ، واعطاؤهم الدور الفني اللازم لكل منهم ؟

كانت ريم الشخصية الرئيسية الاكلة حقوق غيرها من الشخوص . وما في ذلك من باس ، فهي الراوية . ومن احق بالتكلم — اذا اتيج له الكلام — بالحديث عن نفسه وعن احاسيسه وخلقاته !

اما زياد ، فقد بدا شخصا ثانويا ، ولكنه لاقى العناية المتوجبة على كل حال . واما الفريد ، فقد طرح جانبا ، ولو ان سماته بدت واضحة وصادقة في اواخر القصة، وقد كان ينبغي ان يشغل حيزا اكبر .

بيد ان العناية بالشخوص الاخرى ، قاربت حد الإهمال المريب . ولئن غفرنا قلة العناية « بالست سناء » مثلا و« عصام » و« المريية » و« الخادمة دنا » وليس لنا ان نفر ، الا ان شخوصا ثلاثة في القصة جاءت على

درجة طيبة من حيث التخطيط وبروز الملامح ، ومع ذلك لم يلاقوا العناية الكافية ، وهم « الجدة » و« العم » ، واخص منهم « ناديا » زوجة خال ريم ، انها في الحق ذات شخصية واضحة متسقة وذكية ، لذلك كان يمكن اعطاؤها دورا اظهر في القصة ، وقد اعجبني منها موقفان : وهي تحض ريم على العمل في الوظيفة بمنطقها الرصين (الصفحة ٢٦) لتحرر من سيطرة الرجل ، ثم وهي تفسف لها حرمان زياد ، هذا الشرقي ، الذي وان عاش في اوربا سنوات الا ان الحرمان في دمه موروث عن الاسلاف (الصفحة ٢٧١) ... ان ناديا شخصية موفقة ، واضحة الملامح ، تختلف عن سائر الشخوص الثانوية اختلافا جوهريا .

وتصوير الاجواء في القصة كان جيدا ، فانت تحس بانك تحيا في الجو الموصوف كما لو كنت فيه في الواقع . وذلك غاية الإبداع . ولم يتخل التوفيق عن الكاتبة ، الا في رسمها جو الوظيفة ، فكان فاترا لا يشعر بان ريم موظفة تعمل حقا ... ولعل صدق احساس الكاتبة بهذا الفتور ، جعلها على ان تسحب بطلتها ، في منتصف القصة ، من الوظيفة ، فقد اصبح توظيفها او عدمه سيان في مجرى القصة .

اما اللغة ، فسلمية ، مشرقة ، شاعرية ، تستغرقها الصور المانعة . وقد كان الظن في الكاتبة انها شاعرة باللغة الفرنسية وحسب ، وان العربية لا تطاوعها في بيان افكارها ، فاذا هي تكتب بلغة اجدانها خيرا مما يكتب معظم قصاصي لاقليم ، فتنتزع الإعجاب، بل تبعث الحيرة والنهول اما الحوار ، فقلما قرأت مثله في قصص كتاب اقليمنا . فهو فني عذب ، سائغ ، عفوي ، ينساب انسيابا ولا يدفع دفعا .

ولقد اعلنت الكاتبة، مضيا مع احترامها للفتها وزهوا في اقتدراها على التعبير بها ، انها تتحدى ان يكتشف لها احد في الكتاب اخطاء لغوية . واني ، مع تسميى بسلامة اللغة في القصة ومع تواضع حصيلى اللغوية ، اقبل التحدي ، فاذكرها بعض الهفوات ، من ذلك : « وادي معاصي » (ص ١٥١) ، « سنيته الماضية » (٢٠٤) ، « بعضهم البعض » (٢٢٠) ، ... هذه الهفوات التي لا اعتقد الا انها من صنيع عامل المطبعة سامحه الله وغفر له !

بقي ان اشير الى وجه للشبه ما بين «ايام معه» وبين « انا احيا » للكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي . الموضوع يكاد يكون واحدا ، الفتاة التي تبحث عن نفسها ، عن وجودها ، نائرة ، منكرة الاوضاع والتقاليد الى ان تلقى الذي تحب ، فتذيب حبها شمعته تبكي بين يديه ، ثم ينتهي بها الحب الى ذلك المصير . انه قصة الفتاة الحائرة الثائرة العاشقة ، فلا غرابة ان تشابه الموضوعان ، وانما العبرة في المعالجة الفنية ، ولقد فاقت كوليت زميلتها ليلى ، بما ملكت من قياد الفن والاصالة والحوار الشيق . وبعد ...

ان قصصا مطولات ثلاثا ، لروائيين سوريين ثلاثة ، قد صدرن خلال العام ١٩٥٩ : « باسمه بين الدموع » لعبد السلام العجيلي ، و«خمر الشباب » لصباح محي الدين ، و «ايام معه » لكوليت سهيل .. هل اقول : كوليت ابرعهم ؟

اكاد اعلن ذلك ، لولا ان تشدني الي العجيلي، صاحب «باسمه» .. ، اواصر من الإعجاب المتين وقد قرأته لسنوات ، فامسك من اعلاني ، انتظارا لآثر جديد تدفعه الى القراء كاتبتنا الشابة ، يكون اكثر نموا من الوجهة الفنية ، وواضح هدفا ، واقرب الى مشكلاتنا الحيوية ، واكثر ذبوعا وخلودا .

فاضل السباعي

درعا ( الاقليم السوري )

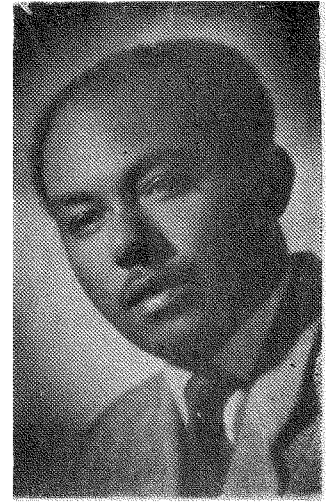
أغلقت بالظلمات أبوابي  
جبل الليالي ... طول أحقاب!  
أسقي العطاش رحيق اكوابي  
ترعى .. وترتع .. بين أعشابي  
انني عصرت .. عصرت أعصابي  
للشاربين ... ملأت اكوابي !!  
عبر الدجى .. لم يتركوا بابي  
تروي الى الظلمات أتعابي ..  
عكازتي .. في ظلمة الغاب  
فكان ما بضلوعها ... ما بي !!  
فوق الجدوع .. أنين خطاب!

لا تطرقي ياريسح نافذتي  
كوخي .. يدوس على سقيفته  
وانا هنا أسقي حقولهمو  
وانا هنا أحمي شياهمو  
وعصرت كل كروم داليتي  
وملأت بالاشواق اكوابي  
لكنهم مروا على بابي ...  
والريح تلفو تحت نافذتي  
ومضيت اضرب في الدجى قلعا  
فسمعت للانهار دمدمة  
فانا هنا .. من امس امس هنا

★

## الزنجي العجوز

« مهداة الى الشاعرة ملك عبد العزيز »



★

انسلى من باب .. الى باب ..  
فعشرت في اطراف جلبابي  
وتلاغطوا .. انصاف أرباب  
من ذا يكون ؟ .. الهه الغابي ؟  
بسياطهم .. بسياط ارهاب  
لقم .. أنا صرخات سنجاب  
للحاق .. تصرخ بين صخاب  
ويقول : كيف دخلت أعتابي  
تلج السماء .. بغير أسباب !!  
يرمون فوقي .. تل أنصاب .  
وتلفتوا بعيون مـرتاب  
حاناتها .. وفتحت اهـداي  
مسعورة ، مزرقه النـصاب  
عبر الدجى .. لم يتركوا بابي  
وخبت مصايحي كاحبابي  
ورجعت ادلف في حشا الغاب  
وثلوجها .. ضربات قصاب  
بـعيونها .. بـعيون هـياب ..  
القت عليّ تلال أعشاب !!  
.. وتلفتا لمقابض الباب  
تنداح .. ملء مسامع الغاب  
يا رب !! انا صمت أحقاب !!  
أتعابها ... فتموت اعنابي

ودخلت يوما في كنيستهم  
واذا بقسيس يطاردني  
تركوا الصلاة .. وهمموا غضبا  
الله الزنجي يرحمه ...  
وتحلقوا ... ليمزقوا جسدي  
وانا .. انا .. في شفق منجمهم  
وانا كجرذان السفين هوت  
ويدمدم القسيس ... يركلني  
للبيض .. لا للسود .. أدعيتي  
لم يرحموا شيخوختي .. ومضوا  
حتى اذا ما غبت عن رشدي  
فروا « لنويرك » لتبـلعهم  
فلمحتهم .. كوحوش غابتنا ..  
لكنهم مروا على بابي  
حتى اذا انئت أضالعه  
للمت أشلائي ... وامتعني  
وزوابـع زرقاء تتبعني  
وصحوت .. والغابات تحضني  
ان قعقت اقدام سـارية  
والحور ، والصفاف قد همسا  
ومن البعيد .. تظل ضحكـتهم  
حتى هنا يا رب .. تتركنا  
تلد السنين على مدينتنا

★

أغلقت بالظلمات أبوابي  
فوق الجدوع .. أنين خطاب !!

لا تطرقي يا ريج نافذتي  
فانا هنا من امس امس هنا

محي الدين فارس

القاهرة

بقلم  
طارق الشرف

## مراقبة انوار الضحية

قد لا يعطيها الذي يعيش المشكلة . ان المفكر يحاول ان يختبر مدى جدية الفكرة او مدى انسجام الانسان النائر معها عندما يضحي بنفسه في سبيلها ، ويحاول ان ينقص من قيمتها ، وذلك بدراسة مضمون الحلم الذي يضحي النائر من اجله ، ويحاول ان يعطي اهمية للحاضر والآن ، ويشكك في امكان الحلم ، ويعمل في النهاية لفرض يضعه ويجعله نقطة انطلاقه ، وهو امكان السعادة في هذا العالم ، لان التشكيك في امكانها في المستقبل ، يوصل للايمان بالحاضر فقط وان كانت بعض جوانبه سيئة ، لان المستقبل لن يحوي السعادة الكاملة ، بل لابد وان ينقص عيش انسانا فيه شيء ، وقد لا يكون ذا اهمية بالنسبة للناس اليوم ، ولكن الكمال والطمأنينة في عالمنا لا وجود لهما .

هناك فكرة اساسية ينبغي ان نغيرها كل الاهتمام عند مناقشتنا لمضمون « التضحية » ويمكن ان نوضع في الجملة الآتية : « ان الانسان الذي يؤثر الحلم ، اي يتعلق بالماهية الكاملة ، يرفض الوجود الناقص المشوه ، وان كان هذا الوجود يحوي بعض فضائل . وحتى يستطيع جعل الماهية او الحلم وجودا واقعيا ، لابد له من ان يضحي باعداد من الناس هم « الثوار » او « الفدائيون » ليكون العالم اكثر سعادة . »

اذن هناك « تضحية » ينبغي بذلها ، وهناك « قرابين » ينبغي تقديمها ، وقد تكون النتيجة قتل عدد من الاطفال او الابرياء ، اي موت عدد كبير من الناس ، فاذا لم تكن هناك ضمانات اكيدة تجعلنا نثق بعد كل هذه التضحيات بامكان السعادة او بتحقيق الحلم ، فقد نتردد في التضحية بالواقع من اجل المستقبل الذي قد لا نثق بامكان السعادة الكاملة فيه ، وأزمة عدم الثقة هذه مرتبطة كل الارتباط بكل التجارب الثورية التي مرت على الانسانية ، والتي امتهنت في اكثرها الكرامة الانسانية ، بقطع النظر عن مدى تأثير هذه الثورة في المجتمع ككل ، وبالتقدم الانساني كمجموع .

ان الفهم الصحيح لكرامة الانسان واعتباره غاية في حد ذاته يجعل من المستحيل التفكير بالانسان كرقم ضمن مجموعة من الارقام ، فالتضحية ينبغي ان لا تقاس بمقياس مادي يجعل من الانسان عددا ، لان المشكلة ليست رياضية مجردة . فقتل انسان يعني قبر موهبة ، قد تكون تعادل الافا من المواهب ، وقد تكون ذات اهمية تعادل او تزيد على الكسب الحضاري الذي تحصل عليه الانسانية نتيجة

التضحية اختبار وجودي يعيشه المناضل ، ويرتبط كليا بالتمرد الذي يختاره النائر ، على اعتبار ان الانسان المتمرد الذي يرفض قيم واقعه السيء ، ويتطلع لقيم اخرى يجدها اكثر تحقيا لحكم السعادة ، يؤثر هذه القيم على وجوده ، وعلى وجود الآخرين .

والتضحية مرتبطة كليا بالفهم الثوري للواقع الاسود السائد في مجتمع معين متخلخل ، وحماس لاهب لتغيير هذا الواقع عن طريق التمرد .

وهي سخاء كامل وايثار للمستقبل والحلم على الواقع والمأساة ، وعطاء دائم من اجل هذا المستقبل ، اي تفضيل مرتبط كليا بالمعاناة الحقيقية للواقع الاسود ، ومنح الحلم او الفكرة كل شيء ، وايثار لتدمير الواقع المشوه من اجل هذا الحلم .

وما دامت التضحية تفضيلا للمستقبل على الحاضر ، وتعبيرا عن رفض لهذا الحاضر - وان كان يحوي بعض فضائل - فهي ايثار لما هو اكثر اتساعا من الهنية او الان ، عن طريق رفض المكاسب الجزئية ، والفضائل البسيطة ، لبلوغ المكاسب الكلية والمطلقة اي الجذرية القادرة على تغيير كل الواقع ، واقامة واقع اخر .

هذا يعني رفض كل حاضر قائم سيء ، وهذا الرفض يفترض ايمانا لا محدودا بالذات ، وثقة بالنفس وسيطرة كاملة على الظروف ، من اجل ان يكون المستقبل كما ينبغي المتمرد الذي يرفض الواقع .

الثوري يرفض الواقع المشوه ، لانه يظن بنفسه انه قادر على ان يتخطاه ويتجاوز مستقبله ، اي ان يسبق الزمن ، فهو لا يركن للواقع بل يحمل مصيره بيده ، ويسير الى حلمه الكامل بتضحيتته .

التضحية ايثار عملي اذن ، يهدف من ورائه الانسان لتحقيق حلم ويعمد اليها من اجل الآخر ، فما دامت اثارا فهي رفض لفكر معينة ، وقد لا تكون خاطئة كليا ، وعلى كل تضحية بسعادة انية من اجل سعادة دائمة ، وفيها يتجلى الثوري الذي يتجاوز المتمرد به واقعه ، والذي يعبر بالتضحية عن هذا التجاوز .

والذي يتخذ من التضحية طريقا فهو يعيش قضيتته ولا يناقشها فكريا ، هو يعانيتها ، ولكن المفكر الذي يحلل القضية يناقشها ويحاول تقييمها ، ويهتم بدراساتها اكثر من اهتمامه بتقديمها ، وبالتالي يحاول ان يعطي كفرض منهجي احد شقي صراع الواقع والحلم ، وهو الواقع ، اهمية

القتل .

وهذا الفهم يمكن ان نجده بصورة واضحة عند « باسترنك » في « الدكتور جيفكو » اذ ان جيفكو يطرح القضية بشكل واضح وصريح ، ففساد الاوضاع السابقة لثورة « اكتوبر » وحماسه الاله لتغييرها واضح ، لا مجال للشك فيه ، ولكن خيبة امله من النتيجة التي حصلت بعد الثورة ، وبعد كل الضحايا التي قدمت ، قد جعل ايمانه يتزعزع ، حتى انه يبلغ موقفا معلقا نتيجة للصدمة التي خلقتها خيبة الامل ، فهو ليس من انصار الثوار الذين لم يحققوا حلمه ، وليس هو من انصار بقاء الاوضاع السابقة ، وكلاهما لم يستطع التعبير عن حلمه بالسعادة ، او لم يستطع اي منهما ان يفهم الكرامة الانسانية كما فهمها هو .

ونحن طبعاً لانا نقاش مدى صحة موقف « باسترنك » ، ولكننا نحلل موقفه بغض النظر عن صحة مذهب اليه او عدم صحته ، المهم انه وقف موقفا معلقا بين طرفين رفضهما معا ، رفض الخضوع ، ورفض الثورة التي لم تعط محلام به .

طبعاً هذا موقف محير من الاحداث ، ولكنه موقف واقعي ، فكثيرون ، وعلى الاخص ان كانوا مفكرين من نوعية اخلاقية معينة ، يجدون في الاحداث السياسية والاجتماعية ، ولا سيما اذا كانت على نطاق جماعي وتخضع لاهواء عامة لا تهتم كثيراً بالمعنى الانساني للحياة والكرامة ، يجدون فيها ما يثير تفززههم وانصرافهم عنها ، وعلى الاخص حينما لا يستطيع قادة الثورات توجيهها ومنع سيطرة الفوضى عليها .

المنطق المادي الذي يعالج قضية التضحية من وجهة نظر عملية يخلص نتيجة هي ان موت عدد من الناس ضروري لبقاء المجموع ، وهذا قد يستطيع ارضاء بعض الضمائر ، ولكنه يصعب عليه ارضاء فنان مرهف الاحساس او مفكر ، ينظر للانسان كفاية في حد ذاته ، فهو ينشد الوصول لحل ، ولكنه يبقى متألماً مادامت النتيجة هي « موت عدد كبير من الناس » ، والتمزق يبقى ابدياً بين

معطيات المستقبل والتضحيات التي قدمت من اجله ، ويظل ينشد ان يصل لنتيجة ، ليستطيع الطمأنينة ، ولا نتيجة لان من الصعوبة بمكان ان يعرف ايها يستحق الاثارة او ايها اكثر انسجاماً مع اخلاقية الفنان .

قد يعطي الفنان ، ويقبل التضحية في موقف عملي ، او في تجربة نضالية ، فيجد نفسه في مقدمة من يقدمون انفسهم ، وقد يرتكب الخطيئة ، اي يقتل انساناً بريئاً في موقف معين ، ولكن الفنان الاصيل حين يعود لنفسه يجد ابداً نفسه في هذا التمزق الداخلي ، بين معطيات ثقته بنفسه ، ومعطيات التأثير الذي يرفض التسليم الساذج بالواقع ، وقد يصل التمزق حد التعليق والحياد بينهما ولكنه حياد فعال ابداً وليس بسلبى مقيت .

المفكر او الفنان يعتبر الاخلاق هي التي تعطي الثورة كل مقوماتها ، والاخلاق هنا تعني خير المجموع - لا ككل يدوب فيه الافراد ، بل كتلاقي ذوات حرة - وبالتالي فالاخلاق تفترض ان لا يكون ثمن المستقبل الكرامة الانسانية ، لان المستقبل الذي يقبل التضحية بالكرامة هو مستقبل زائف لانه قائم على اساس مشوه .

وتجد هذا التفكير بصورة واضحة عند « كامو » في مسرحيته « العادلون » وتمثل شخصية كل من « ستيبان » و « كاليثيف » نموذجين لانسانين من الثائرين ، احدهما وهو « كاليثيف » يرفض ان يدمر مدينة قائمة في سبيل مدينة بعيدة المنال . يرفض ان يصفع اخوته ، واصدقاءهم اجل حلم ، وهو يؤثر ان يبقى ممزقاً ، وفي صراع بين معطيات عالين كلاهما لا يجد فيه تحقيقاً لاماله ، فهو يرفض ان يقتل طفلين صغيرين وجداً في عربة الدوق في اللحظة التي هم فيها بالقاء القنبلة ، وقد اثار ان لا يقتل الدوق اذا كان في قتله للدوق قتل لضحايا بريئة ، طفلين لا ذنب لهما ولا جريمة ، بينما الثورة كما يفهمها الاخر « قتلا » ، الثورة عند الثائر الشريف او عند المتمرّد الاخلاقي ان ابتعدت عن الشرف فقدت كل معانيها ، والشرف هنا لا يعني الا اخلاقيتها .

## مطاع صفدي

في مسرحية

# الآكلون لحومهم

اول مسرحية في موضوعها واسلوبها باللغة العربية  
تقفز بطريقة المؤلف الى ذروة جديدة في ادب  
الثورية العربية

اطلبها من جميع المكتبات



خلاصة القول ان المعنى الصحيح لقبول التضحية بالواقع في سبيل المستقبل ، ان لا تكون التضحية على حساب الاخلاق وان كانت هناك ضحايا فينبغي ان يثق الثائر من المستقبل لان وثوقه من امكان المستقبل هو العامل الاساسي انذي يجعل من ثورته شيئا ذا معنى انساني . وثورته لانعني فقط امكانها ، بل تعني قدرته هو على ان يعطيها للآخرين ، وتختفي التضحية كليا وتصبح غير ذات موضوع عندما لا يثق الثائر بامكان السعادة .

\*\*\*

اوضحنا في البداية ان التضحية اثار ، وهذا الاثار يتعلق بالآخر ، اذ هو اثار من اجل الآخر ، وعمل على سعادته وقلنا انها وثوق بامكان الثائر بانه لاشيء الا ما يستطيع ان يعطيه للآخرين من قيم ، اي اذا كان الثائر انسانا يعي تماما نقصه ، وعدم تديره ويشعر شعورا قويا بامكانية ان يكون اكثر من شيء من الاشياء التي لاتجهد نفسها كي توجد ، ويعمد لرفض ان يكون شيئا معينا ، ويؤثر ان يتمرد على من يحاول ان يحيله لشيء ما ، اي لما هو فاقد للانسانية ، وعندما يشعر بان الآخرين لا يستطيعون مثله ان يكونوا ذوات لا اشياء ، وان هز اعماقهم ، ورفعهم لمستواه الانساني لا يكون الا تبرير الواقع وبالتضحية بالذات في سبيل الآخر ، هذا الآخر الذي يعطي وجودي كل كونه ، والذي عن طريقه استطاع قهر الموت وعند ذلك يؤثر الثائر ان يدمر نفسه فيرتفع بالتدمير لمستوى القضية او الماهية التي يؤمن بها ، ويخالد عن طريق الآخرين ، بعد ان يوقظهم ويصبح مثلهم الذي يحتذى .

القضية هنا اصبحت ذات شقين ، الشق الاول يرتبط كليا بما قلناه من اثار للمثل الاعلى ، ولل فكرة والماهية ، على الواقع المشوه ، وهبة ثانيا لذات الانسان من اجل هذا

المثل ، دون امل بالاسترداد ، هي فناء للذات من اجل الفكرة ، هي صوفية اخرى وعطاء من اجل هذا الآخر ، الذي ليس شقا آخر في صراع انا قطبه الاول ، بل هو وانا معا نعيش كلانا في الآخر ، لحب احدا للآخر واثيره له ، فهو اذن تلاق روحي غني ، وليس بصراع ، والتلاقي الروحي حينما يبلغ اعلى مستوياته يبلغ حد فناء الواحد في الآخر ، وتدمير جسد احدهما ليعني موته بل يعني انتقاله من وجود جسدي الى وجود روحي قد يكون اغنى من الوجود الاول ، وعلى الاخص اذا ضخته الاسطورة ليصبح المثل الاعلى والموجه لشعب في مرحلة من تاريخه .

اما تفضيل الواقع والسعادة الانية ، على المستقبل والتضحية ، ورفض حلم السعادة الكاملة لانها وهم ، كل هذا يجعل من السعادة تعلقا « بالآن » او « بالهنية » ، ويجعل طريق الوصول اليها اختلاسا سويقات سعيدة من بين الالام اللامتناهية ، وهي كل سعادة ممكنة في عالم شقاء دائم .

وهذا الفهم تجده واضحا عند ديستوفسكي في كتابه « مذلول مهانون » ولنحاول ان نعرض لتحليل مبسط لهذه الرواية .

كل ابطال قصة ديستوفسكي يقعون في الحب ، ولكن الطرف الآخر في حب كل منهم يؤثر حب آخر ، « فانيا » يحب « ناتاشا » و « ناتاشا » تحب « اليوشا » و « اليوشا » يحب « كاتيا » ، و « فانيا » يحب من قبل « هيلين » ، وهكذا كل منهم محبوب من قبل آخر لايحبه ، وكل منهم يفضل التضحية بحبه ، بسعادته ، في سبيل الآخر ، والحب هو الذي يعطي السعادة للانسان ، وهو لا يعني التعلق « بالآن » او « الهنية » بل يزداد الحب وينمو ويصبح انسانيا بمقدار ما يكون تعلقا بالروح ، اي اذا بني على « التضحية بالسعادة الانية » ، والحب ليس تعلقا بالغييب ولا بالخيال ، بل هو حب لهذا الانسان الموجود الواقعي الذي يتألم ويشعر ويخطيء .

وكان يمكن لابطال قصة ديستوفسكي ان يسعدوا جميعا بتلاقي كل محب بمحبه ، لو كان كل منهم قادرا على التخلص من الخيال الذي يجعل في النهاية سعادتهم سرابا فالحب هنا ضد كل ماهو متعال وغيبي ، لانه بعيد كل البعد عن كل ماهو عقلي وجامد ، لانه موجه نحو هذا المخلوق المؤلف من لحم ودم .

والنتيجة التي نخلص اليها ، ان سعادته ليست في تضحيته لان التضحية احيانا ، وان لم ترتفع لمستوى روحي غني ، تظل تعلقا بوهم ، اذ ان كل هذه التضحيات التي يبذلها كل ابطال الرواية لا يستطيع ان تمنحهم اية سعادة ، والسعادة كان يمكن ان تكون لو لم يعبد الانسان للتضحية . كأن السعادة هي هذه اللحظات الجميلة التي يختلسها الانسان ، من ضمن الالام اللامبررة التي تجعل من الحياة مأساة بطلها الانسان وعدوه فيها كل شيء .

طارق الشريف

## اطلب « الاداب »

في المملكة المغربية الشريفة

من وكيلها العام السيد احمد عيسى صاحب

مكتبة الوحدة العربية

١٧ شارع الملكة (الاحباس)

الدار البيضاء



## نعيم الوطنية في شعر ابراهيم طوقان

بقلم نديم قسبي

من عجم فديتي... الى

تخترعه دوائر النفوس من اسماء آباء تسبهم اليهم ... وبعد ان رايت ان الدهن لم يسعف ، وان اليراع عود جاف لا نسغ ولا حياة فيه ، وان كلماني النارية حروف من حطب طال بلله ، عولج بالنار فجاد بالدخان شحا باللهب ، وان نصيبي من الادب الثوري نصيب سيف ابي دلالة في خوض الوقائع والمعارك ، وان لا بد من التسليم بالهزيمة ، لاني لم ار في مرآة ادبي سوى ذاتي ، ولاني قدفت باجتراء نفسي انطواء على الانانية والفردية ، فلم تمر عواطفني في برزخ الشعب مفجر الطاقات ومجتزح المعجزات ، ولان ثورة الفرد الذاتية لهذا المعنى لن تكون مهما بلغت من الطاقة اعني من عاصفة في فئجان ، ولاني ذهلت عن وعي او لا وعي عن مدلول الكلمة الاجتماعية التي ان فصلت عن حياة الامة فهي - ولا بد - تافهة جوفاء ، لا غناء فيها ولا رجاء ، ليس بمفهوم النظريات الوطنية والقومية الحديثة فحسب ، وانما بمنطوق الفطرة السلمية التي ترجمت عن نفسها بلسان شاعرنا الجاهلي العظيم زهير القائل :

ومن يكن ذا فضل فيدخل بفضله على قومه يستغن عنه وينعم ..  
ولذا وبعد طول هذه المكابرة ، وكرد اعتبار للكلمة التي لا تعشقها الامة والشعب الا اذا كانت انعكاسا عن ارادة الامة وعواطف الشعب ... لهذا كله ، وقد عييت انا بالذات ، لم ار من مندوحة سوى التماس ساحل النجاة ، والسير قرب الشواطئ الامينة الدافئة ، اعتمادا على نتائج الغير ، وقوافي الغير ، استرفدها جلوسا على الموائد ، وما انا بالمسعو كما لست بالتطفل ، وهل اكرم من زاد الشاعر والفيلسوف والحكيم ؟ .. وما ضير الفكر اذا استعار فاستند الى عمل الفكر ؟ ... اسهاما برسالة الكلمة ، واكتمالا لتلك الرسالة تبسيطا وتوضيحا ، كشفا عن مكامن الجمال وعرضا لهذا الجمال .. زيادة بالمتعة ، واكتارا للفائدة ... بل واي تشرب او حرج عن الاديب اذا استعان بزميله الفنان وخديته الشاعر ، فانتفع بنتاج هذا ، وروج لبضاعة ذلك ..؟ ودولاب سوق الحياة العامة لا يدور الا بانتفاع صغار التجار وكبارهم بامضاءات بعضهم بعضا ؟ ... وفانا الحق شر المتاجرة بالكلمة ، والسير بها في طرق ومطامير الشهات .. ونزلت الحلبة ، وخالص رأسمالي - كما عرضت - ضئيل ، ولكنه يستند الى اعتماد ضخم ، ليس في سوق البورصة ، وانما في معرض اصحاب الكلمات الجريئة في الحرف الحر ... ونشرت بين يدي ، على مائدة الفكر ، ديوان « ابراهيم طوقان » عرضا كنوزه ، وستفادة من تلك الكنوز ... واجلت النظر في صفحاته ، مدوما في سماء الشاعر وصفا وغزلا ، سياسة ورواء ، ولكن اين الغزل وجمال الطبيعة من قدس الاقداس

جلست اليوم وحيدا بين الناس ، موجودا وغير موجود في عدادهم ، توحشني غربتان : غربة الطبع وغربة الدار ، متضايقا لغير ما سبب ، مكدودا وليس من تعب ، ترهقني راحة الفراغ والضيق ، شاني من الواقع شان الجندي الرعديد الجبان ، افلتت من ساح الزوال ، فهم على وجهه لا ملجا يحميه ، او ملاذ يؤويه ، او مامن يفرع اليه ، الا اذا كان من اسماء الفزع والهلع وانخلاع الفؤاد الملجأ والملاذ والمأوى ... وكدت اهيمن على وجهي اخبط في بیداء النفس على ما هي عليه من الشورة والحيرة والتبرم ، في هذه المدينة المصرية الناعمة بكل اسباب الحضارة والمدنية ، كالبحتري يوم ضاقت عليه الارض الفضاء ، وقد قتل ولي نعمته على مرأى ومشهد منه ، فعصف في اعماقه الالم ، وهزه الشقاء ، ولكنه انطوى على ذاته في منطلقه البعيد ، يستتر فيه روح الهزيمة تعاليا على العيون النهمة التشفية :

وتماسكت حين زعزعتني الد

واهبت بالنفس - شان البحتري ولا فخر - ان تتماسك في مهبط عاصف الزمان المشغول عني بالطبع ، خوفا على مصيره بالذات ، ان يصبح ولا مكان .. وينفخ في الصور اذ يعصف الهوس برأس كائن مجنون لقت اليه الظروف مقاليد الكينونة والضرورة على حد سواء .  
وسولت لي النفس فيما سولت - وقديما وصف بعض المرض بسر العبقريّة - ان التمس اسباب القصيد ، ناظما هذه المرة لا راويا ، ترجمة عن هذه الثورة ، وتعبيرا عن هذا الصراع الباطني المستمر المستعر ، لان الثورة - مجازا لا حقيقة - ان لم تكن في الشعر ، فلا وهج لكلمة ، ولا نالق لحرف ، واخذت للامر اهبة ، استعدادا لخوض المعركة بهجوم على الكلمات القاموسية - كفارس عارض رمحه - ايقاظا لاوابدها ، وتحريكا لجوامدها ، لتكون في سلك قوافي الشروء .. وتوهمت ساعة هذا المخاض العسير ان كل القوى الطبيعية الديناميتية تقتلي في اعماقي ، وان كل امجاد التاريخ القومي العربي على شبا هذا اليراع .. وان النفس تحدثني حديث الثورات - انتقالا من جو البحتري الى افق المتبني - اسهاما في الادب الثوري ، وانطلقت بعد لاي وجهه ، وكسد للذهن ، وارهاق للاعصاب « ثورة النفس يا لعمق اساهها » وكانت القوافي اشمس من ان تسلس لهذا الطبع ، وكزت النفس الناقدة من النفس الشاعرة في كلمة « اساهها » هذه ، وشعرت بذاتي في الحضيض بعد ما توهمت في الذروة ، ولذا اكتفيت به شطرا يتيما اهون ما يكون على اسرة الشعر ، بل لو لم اعترف مسبقا بابوته لكان شأنه في ديوان الشعر شأن الاطفال الذين يربون في الملاجيء ... لا حسب ولا نسب ، الا ما

ونشيد الانشاد ، في كل الاجيال والاماد ، والامصاد والبلاد ، من كلمة موطني .

موطني

الجلال والجمال والسناء والبهاء  
في رباك  
والحياة والنجاة والهناء والرجاء  
في هوالك ..

واستغرقتني كلمة « موطني » استغراقا نفذ بي الى اعماق بلادي .  
واطلت الشوط بمزاملة « ابراهيم » .. مد التاريخ بعمر حرفة ، وخلد ذلك الحرف الذي يحمل في ثناياه وتنطوي حناياه على ارفع معنى للوطنية ، واشرف صورة للقومية ، بوجهة هي الطريق الى الحق والنار الذي يشير اليه بان واحد .. شرحا وترجمة للوطنية والقومية بكلمات فصاح لا تحتاج الى التحليل ، ولا مجال فيها للتأويل ، لان بعد غور ابراهيم ترجم عن ذاته بالوضوح ، فعلق ذهن القاريء بلا تصسف او تعمل ، ولان سعة مداه خالطت نفس كل قاريء نفوذا لاعماقها تسمى الروح مباشرة بمصافحة السمع ، حتى ليخال كل من حمل قلما ان بإمكانه الايمان بمثل هذا البيان ، وهيئات .. هيئات .. فبالغة السهل المتنع التي عرفها ابن المقفع كان ابراهيم خير مترجم لها من شعراء الضاد .. سيما اذا ما حمل يراعه ، فعاش مأساة وطنه ، وعبر عما يعتلج في اعماقه نحو هذا الوطن ، الذي يراه واراضيه تفر من أيدي اصحابها رقعة رقعة ، قطعة قطعة ، شراء واختلاسا ، هدا وتبذيرا ، والاحزاب لا رعاها الله من احزاب ، لا عمل لها سوى نهش جسم الامة ، وقتل روح الامة تفريفا وتمزيقا ، بعدا عن جادة الكفاح وهربا من طريق النضال سوى الوقوف على اعواد المنابر ، والتبجح اللفظي بالوطنية ، واصابع الصهيونية تعمل في الخفاء ، والاستعمار الانكليزي يجهر للعرب بالعداء ، والقوم ما زالوا في غفنتهم سادرين ، وعلى منابرهم معتلين ، كأنما سيربحون قضية فلسطين ، التي اصبحت قضية الوطن العربي بكامله ، باللفظ الاجوف والمعنى المريض .. دون ان يعملوا شيئا او يصنعوا قليلا ، فتتجه اليهم عمسة الشاعر يكشف لهم عن نفوسهم : فيسقط عنها براقع الكذب ، ويمزق اوشحة التضييل :

عرف الناس والمنابر والافلام افضلكم فهانوا سواها  
غير ان المريض يرقب منكم هذه الجرعة التي لا يراها

فريبا

فاضل السباعي

ثريا .. بنت الجامعة

رواية مصرية يكتبها اديب سوري



ابراهيم طوقان

كان اولي بكم لو ان مع القو ل فصلا محمودة عبقاها  
مثل القول لا يؤيده الفعل ازاها لا يفوح شذاها  
وهو كالدوحة العقيم ظلال واخضرار ولا يرجى جناها  
وتنذر الحوادث بسوء المبة ، ويلوح من بعد شبح الكارثة ، وسماسة الوطنية ما زالوا حيث كانوا لا عمل لهم سوى تضليل الشعب ، ودفع سفن الوطن الى الشواطئ الصخرية لترتطم فيها فتكون الواحا متناثرة ، وشظايا متفرقة ، ويشند الهلع في نفوس المخلصين ، ويرفع ابراهيم عقيرته مناديا « وطني » الكلام ، والكلام فقط ، بصليهم نار نقده ، ولاذع بيانه ، باللفظة الساخرة ، واللهجة المتهكمة ، لانهم اصغر من ان يوجه اليهم الكلمة الجادة ، والعبارة الحازمة :

انتم المخلصون للوطنيه  
انتم الحاملون عبء القضية ؟  
انتم العاملون من غير قول  
بارك الله في الزنود القويه  
وبيان منكم يعادل جيشا  
بمعدات زحفه الحربيه  
واجتماع منكم يرد علينا  
غابر المجد من فتوح اميه  
وخلص البلاد صار على  
الباب ، وجاءت امياده الوديه  
ما جحدنا افضالكم غير انا  
لم تزل في نفوسنا امينه  
في يدينا بقيه من بلاد

فاستريحوا كيلا تثير البقيه .. الخ  
واذا كانت قصة الوطنية ذات وجهين ، ككل قصص الحياة ، وحكايات الوجود ، فما سردنا سوى لمحة عابرة للموضوع في وجهه السلبي كما تمثله ابراهيم ، لنسر في القضية على هدي الديوان في سبيلها الايجابي ، محاذرين قدر المستطاع تجنب طريقة التحليل اكتفاء بالعرض الجانبي ، حذر تشويه روح ابراهيم الذي لا نحسب ان شاعرا من شعراء العرب استوحى احداث بلاده فخطب ، وعاش هذه الاحداث فكتب ، كان اوضح منه بيانا واصفى ديباجة .. لذا فمهمة تحليل سفره عملية شاقة عسيره ومصدر المشقة فيها شدة وضوحه لكل قاريء ، حتى لخال ان كل محاولة لتحليل قوافيه التي هي محض نبضات قلبه انقاص لقيمتها وتسدن بسمفونيتها التي هي البساطة ، والبساطة فقط ، سيما اذا ما تكلم بهذا الموضوع : بلادي وطني ..

ان قلبي لبلادي  
لم ابعه لشقيق  
ليس مني لو اراه  
ولسواني كفؤادي  
وغدي يشبه يومني  
لم اهب غيظ كريم  
فايتبي خدمة قومي  
لا لحزب او زعيم  
او صديق لي حميم  
مرة غير سليم  
نيط منه بالصميم  
وحديثي كقديمي  
لا ولا كسيد ليم  
بشقائي او نعيمي

ويجسم ابراهيم الوطنية بكلمة من ترجمتها انا المحجة والسبيل معا ..  
المحجة لروح الوطنية ، والسبيل اليها .. ، ولا ترجمة لهذه الكلمة سوى الشهادة ومرادفها الفداء ، والسير بصمت في طريق التضحية بقافلة يتقدمها الجندي الجهول الذي لا عز للاوطان الا به ، ولا مجد لها الا بتضحيته : روحها دمها ، ودمه شريان حياتها .. ونفسه - وكل ما في الوجود صورة وطنه بنظره - ان قطبت لها الخطوب انبسطت اساربرها

مستبشرة مهللة ، وان حلت بها المصيبة ردت العلقم - في سبيل المثل الاعلى ، والغاية الفضلى - شهد العسل ، وهي بعد ذلك من الاعاصير عتوها ، ومن الحماية شدتها ، ومن النور الالق ، ومن النار الضرام ، تجمع في ذاتها رسوخ الطود ، لاتساع صدر البحر ، في جنوة لشعلة الحق الذي لا انطفأ للبلاتنه ، ولا خمود لمقدس جمرته ، لانه بانطفاء تلك الذبالة وبخمود تلك الجمرة انطفاء روح الامم - كل الامم ، وهمود نفس الشعوب - كافة الشعوب ، وهيئات ان يغلب الموت الحياة ، وان تظهر الظلمة على النور :

عيسى الخطيب فابتسم وطفى الهول فافتحم رابط الجاش والنهى ثابت القلب والقلم نفسه طوع همسة وجعت ونهها الهمم تلقتني في مزاجها بالاعاصير والحمم تجمع الهائج الخضم الى الراسخ الاشم وهي من عنصر الفداء ومن جوهر الكرم ومن الحق جنوة لفحها حرر الامم

الابتسام والمبوس نقيضان متعارضان ، واي نقيضين هما اذا كان الخطب هو العابسي ، الخطب بكل ما احتشد وراءه من كوارث واهوال امتحانا للنفس البشرية بالارهاق والتنكيل ، والانتهاء بها لآخر شط من شطآن الحياة وقوفا على شفا حفرة الهدم والنهاية المظلمة ... يقابلها القلب الابسي الشجاع بالابتسام الجريء البريء ، لان التضحية اذا لم تقترن بتلك الابتسامة خبا شيء من القها .. وفقدت قدرا من ذاتها .. ويتابع ابراهيم الذي كان واحدا من شهداء قضية الوطن العربي ، وان لم يفرج دمه ترى هذا الوطن ، وان مات حتف الانف على فراش الامراض والاوصاب ، يتابع وصف الشهيد تعريفا للشهيد :

لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن ..

واي فحوى للبقاء ، واي معنى للخلود ، اذا لم يكن الشهيد انشودة الخلود .. وترنيمة البقاء ..؟ وللتابع الشاعر بقصته هذه تفرسا بوجوه الخالدين لنرى الى جنب الشهيد صنوه واخاه الغدائي الذي تقم الموت تقحما تفجرت عنه يتابع الحياة - الحياة الابقى والاخذ بالقافية العربية:

لا تسئل عن سلامته روحه فوق راحتته بدلننه هوممه كفنا من وساداته يرقب الساعة التي بعدها هول ساعاته بين جنبيه خافق يتلظى بغايته من رأى فحمة الدجى اضمرت من شرارته حملته جهنم طرفا من رسالته هو بالباب واقف والردى منه خائف فاهدئي يا عواصف خجلا من جراته ..

هذا هو الشهيد ، وذاك هو الغدائي اللذان بسط الشاعر لوحة حياتهما اسطورة البطولات والمعجزات ، اسطورة هي لحم الحقيقة ، ودم شريان الواقع نهضت بالحرف العربي تتملى ملامح البطولة باوضح ما يمكن ، وابين ما يستطاع ، بلطف مبين ، وجرس فيه تلاحق الانفاس المخرجة ، بوقوف على القافية تشع فيه حرارة العزم ، واصر الحزم ، بصلاية الارادة ، وسحر هامة البطل الذي احترقت فحمة الدجى من لفح حرى انفاسه ، يرقب الساعة التي يلزمها كل هول وقسوة ... ، والموت يا له من جبان يخشى الوقوف حيال الرجل ، مجسم البطولة ، يخشى التطلع في عينيه المتالفتين

نورا للحياة ، وشعلة للحق ، صائحتين بلسان النظرة الصارمة ، صيحة نبي الشعر الاول : امات الموت ام ذعر الذعر ..؟ وكيف لا يموت ..؟ وكيف لا ترتد عواصف الاستبداد والاستعباد كسيحة مقعدة قبالة تيار نسيمات انفاس الحياة الصافية ، للوطن الحر ، والشعب الطليق الا من قيد الواجب انغمسا في النور ، وتساميا بجمال معاني الوطنية والقومية نقية رقرقة ، دونما جلبة او ضجة ، لان الوطنية - منذ كانت وستبقى - عمل لا كلام ، انجاز لا ثرثرة :

صامت لو تكلمنا لفظ النار والدمما قل لمن عاب صمته خلق الحزم ابكنا لا تلوموه قسدا رأى منهج الحق مظلمنا ...

« منهج الحق مظلم » جملة تستحق الوقوف والتروي والتأمل ... رغم اشراق هذه الكلمات ، وبساطة هذا التركيب ، تستحق الوقوف لا لالتواء في المعنى ، او التباس في البيان .. وانما لنرى على الى الحق في الدنيا المظلمة تاريخ هذا الحق .. منذ ان قال الحق للنور كن فكان .. وملا الناس فجاج الحياة يطرقون ابوابها ، التماسا للنعيم ، وانتجاعا للخيرات ... ومنذ ان فلسف الانسان الكلمة باشارة اصبعين لرجلين واقفين في باب المعرفة ، فارتفعت اصبع نحو السماء ، واتجهت اخرى للارض ... ولا تقصد بذلك النهج بالتفكير ، والتماس اسباب المعارف .. فتلك قصة اخرى ، وانما كهدف لغاية الانسان - بعيدا عن نظريات المعرفة - هل للتراب يسعى ، ام الى العلاء يرقى ..؟ هل تهتل اللذات ام يطمح لابعد من ذلك من المثل والغايات ..؟ ولا ريب ، وعلى ضوء ما قدمنا ، فان منهج الحق ، من اشرق في قلوب المؤمنين العاملين ، ووضعت معالم الطريق اليهم .. تبينوا ظلمات هذه الطريق في وعورة المسالك ، ومشاق الفجاج .. ليست الجنة قد صفت بالكاره ، والنار بالشهوات ..؟ وهذا صحيح لان طريق الهبوط سهل ممهّد ، وطريق الصعود ، فتسئم الخلد شاق عسير .. وجهنم الوطنية المؤدية لنعيمها هو الامتحان الذي ابتلي به الغدائي الشهيد ، وصولا لغايته ، وتحقيقا لهدفه ، لهذا واكمالا للوحة التي رسمها الشاعر عن غاية الوطنية المثلى ، فلا بد من وقفة معه نستجلي مشهدا من مشاهد فصول هذا الامتحان العسير ، بقصة ثلاثة شهداء قارعوا الاستعمار والصهيونية ، فحكمتهم محاكم الاستعمار والصهيونية بالموت شنقا ، فما جبنوا ، ولا وهنوا ، ولا خارت مننهم العزائم ، او خمدت فيهم الهمم ، او ترددوا في تقبل حكم الاعداء ، او فزعوا لرؤية جبل المشنقة ، بل ، وبكل جرأة ورباطة جاش ، وتماسك امام زعازع الموت ، نازع احد هؤلاء الابطال ، مكسرا من فيوده - دور واحد من اخويه ، استبقا الى دار البقاء من نعيم الوطنية ، تارجحا على جبل المشنقة .. وقد انطق الشاعر هذا اليوم ، وما هو فيه من التاريخ .. تاريخ هذا الانسان بالامه ، وكفاح هذه الالام ، وفواجهه - ومقابله تلك الفواجع ، وكوارثه - ومصارعة تلك الكوارث ، مصائبه والتصدي لتلك المصائب ، فيما هو يحقق ذاته اشتقاقا من ماساة الانسان معنى الانسانية ... وجه مشرق في اطار من الظلمات .. تكتنفها ظلمات .. في هذا اليوم الذي اكل على الوجود ، ومرادفه العدم ، متلفعا بقناع دون سواده كل سواد ، في قسماات هي مظالم التاريخ بشقاء الاجيال ، اطل على الوجود ... يسائل الالام : هل من نظير ..؟ هل من شبيه ..؟ وتفر الليالي جزعا من ناظره ... وتتجمع مظالم العصور بزوايا من زوايا الدهور خلفا من سحنته ، واشفاقا من رؤيته ... ويكرر - وما في الساح غير - هل من نظير ..؟ ويتقدم منه قزم من اقزام الاجيال ، بيوم

# في اعماق الليل

الشمس وراء القيم  
بقعة دم  
والسحب سطور مضطربة  
في أفق معتم  
ونا ابحت عن انسان  
يشرق وسط سمائي

★ البحر سجين خلف الامواج الزرقاء  
اسوار تفرسها الريح تخفي اصداق الاعماق  
ما اروع ان ترتاد الافاق  
وتشق طريقا عذراء  
وتغوص الى نفس بشريه .  
جفت خلف جدار الوحدة  
تسكب فوق اسأها بسمه  
فتذوب الجدران  
وانا ابحت عن انسان  
ينفذ في اعماقي  
يحمل بسمه

★ بابي يبسط بالود ذراعيه  
ويعانق من يخطو نحوه  
يحتضن جداري جنبيه  
وبساطي يدفي اقدمه  
لكني امضي مقرور القاب  
ابحت عن انسان  
يدفئني وده

★ قلبي اعصره للساري بين الاشواك  
واوسد صدري احزان رفاق المأساة  
لكني ابحت عن انسان  
يحمل عني احزاني .

★ النجم باسفار الليل رفيقي  
والليل طويل  
في كل حفيف تحمله الريح  
اتنسم انفاس صديق  
والدرب طويل  
وانا ابحت عن انسان  
يؤنس بالليل طريقي

★ في اعماق الليل ينام الفجر  
ساعات ثم يقوم فينفض ثوبه  
من يشعل بالليل سراجا يلقي الفجر  
وانا ابحت عن انسان  
لا ينتظر الصبح  
بل ينفذ بين ثنايا الليل ويوقظ فجره .

محمد البخاري

القاهرة

سمي يوم محكمة التفتيش .. لكن ما ان يحدق فيه حتى يهرب من وجهه  
وقد فصل سواد ظلامه شيب بياض من هول الموقف .. ، ويحاذيه يوم  
تجارة العبيد ، وكان فيه الانسان سلعة تباع وتشتري ... تماما كقطعة  
من قماش ، وكجزء من محرات عتيق .. والذي لولا ابراهام لنكون ، لكانت  
الكثرة الكثيرة من الناس ، وفي جملتهم العدد الفقير من حملة الاقلام ،  
محربي الانسان من ظلام القرون الخالية ، واوهام العصور الماضية ، مهدي  
سبيل المعارف ، نهوضا بانسانية الانسان ، وتساميا بمعنى الانسانية ،  
لكانوا ، ويا لفاجعة هذه الكينونة ، وفي عدادهم ، صاحب هذه الكلمات ،  
مشهودين في سوق النخاسة من تجارة العبيد .. ومع ذلك ، وما ان  
تفرس يوم تجارة العبيد ملامح يوم شهداء الشاعر حتى لحق بيوم محكمة  
التفتيش اختفاء بزاوية من زوايا التاريخ انكماشاً على نفسه ، واستصغارا  
لهذه النفس . وما علينا بعد هذا التقديم الا ان نسلم القاريء لقوافي  
الشاعر تروي له هذه المأساة :

يوم اطل على العصور الخالية دعا : امرء على الوري امثاليه ؟  
فاجابه ، يوم اجل انا راويه لمحاكم التفتيش ، تلك الباغية  
ولقد شهدت عجائبا وغرائبها  
لكن فيك مصائب ونوائبها  
لم الق اشباها لها في جورها فاسأل سواي وكم بها من منكر  
واذا بيوم راسف بغيوده فاجاب والتاريخ بعض شهوده  
انظر الى بياض الرقيق وسوده من شاء كانوا ملكه بنقوده  
بشر يباع ويشترى فتحررا  
ومشى الزمان القهقري فيما ارى

فسمعت من منح الرقيق وبيعه نادى على الاحرار يا من يشتري ..  
وما يزال يستعرض سود الايام في مدلهم الليالي حتى يصل الى  
ساعاته الثلاث الرهيبة ينطقها بلغة هي نجوى ارواح شهدائه ، ومشافهة  
النفس البشرية مباشرة كأنما ليس بينها وبين الشاعر تلك الحجب الكثيفة  
الصفيقة من مادة التراب التي هي اللحم والعظم ، فتنتطق الساعة الاولى  
- اي ساعة الشهيد الاول - تترجم عن نفسها :

انا ساعة النفس الاييه الفصل لي بالاسيقه  
انا عبر ساعات نلا ث كلها رمز انجميه  
بنت القضية ان لي اثرا جليلا في القضية  
اودعت من مهج الشبيبة نفمة الروح الوفيه ....  
فتتبري الساعة الثانية مفخرة اخيها :

انا ساعة الرجل العتيد انا ساعة الباس الشديد  
انا ساعة الموت المشرف ف كل ذي فعل حميد  
بطلي يحطم فيده رمزا لتحطيم الفيود  
زاحمت من قبلي لاسبقها الى شرف الخالود  
وقدحت في مهج الشباب شرارة العزم الوطيد ...

وهنا تطل الساعة الثالثة ، مدلة على الزمن ، مشرفة في جبين التاريخ:  
انا ساعة الرجل الصبور انا ساعة القلب الكبير  
رمز الثبات الى النهاية في الخطير من الامور  
بطلي اشد على لقواء الموت من صم الصخور  
جذلان يرتقب السردى فاعجب لموت في سرور ...  
الى اخر تلك الاناشيد الثلاثة التي تكاد لقدسيته لا ترقى من الارض  
الى السماء ، وانما تنزل من السماء الى الارض .. والشاعر منذ كان  
الشاعر صنو النبي ، وخدين الرسول ، سيما اذا كان صاحب قضية ،  
وحامل رسالة ..

مدنا اللهم بروح من ابراهيم .. وتبارك اسمك الكريم

نديم مرعشلي

بيروت

# في اعماق الليل

الشمس وراء القيم  
بقعة دم  
والسحب سطور مضطربة  
في أفق معتم  
ونا ابحت عن انسان  
يشرق وسط سمائي

★ البحر سجين خلف الامواج الزرقاء  
اسوار تفرسها الريح تخفي اصداق الاعماق  
ما اروع ان ترتاد الافاق  
وتشق طريقا عذراء  
وتغوص الى نفس بشريه .  
جفت خلف جدار الوحدة  
تسكب فوق اسائها بسمه  
فتذوب الجدران  
وانا ابحت عن انسان  
ينفذ في اعماقي  
يحمل بسمه

★ بابي يبسط بالود ذراعيه  
ويعانق من يخطو نحوه  
يحتضن جداري جنبيه  
وبساطي يدفء اقدامه  
لكني امضي مقرور القاب  
ابحت عن انسان  
يدفئني وده

★ قلبي اعصره للساري بين الاشواك  
واوسد صدري احزان رفاق المأساة  
لكني ابحت عن انسان  
يحمل عني احزاني .

★ النجم باسفار الليل رفيقي  
والليل طويل  
في كل حفيف تحمله الريح  
اتنسم انفاس صديق  
والدرب طويل  
وانا ابحت عن انسان  
يؤنس بالليل طريقي

★ في اعماق الليل ينام الفجر  
ساعات ثم يقوم فينفض ثوبه  
من يشعل بالليل سراجا يلقي الفجر  
وانا ابحت عن انسان  
لا ينتظر الصبح  
بل ينفذ بين ثنايا الليل ويوقظ فجره .

محمد البخاري

القاهرة

سمي يوم محكمة التفتيش .. لكن ما ان يحدق فيه حتى يهرب من وجهه  
وقد فصل سواد ظلامه شيب بياض من هول الموقف .. ، ويحاذيه يوم  
تجارة العبيد ، وكان فيه الانسان سلعة تباع وتشتري ... تماما كقطعة  
من قماش ، وكجزء من محرات عتيق .. والذي لولا ابراهيم لنكون ، لكانت  
الكثرة الكثيرة من الناس ، وفي جملتهم العدد الفقير من حملة الاقلام ،  
محربي الانسان من ظلام القرون الخالية ، واوهام العصور الماضية ، مهدي  
سبيل المعارف ، نهوضا بانسانية الانسان ، وتساميا بمعنى الانسانية ،  
لكانوا ، ويا لفاجعة هذه الكينونة ، وفي عدادهم ، صاحب هذه الكلمات ،  
مشهودين في سوق النخاسة من تجارة العبيد .. ومع ذلك ، وما ان  
تفرس يوم تجارة العبيد ملامح يوم شهداء الشاعر حتى لحق بيوم محكمة  
التفتيش اختفاء بزاوية من زوايا التاريخ انكماشاً على نفسه ، واستصغارا  
لهذه النفس . وما علينا بعد هذا التقديم الا ان نسلم القاريء لقوافي  
الشاعر تروي له هذه المأساة :

يوم اطل على العصور الخالية دعا : امرء على الوري امثاليه ؟  
فاجابه ، يوم اجل انا راويه لمحاكم التفتيش ، تلك الباغية  
ولقد شهدت عجائبا وغرائبها  
لكن فيك مصائب ونوائبها  
لم الق اشباها لها في جورها فاسأل سواي وكم بها من منكر  
واذا بيوم راسف بغيوده فاجاب والتاريخ بعض شهوده  
انظر الى بياض الرقيق وسوده من شاء كانوا ملكه بنقوده  
بشر يباع ويشترى فتحررا  
ومشى الزمان القهقري فيما ارى

فسمعت من منح الرقيق وبيعه نادى على الاحرار يا من يشتري ..  
وما يزال يستعرض سود الايام في مدلهم الليالي حتى يصل الى  
ساعاته الثلاث الرهيبة ينطقها بلغة هي نجوى ارواح شهدائه ، ومشافهة  
النفس البشرية مباشرة كأنما ليس بينها وبين الشاعر تلك الحجب الكثيفة  
الصفيقة من مادة التراب التي هي اللحم والعظم ، فتنتطق الساعة الاولى  
- اي ساعة الشهيد الاول - تترجم عن نفسها :

انا ساعة النفس الاييه الفصل لي بالاسيقه  
انا عبر ساعات نلا ثكلها رمز انجميه  
بنت القضية ان لي اثرا جليلا في القضية  
اودعت من مهج الشبيبة نفمة الروح الوفيه ....  
فتتبري الساعة الثانية مفخرة اخيها :

انا ساعة الرجل العتيد انا ساعة الباس الشديد  
انا ساعة الموت المشرف كل ذي فعل حميد  
بطلي يحطم فيده رمزا لتحطيم الفيود  
زاحمت من قبلي لاسبقها الى شرف الخالود  
وقدحت في مهج الشباب شرارة العزم الوطيد ...  
وهنا تطل الساعة الثالثة ، مدلة على الزمن ، مشرفة في جبين التاريخ:  
انا ساعة الرجل الصبور انا ساعة القلب الكبير  
رمز الثبات الى النهاية في الخطير من الامور  
بطلي اشد على لقيا الموت من صم الصخور  
جذلان يرتقب السردى فاعجب لموت في سرور ...  
الى اخر تلك الاناشيد الثلاثة التي تكاد لقدسيته لا ترقى من الارض  
الى السماء ، وانما تنزل من السماء الى الارض .. والشاعر منذ كان  
الشاعر صنو النبي ، وخدين الرسول ، سيما اذا كان صاحب قضية ،  
وحامل رسالة ..

مدنا اللهم بروح من ابراهيم .. وتبارك اسمك الكريم

نديم مرعشلي

بيروت



## الموت الجديد

- « يا ابي » .. ثم انتفض  
حينما دوى بأذنيه هدير .  
ماجت الحيرة في الوجه الصغير  
- « يا ابي » .. واهتز مصباح هزيل  
- احذري .. الجدران يا امي تميل ..  
- « احذري » ...  
لكن سقف الغرفة انهار .. تهاوى  
غاصت الصيحة في اوحال دم .  
وعلى ضوء الحمم  
- وكتاب لم يزل في يده -  
لمح الطفل وجوه المجرمين ،  
ثم لا شيء .. فقد حط الظلام  
العيون انطفأت  
الدموع اختنقت تحت التراب  
شربتها مقلته ،  
والدم النازف قد اغلق فاه  
فهو اعمى ،  
وهو ابكم ،  
يلفظ الانفاس .. لكن كان يفهم ..  
النشيد الغامض المردوم .. يفهم ..  
انه ابن الجزائر .

في كتاب كان يقرأ  
« انني ابن فرنسا »  
سال الطفل اباه : كيف هذا يا ابي .. ؟  
اطرق الوالد يرنو لجبال المغرب  
كان يصغى للرصاص الاجنبي  
ودهوع في ماقيه ترقرق  
- كيف هذا يا ابي ؟  
- يا صغيري ..  
يا شهابا في الدياجير يحدق  
هل تصدق ؟ ..  
عندما تقرأ عن زنجية تنجب طفلا ..  
« ازرق العينين اسمر ،  
في كهوف الغاب - والجاني قدر ؟  
هل تصدق ؟  
انها معجزة لا تتحقق ..  
في سوى ارض العبيد  
حيث يلهو في جحور الليل ذئب ازرق العينين اشقر ،  
انها النار التي تصهر شعبا من حديد ..  
فاذا الشعب قبور من جليد ،  
انها الموت الفرنسي الجديد .  
غن ابني :  
« انها الموت الفرنسي الجديد »  
- يا ابي .. مهلا الا تشرح لي معنى النشيد ؟

الحسانى حسن عبدالله

القاهرة



# أحلى السمراء

« بمناسبة اعياد النصر بالجمهورية العربية المتحدة »

ولا الاسكندر الاكبر ..  
وهو لاكو سنسناه ..  
فتلك بطولة اخرى، رواها الدمع والدم  
نماها الحق والظلم ..  
ولكن البطولات التي تحيا، بطولة عصرنا  
الزاهر ..  
بطولات صنعناها، وتصنعها شعوب  
تعشق السامنا ..  
وتهوى الورد والحب ..  
وتفرد كفها قلبا ..  
تحبي كل من يهوى حياة الحب والسلم  
ويصنع للورى شيئا، يحرك فيه امالا  
تنور عصرنا الزاهر ..  
وتبني عهدنا الناضر ..

★

فيا ينبوع احلامي، ومنهل قلبي الغلامي  
تعالى نبتي بيتا، هنا في موطني الحر  
بلا خوف، بلا قلق، بلا رعب بلا ذعر  
فتلك الارض نملكها، وطفل سوف ننجبه  
جميلا، مثل زهرانا ..  
سيحيا العمر فرحانا ..  
ويملا بيتنا حبا، واشواقا، والحنانا  
ولكن عندما يكبر ..  
سيسمع هذه القصة ..  
سنحكىها له يوما ..  
ونذكر انهم ذهبوا، وكان وجودهم عارا

عبد المنعم عواد يوسف

على زهران لاتبك ..  
فما قد مات زهران ..  
اخي، مات زهران  
ولا اخوانه ماتوا  
ولا خالي الذي اردوه في الشورد ..  
ولا دمنا الذي قد سال، قد سالا ..  
فقد شربته تربتنا لتنبث بعد ابطالا ..  
يعود لارضنا فيهم شهيد مثل زهرانا  
يعود اليوم فرحانا ..  
مع الشهداء نشوانا ..  
ليلقى جمعنا الظافر ..  
يودع موكب الظلم ..  
يردد لحنه الحلوا  
ويرقص موكب الازهار في اعياده زهوا  
فقد ولوا، اجل ولوا ..  
وكان وجودهم عارا ..

★

ولاح الافق مزدانا ..  
بالاف من الافراح والاشواق والذكرى  
والاف من الارواح ترقب موكبي الحرا  
وجوه نحن نعرفها ..  
تبارك ثم معجزة، على ارضي على  
مصر ..  
فذلك عيدنا الاكبر ..  
وتلك جحافل التتر ..  
تغيب اليوم عن مصر  
فيا جانكيز لا تحزن، فتلك نهاية القصة  
ونابليون لن يذكر ..

وكان وجودهم عارا ..  
يؤجج جوفنا نارا، ويشعل عمرنا نارا  
وكان رحيلهم حلما، يداعب ثم احرا  
فينطلقون ثوارا ..  
ويسقط منهم الابطال بين مذابح  
القدر ..

وفوق مشائق القدر ..  
وملء عيونهم امل ..  
وفوق شفاههم امل ..  
ويجري الاحمر الغالي، هنا وهناك ينهل  
ليصنع هاهنا نهرا، ويرسم هاهنا لوحه  
ويكتب في ضمير الخلد، من تاريخنا  
صفحه

★

وفي ارض البطولات ..  
تمطى الظالم العاتي ..  
هنا، في ارضنا الحره ..  
ولاح القدر ثعبانا ...  
يشوه حبا آنا، ويزع حقدنا آنا  
ويغرس في ضلوع الناس اضعافنا  
واضعافنا  
وقامت ثم احقاد ..  
ولكن موكب الاحرار لم يابه لما كادوا ..  
فيمضي ركه الظافر ..  
يسطر بالدم العاطر ..  
هنا في ارضنا قصه ..  
ستبقى في الورى تروى، كأجمل  
قصة قيات ..



# فهرست

العدد الاول - كانون الثاني (يناير) ١٩٦٠ - السنة الثامنة

- |     |   |                      |    |                                     |                                |
|-----|---|----------------------|----|-------------------------------------|--------------------------------|
| ٥٠  | المثقفون والمجتمع العربي .....                              | علي بدور             | ١٠ | ادب الثورة وثورة الادب .....        | الدكتور محمد مندور             |
| ٥٦  | قصيدة الى الفجر (قصيدة) .....                               | حسن النجمي           | ١٢ | ادبنا الثوري والموقف الحضاري .....  | سلمى الخضراء الجيوسي           |
| ٥٧  | وعلى السفوح غرسناه (قصة) .....                              | احمد سويد            | ١٥ | الشعر الثوري في الادب المعاصر ..... | ملك عبد العزيز                 |
| ٦١  | بعث جديد ( قصيدة ) .....                                    | محمد عمران           | ١٨ | صيحة الرواد (قصيدة) .....           | سليمان العيسى                  |
| ٦٢  | الثورة تحت المجهر .....                                     | اورخان ميسر          | ٢٠ | الخائن (قصة) .....                  | ( الدكتور عبد السلام العجيلي ) |
| ٦٤  | الى جميلة القضية ( قصيدة ) .....                            | خليل الخوري          | ٢٢ | ملاح الادب الثوري في العراق .....   | محيي الدين اسماعيل             |
| ٦٦  | خبز الغداء ( قصة ) .....                                    | سميرة عزام           | ٢٥ | شهيد ( قصيدة ) .....                | عدنان الراوي                   |
| ٧٠  | اغنية من بور سعيد (قصيدة) .....                             | حسن فتح الباب        | ٢٦ | ثورة .. على الفكر العربي المعاصر .. | محيي الدين محمد                |
| ٧٢  | الكلمة والثورة ( قصيدة ) .....                              | فضل الامين           | ٣١ | صرخة نائرة :<br>وداعا .. ايها الادب | ( محيي الدين صبحي )            |
| ٧٣  | الموت والكلمة (قصة) .....                                   | عايدة مطرجي ادريس    | ٣٣ | اغنية عربية (قصيدة) .....           | شفيق الكمالي                   |
| ٧٧  | الجندي الاخير (قصة) .....                                   | كامل ايوب            | ٣٤ | سلمى (قصة) .....                    | مطاع صفدي                      |
| ٧٨  | الماشقة الثائرة .....                                       | فاضل السباعي         | ٤١ | الحقد والفولاذ (قصيدة) .....        | عبد الباسط الصوفي              |
| ٨١  | الزنجي المعجوز (قصيدة) .....                                | محيي الدين فارس      | ٤٢ | معنى الادب عند سلامة موسى .....     | غالي شكري                      |
| ٨٢  | موافق ازاء التضحية .....                                    | طارق الشريف          | ٤٩ | الجرح الخالد ( قصيدة ) .....        | عبد العزيز النعماني            |
| ٩٢  | من جحيم فرديتي ... الى<br>نعيم الوطنية في شعر ابراهيم طوقان | ( نديم مرعشلي )      |    |                                     |                                |
| ٩٦  | في اعماق الليل (قصيدة) .....                                | محمد البخاري         |    |                                     |                                |
| ٩٧  | الموت الجديد (قصيدة) .....                                  | الحسانني حسن عبدالله |    |                                     |                                |
| ١٠١ | احلام الشهداء (قصيدة) .....                                 | عبد المنعم عواد يوسف |    |                                     |                                |

# دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر

في بيروت تقدم لقرائها بمناسبة الاعياد المباركة نتاج جهودها في حقل الثقافة والتوجيه في الكتب الاتية :

## الابحاث الاسلامية

نورة الاسلام  
الاسلام نظام انساني  
الاسلام انطلاق لا جمود  
الامام الصادق  
الاتجاهات الحديثة في الاسلام

## المجموعة الفكرية

رينيه ديكارت  
هنري برجسون (جزء اول)  
هنري برجسون (جزء ثاني)  
الوجودية مذهب انساني  
الذباب  
الانسان فرد لا جماعة  
الاشتراكية بين الخيال والعلم  
وجودية ووجوديون  
علم النفس في حياتنا الحديثة  
المؤسسات الاقتصادية وعلاقتها بالرفاه الانساني  
كريستوفر كوليس  
فجر الحضارة في الشرق الادنى  
دراسات في الادب العربي  
الدنيا تحدثت عن نفسها  
ارنست همنغواي (دراسة)  
مشكلات قومية  
ازمة الانسان الحديث  
التقريب لحد المنطق  
شعراء عباسيون  
ابيات عقد الازهار

## المجموعة القصصية

المصباح الازرق  
ليلنا خمر  
راقصة على الزجاج  
ثقب في السماء  
حنين الارض  
خمر الشباب  
بنت الجيران  
فتاة الرمال

لولا القدر  
دعني اعترف  
عين لا تنام  
نمن الهويين  
القبلة المحرمة  
واهيفاء...!  
بريا الامبراطورة الحزينة  
المروج الخضر

## المجموعة السياسية

الدولة الاتحادية  
العرب والاستعمار  
انا عائد من اسرائيل  
الدستور في لبنان

## المجموعة التاريخية

تاريخ المملكة العربية السعودية (جزء اول)  
تاريخ المملكة العربية السعودية (جزء ثاني)

## المطولات

شرح نهج البلاغة للامام علي  
الاغاني لابي الفرج الاصبهاني  
مجمع البيان في تفسير القرآن  
مقدمة ابن خلدون  
تاريخ يعقوبي  
عيون الانباء في طبقات الاطباء  
معجم متن اللغة (موسوعة كبرى)

## المجموعة الجنسية

الحب والشهوة  
آدم وحواء

## المجموعة الشعرية

اليها (ديوان شعر)  
محمد (ملحمة شعرية)



اسطنبول



فثینا



فرنگفورت

کلے یوم ٹیلا ٹاؤ دھنیں دہستے

بھارتیہ ہوائی کمپنی

راجہ وکلا، ہندوستان کے طیارے ہرگز الاوسط بیروت:

بابے دربی - بنایکے عور - تلخوت ۲۱۴۱۴/۳/۴/۵

راسے بیروت - بنایکے نکلاے سام - تلخوت ۲۳۹۳۹

شارع عمرے عبدالعزیز - بنایکے مکتبے - تلخوت ۲۱۴۴۰

مکتب استقبال و شہنشاہ المستافین

شارع محمد شوقی - تہاد اویلاے الم بیتش - تلخوت ۴۱۰۲۰

طیان الشرف الاوسط

B.O.A.C. Associate